# تقريب

# السيرة النبوية لابن هشام

تصنيف وشرح

محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشبراوى

الطبعة الأولى

١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمود نصار الحلبي وشركاه - خلفاء

# تقريب
# السيرة النبوية لابن هشام

تصنيف وشرح

محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشبراوى

الطبعة الأولى

١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

محمود نصار الحلبى وشركاه خلفاء

Marfat.com

131323

Marfat.com

# مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

و به أستعين

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين

أما بعـد

فإن كتاب سيرة رسول الله الذى استخرجه المؤرخ ابن هشام المعافرى من كتاب السيرة لابن إسحاق ، أقدم السير الجامعة وأصحها .

وابن هشام صاحب هـذه السيرة تعقب ابن إسحاق فى الكثير مما أورد بالتحرير والاختصار والنقد ، بل ترك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى سيرته، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سببا لشىء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه . وكانت وفاة ابن إسحاق عام ١٥٠ هـ أما ابن هشام فتوفى

عام ٢١٨ هـ لذلك أباح لنفسه النظر فى سيرة سلفه بعين الناقد المحقق الذى يستمسك باب السيرة .

هذا عمل ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق، و بينهما فى الزمن أقل من مائة عام ، فما هو واجبنا نحن نحو سيرة ابن هشام وقد مضى عليها أكثر من أحد عشر قرنا ؟ اللهم إنا لم نُدخل عليها تحويرا ولا تعديلا ، و إنما كان قصارى عملنا هو محاولة تقريبها إلى أذهان أبناء عصرنا وذلك باستبعاد ما جاء فى هذه السيرة من استطرادات لجأ إليها المؤلف نزولا على حكم وقته ، ونزهنا الكتاب عن كثير من الشعر والوقائع ، التى شك فيها ابن هشام نفسه .

ونحن نحسب أن هذه هى الطريقة المثلى لتقريب مثل هذا الكتاب القيم إلى أذهان القراء ودارسى التاريخ والسلام ؟

محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشبراوى

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

# ذكر سرد النسب الزكي

هذا كتاب سيرة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أدّ بن مقوّم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان . وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

١

# النصرانية واليهودية فى أرض العرب

إن موقع ذلك الدين بنَجْران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فَيْمِيُون . وكان رجلا صالحاً مجتهداً زاهداً فى الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً يُنزل بين القرى ، لايُعْرَف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لايُعرف بها ، وكان لايأكل إلا من كَسْب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظّم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فَلاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسى .

وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففَطِن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له صالح ، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئا كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطُن له فَيْمِيُون ، حتى خرج مرة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ، كما كان يصنع ، وقد أتبعه صالح وفَيْمِيُون لايدرى ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه ، لايحب أن يعلم بمكانه . وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنِّين(١) . فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدرِ ما أصابها ، فخافها عليه ، فعِيلَ عَوْلُه(٢) ، فصرخ: يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى فانصرف . وعرَف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رآى مكانه ، فقال له : يا فيميون ، تعلم والله أنى ما أحببتُ شيئا قطُّ حبَّكَ ، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ماشئتَ ، أمرى كما ترى ، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم ؛ فلزمه صالح .

وقد كاد أهل القرية يفطُنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضُّرُّ ، دعا له فشفِى ، وإذا دُعى إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن

---

(١) الحية ذات القرون السبعة .

(٢) عيل عوله : أى غلب على صبره ، يقال عاله الأمر : إذا غلبه .

Marfat.com

شأن فَيميُون فقيل له : إنه لايأتى أحداً دعاه ، ولـكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجْر . فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يافيميون إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملا، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارطك عليه . فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ماتريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط[1] الرجل الثوب عن الصبى ، ثم قال له : يافيميون ! عبد من عباد الله أصابه ماترى فادع الله له . فدعا له فيميون ، فقام الصبى ليس به بأس . وعرف فيميون أنه قد عُرف فخرج من القرية وأتبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال: يافيميون ! قال: نعم! قال: مازلت أنظرك[2] وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك . فعرفت أنك هو ، لاتبرح حتى تقوم علىّ ، فإنى ميت الآن. فمات وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف .

وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدَوْا عليهما . فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنَجْران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلىّ النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوما . فابتاع فيميون رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخرُ . فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجد فى بيت له ـ أسكنه إياه سيده ـ يصلى ، استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده فأعجبه مايرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لاتضرّ ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبده لأهلكها ، وهو الله وحده لاشريك له . فقال له سيده : فافعل فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك ، وتركنا مانحن عليه . فقام فيميون ، فتطهر وصلى ركعتين ، ثم دعا

---

(١) انتشط الثوب : كشفه بسرعة .

(٢) فى الطبرى : أنتظرك . والنظر والانتظار بمعنى .

الله عليها فأرسل الله عليها ريحا فَجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نَجْران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام؛ ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بِنَجْران في أرض العرب.

وهنالك رواية أخرى عن سبب وجود النصرانية بنجران.

أن أهل نَجْران كانوا أهلَ شِرْك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قُراها قريبا من نجْران — ونجران: القرية العُظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحرٌ يعلّم غلمان أهل نجران السحرَ، فلما نزلها فَيْمِيُون، قالوا: رجل نزلها، ابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر؛ فجعل أهل نجران يُرسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر، فبعث إليه الثّامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران؛ فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه مايرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه، حتى أسلم، فوحّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه، وقال له: يابن أخي، إنك لن تحمله، أخشَى عليك ضعفَك عنه.

والثامر أبو عبد الله لايظنّ إلا أن ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضنّ به عنه، وتخوّف ضعفَه فيه، عمَد إلى قداح فجمعها، ثم لم يُبْقِ لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح[2]، لكلّ اسمٍ قِدْحٌ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدْحًا، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه، فوثب القِدح حتى خرج منها لم تضرّه شيئا، فأخذه ثم أتى صاحبَه فأخبره بأنه قد علِم

(١) جعفتها: تلعتها وأسقطتها.

(٢) القدح: السهم

Marfat.com

الأسمَ الذى كتمه ؛ فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ؛ قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ؛ قال : أى ابنَ أخى ، قد أصبته فأمسِك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل .

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلقَ أحدًا به ضرٌّ إلا قال له : يا عبد الله ! أتوحّد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحّد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشفَى ، حتى لم يبق بنجران أحدٌ به ضرٌ إلا أتاه ، فاتّبعه على أمره ، ودعا له فعوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له : أفسدتَ علَىَّ أهل قريتى ، وخالفتَ دينى ودين آبائى ، لأُمثلنَّ بك ؛ قال : لا تقدر على ذلك . فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بُحورٍ لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيُلقى فيها فيخرج ليس به بأس .

فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحّد الله ، فتؤمن بما آمنتُ به ، فإنك إن فعلت ذلك سُلِّطت علَىَّ فقتلتنى . فوحّد الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله ، ثم هلك الملك مكانه .

واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه ، ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران .

فسار إليهم ذو نُواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية ، وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدودَ ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا . ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا

Marfat.com

قَعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ[١] » ..

## غزو الحبشة لبلاد العرب

وأفلت منهم رجلٌ من سبأ ، يقال له : دَوْس ذو ثَعْلبان ، على فرس له ، فسلك الرملَ فأعجزهم ؛ فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بَعُدَت بلادُك منّا ، ولكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

فقدم دَوْس على النجاشيّ بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ، ومعه فى جنده أبرهة الأشرم ، فركب أرياط البحرَ حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثَعْلبان ، وسار إليه ذو نُواس فى حِمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجّه فرسه فى البحرِ ، ثم ضرب به فدخل به ، فخاض به ضَحْضاح[٢] البحر ، حتى أفضى به إلى غَمره ، فأدخله فيه ، وكان آخرَ العهد به ؛ ودخل أرياط اليمن فملكها .

فأقام أرْياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن

---

(١) سورة البروج : آية ٤ وما بعدها. الأخدود: حفر مستطيل فى الأرض كالخندق وغيره .
وروى ابن إسحاق أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإذا أخرت يده عنها تنبعث دما وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقروه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا .

(٢) الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر .

أبرهة الحبشيّ – وكان فى جنده – حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز إلى كل واحد منهم طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ،أرسل أبرهةُ إلى أرياط : إنك لاتصنع بأن تَلْقى الحبشةُ بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فابرز إلىّ وأبرُز إليك ، فأيّنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده . فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ . فخرج إليه أبرهة وكان رجلا قصيراً لحيما[1] حادراً[2] ، وكان ذا دين فى النصرانية ، وخرج إليه أرياط، وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له . وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له يقال له عَتْوَدة[3] يمنع ظهره . فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة ، يريد يافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سُمّى أبرهة الأشرم ، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى[4] أبرهةُ أرياطَ .

فلما بلغ ذلك النجاشيّ غضب غضباً شديداً وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ! ثم حلف لايدع أبرهةَ حتى يطأ بلاده ، ويجزّ ناصيته . فحلق أبرهةُ رأسه وملأ جِرابا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشيّ ، ثم كتب إليه :

أيها الملك : إنما كان أرياط عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعتهُ لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوسَ منه ، وقد حلقت رأسى كلّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبرّ قسمة فىّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشيّ رضى عنه ، وكتب إليه : أنِ اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى . فأقام أبرهة باليمن .

(١) اللحيم : الكثير لحم الجسد .

(٢) الحادر : السمين الغليظ .

(٣) مأخوذ من العتودة : وهى الشدة فى الحرب .

(٤) وداه : دفع ديته .

Marfat.com

# أمر الفيل وقصة النسأة

ثم إن أبرهة بنَى القُلَّيْس(١) بصنعاء ، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشىّ : إنى قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حجَّ العرب ؛ فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى ، غضب رجل كنانى من النَّسَأة(٢) .

فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيْس فقعد فيها ، يعنى أحدث فيها، ثم خرج فَلَحِق بأرضه، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذى تحجُّ العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليها حجَّ العرب » غضب فجاء فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل .

فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيَّأت وتجهّزت ، ثم سار وخُرِج معه بالفيل ؛ وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفَظِعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هَدْمَ الكعبة ، بيت الله الحرام .

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفر ، فدعا قومه ومَن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهادِه عن بيت الله الحرام ، وما يريد

---

(١) القليس : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب ، وسميت القليس لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس ، لأنها فى أعلى الرءوس ؛ وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها ألوانا من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ، صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، ومن شدته على العمال كان العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله قطعت يده .

(٢) والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ويؤخرون ذلك الشهر . ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله» .

من هَدْمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهُزِم ذو نَفر وأصحابه ، وأُخِذ له ذو نَفر فأُتى به أسيراً ، فلما أراد قتلَه ، قال له ذو نَفْر : أيها الملِك ! لاتقتلنى ، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ؛ فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْل بن حبيب الخَثْعَمِىّ . ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذ له نُفَيْلٌ أسيراً فأُتى به ، فلما همّ بقتله ، قال له نُفيل : أيها الملك ! لاتقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم بالسمع والطاعة . فخلّى سبيلَه .

وخرج به معه يدله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب فى رجال ثَقِيف . فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف وليس بيتُنا هذا البيتَ الذى تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذى بمكة ، ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك عليه . فتجاوزَ عنهم .

فبعثوا معه أبا رِغال يدلّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمِّس (١) . فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبرَه العربُ ، فهو القبر الذى يرْجُم الناس بالمغمِّس .

فلما نزل أبرهة المغمِّس بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسوَد بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل تِهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مئَتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدُها ، فهمّت قريش وكِنانة وهُذَيل ، ومن كان بذلك الحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك .

---

(١) المغمس : موضع بطريق الطائف على ثلثى فرسخ من مكة .

وبعث أبرهة حُناطة الحِميرىّ إلى مكة وقال له: سَل عن سيد أهل هذا البلدِ وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنى لم آتِ لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلاحاجة لى بدمائكم، فإن هو لم يُرِد حَرْبى فأْتنى به. فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيّد قريش وشريفها، فقيل له: عبدُ المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ، فجاءه؛ فقال له ما أمره به أبرهة. فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ماعندنا دَفع عنه. فقال له حُناطة: فانطلق معى إليه، فإنه قد أمرنى أن آتيَه بك.

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بَنِيه حتى أتى العسكر، فسأل عن ذى نَفْر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو فى محبسه، فقال له: ياذا نفْر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفْر: وما غَناء رجل أسير بيدَىْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدوًّا أو عشيًّا! ماعندنا غَناء فى شىء مما نزل بك إلا أنّ أُنَيْسًا سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبى! فبعث ذو نفْر إلى أُنَيْس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عِير مكّة، يُطْعِم الناس بالسهل، والوحوشَ فى رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مئتى بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت. فقال: أفعل.

فكلم أُنيسٌ أبرهة. فقال: أيها الملكَ، هذا سيدُ قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكّة، وهو يطعم الناس فى السهل، والوحوشَ فى رءوس الجبال فأْذن له عليك، فيكلمك فى حاجته وأحسِن إليه. فأذن له أبرهة.

وكان عبدالمطلب أوسَم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن

Marfat.com

سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه. ثم قال لترجمانه : قل له: حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتى أن يردّ علىّ الملك مئتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زَهِدْتُ فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مئتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ؟! لاتكلمنى فيه ! قال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإنّ للبيت ربًّا سيمنعه ، قال: ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك .

وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ، قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطة ، يَعْمُرَ بن نُفاثة، وهو يومئذ سيد بنى بكر ، وخويلدُ بن واثلة الهذلى ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال تِهامة ، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب له .

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبرَ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز فى شَعَف الجبال والشعاب تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش[1] ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقَة باب الكعبة ، وقام معه نفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لا هُمَّ ! إنَّ العَبْدَ يمـــنع رَحْلَهُ فامنع حِلالَكْ[2]
لَا يَغْلِبَنّ صليبُهـــم وَمِحالُهم غَدْوًا مِحالَكْ[3]

---

(١) معرة الجيش : شدته .

(٢) لاهم : أصلها اللهم ، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفى بما بقى ، كما تقول : لاه أبوك ، وهى تريد لله أبوك، وكما قالوا أيضا : أجلك تفعل كذا وكذا : أى من أجل أنك تفعل كذا وكذا . الحلال ( بالكسر ) : جمع حلة ، وهى جماعة البيوت ، ويريد هنا القوم الحلول . والحلال أيضا : متاع البيت ، وجائز أن يكون هذا المعنى الثانى مرادا هنا .

(٣) المحال : القوة والشدة .

Marfat.com

إن كنت تاركهم وقبـلتنا فأمرٌ ما بَدا لك[١]

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الـكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكّة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيَّأ فِيلَه وعبّى جيشه ، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن .

فلما وجَّهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيل بن حبيب الخثعمىّ حتى قام إلى جَنْب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : ابرُكْ أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل ؛ وخرج نفيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا فى رأسه بالطَّبَرْزِين[٢] ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحاجن[٣] لهم فى مَرَاقِّه[٤] فبزغوه[٥] بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يُهرْول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك . فأَرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف[٦] والبَلَسان[٧] ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره . وحجران فى رجليه. أمثال الحمص والعدس . لاتصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه

---

(١) وزاد السهيلى فى الروض الأنف :

وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك

(٢) الطبرزين : آلة معقفة من حديد ، وطبر بالفارسية : معناها الفأس .

(٣) المحاجن : جمع محجن ، وهى عصا معوجة ، وقد يجعل فى طرفها حديد .

(٤) مراقه : يعنى أسفل بطنه .

(٥) بزغوه : أدموه . ومنه المبزغ ، وهو المشرط للحجام ونحوه .

(٦) الخطاطيف : جمع خطاف (كرمان) . وهو طائر أسود يقال له « زوار الهند » ، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة .

(٧) كذا فى الأصل . وفى النهاية لابن الأثير ( مادة بلس ) فى التعليق على حديث ابن عباس ، قال عباد بن موسى : « وأظنها الزرازير » .

Marfat.com

جاءوا . ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن . فقال نُفَيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نِقْمَته .

أين المفرّ والإلهُ الطالبْ والأشرمُ المَغلوب ليس الغالبْ

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلِكون بكل مَهْلِك على كل مَنْهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله ، أُنْمُلة أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مِدّة تَمُثّ(١) قيحا ودما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه ، فيما يزعمون .

فلما بعث الله تعالى محمداً صلى اللهُ عليه وسلم ، كان مما يعدّ اللهُ على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٢) . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٣) » وقال : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى لئلا يغيّر شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

فلما ردّ الله الحبشةَ عن مكةَ ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل اللهُ عنهم وكفاهم مئونةَ عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعارا كثيرة يذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما ردّ عن قريش من كيدهم .

فلما هلك أبرهة ملَك اليمن ابنُه يَكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، مَلَك اليمن أخوه مسروق بن أبرهة .

---

(١) مث يمث : رشح .

(٢) الأبابيل : الجماعات .

(٣) السجيل : الشديد الصلب . العصف : ورق الزرع الذى لم يقصب .



Marfat.com

# خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيفُ بن ذى يَزَن الحميرىّ ، وكان يكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الرّوم فشكا إليه ماهم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، وَيَلِيَهم هو ، ويبعث إليهم مَن شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِهِ ولم يجد عنده شيئا مما يريد .

فخرج حتى أتى النعمانَ بن المنذر ، وهو عامل كسرى[1] على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفادةً فى كلّ عام ، فأقِمْ حتى يكون ذلك . ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه .

فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علىّ من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطئ رأسه ! فقيل ذلك لسَيْف ، فقال : إنما فعلت هذا لهمّى ، لأنه يضيق عنه كلُّ شىء .

ثم قال له : أيها الملك ! غَلَبَتْنَا على بلادنا الأغربة ، فقال له كسرى : أىّ الأغربة ؟ الحبشة أم السِّند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتُك لتنصُرنى ، ويكون مُلك بلادى لك ؛ قال : بَعُدت بلادُك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأُوَرِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لاحاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كُسوةً حسنة .

فلما قبض ذلك منه سيفٌ خرج ،فجعل ينثر ذلك الوَرِق للناس؛ فبلغ ذلك الملكَ ،فقال: إن لهذا لشأنا ؟ ثم بعث إليه، فقال: عمدتَ إلى حِباء الملك تنثُره للناس؟ فقال: وما أصنع بهذا؟ ماجبال أرضى التى جئتُ منها إلا ذهبٌ وفضةٌ . يرغّبه فيها ، فجمع كسرى مَرَازبته[2]

(١) هو أنو شروان . ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس الكبير بعد شتات .

(٢) المرازبة : وزراء الفرس ، واحدهم مرزبان .

Marfat.com

فقال لهم : ماذا ترَون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ! إن فى سُجونك رجالا قد حبستَهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يَهلِكوا كان ذلك الذى أردتَ بهم ، و إن ظَفِروا كان مُلْكا ازددتَه . فبعث معه كسرى مَن كان فى سجونه وكانوا ثمان مئة رجل .

واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سنّ فيهم ، وأفضلهم حسبًا وبيتًا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ست سفائن ، فجمع سيف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه ، وقال له : رِجلى مع رِجلك حتى نموت جميعا أونظفر جميعا . قال له وهرز : أنصفتَ . وخرج إليه مَسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جندَه . فأرسل إليهم وَهرِز ابنا له ، ليقاتلهم فيختبر قتالهم ؛ فقُتل ابن وَهرز ، فزاده ذلك حنَقا عليهم . فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرز : أرونى مَلِكهم ؛ فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجَه على رأسه ، بين عينَيهِ ياقوتةٌ حمراء ؟ قال : نعم . قالوا : ذاك ملِكُهم . فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرَس ؛ قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : علامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة . قال وهرز : بنتُ الحمار ؟ ذلّ وذلّ مُلكُه ، إنى سأرْميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحرّكوا فاثبتُوا حتى أوذِنكم ، فإنى قد أخطأتُ الرجلَ ؛ و إن رأيتمُ القومَ قد استداروا ولاثوا به[1] ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وَترَ قوسَه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوترها غيرُه من شدّتها ، وأمر بحاجبَيْه فعُصِّبا له ، ثم رماه فصكّ الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفرسُ ، وانهزموا ، فقُتِلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل

---

(١) لاثوا به : اجتمعوا حوله .

Marfat.com

وَهرز ليدخل صنعاء ، حتى إذا أتى بابَها قال : لاتدخل رايتى منكّسة أبداً ، اهدموا الباب فهُدِم ، ثم دخلها ناصبا رايته .

فأقام وهْرِز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرْياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأُخرجت الحبشةُ اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة .

ثم مات وَهْرِز فأمَّر كسرى ابنه المَرْزُبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان فأمَّر كسرى ابنه التَّينُجان بن المَرْزُبان على اليمن ، ثم مات التينُجان ، فأمَّر كسرى ابن التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذان ، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبي صلى الله عليه وسلم .

فكتب كسرى إلى باذان : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبيّ ، فسِر إليه فاستَتِبْه ، فإن تاب وإلا فابعث إلىّ برأسه . فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدنى أن يُقتل كِسْرى فى يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى باذان الكتاب تَوقَّف لينظر ، وقال : إن كان نبيًّا فسيكون ما قال . فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسُول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وكان قتله على يدى ابنه شِيرَوَيْه.

فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صَلى اللهُ عليه وسلم[1] .

أما الأصنام فكان أول من أقامها فى بلاد العرب هو عمرو بن لَحُىّ ، وذلك أنه خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء ، وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له :

---

(١) كان إسلام باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام .

هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتُمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تُعطونني منها صنماً ، فأسيرَ به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبَل . فقدم به مكة فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[١] .

ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَنُ من مكة ظاعنٌ منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَح في البلاد، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحَرَم تعظيما للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سَلَخ[٢] ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلُوف[٣] ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات .

وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها ، من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدى البُدن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : «لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وماملك» فيوحدونه بالتلبية، ثم يُدخلون معه أصنامَهم ، ويجعلون مِلْكَها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» . أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي .

---

(١) ويقال : إنه أول ما كان من أمر عمرو هذا في عبادة الأصنام : أنه كان حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، جعلته العرب ربا لايبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، وكانت هناك صخرة يلت عليها السويق للحجاج رجل من ثقيف ، وكانت تسمى صخرة اللات ( أي الذي يلت العجين ) ، فلما مات هذا الرجل ، قال لهم عمرو : إنه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، وأمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات .

(٢) سلخ بهم : خرج بهم .

(٣) الخلوف : جمع خلف ( بالفتح ) ، وهو القرن بعد القرن .

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها قصّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا » .

واتّخذ أهل كل دار فى دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب . فكان ذلك آخرَ ما يصنع حين يتوجه إلى سفره وإذا قدم من سفره تمسَّح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ؛ فلما بعث الله رسوله محمداً صلى اللهُ عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : أجعلَ الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشيء عجاب!

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت،وهى بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة، لها سدَنة وحُجّاب، وتهدى لها كاتُهْدِى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها. وهى تعرف فضلَ الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

فكانت لقريش وبنى كنانة العُزّى بنخلة[(١)] . وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سُلَيم حلفاء بنى هاشم .

وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدَنتَها وحجّابها بنو مُعتِّب من ثقيف .

وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقُدَيد[(٢)] .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها .

وكان ذو الخَلَصة لدَوس وخَثْعم وبجَيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة[(٣)] .

---

(١) هى نخلة الشامية ، وكانت العزى بواد منها ، يقال له الحراض ، بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة .

(٢) قديد : موضع قرب مكة . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٣) تبالة : قرب مكة على مسيرة سبع ليال منها ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

131323

Marfat.com

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبدالله البجلى فهدمه .

وكانت فَلس لطيٍّ ومن يليها بجبَلَى طيٍّ ، يعنى سلمى وأجأ[١] .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها علىّ بن أبى طالب فهدمها ، فوجـد فيها سيْفَين ، يقال لأحدهما : الرَّسُوب ، وللآخر المِخذم ، فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوَهبهما له ، فهما سَيْفا علىّ رضى الله عنه .

وكان لِحمير وأهل اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له : رئام .

وكانت رُضاء بيتًا لبنى رَبيعة .

وكان ذو الـكَعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بِسَنداد .

## أولاد عبد المطلب بن هاشم

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وستّ نِسْوة : العباسَ ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب ، والزُّبير[٢] والحارث ، وحَجْلا ، والمقوِّم ، وضِرَارا ، وأبا لهب[٣] ، وصَفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتـكة ، وَأُميمة ، وَأَرْوى ، وبَرّة .

فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ، محمد بن

---

(١) كذا فى الأصنام لابن الكلبى ، وكان أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجا ، كأنه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ، وكانت سدنته بنو بولان . وبولان هو الذى بدأ بعبادته .

(٢) الزبير هو أكبر أعمام النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يرقص النبى صلى الله عليه وسلم وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبدم ... عشت بعيش أنعم
فى دولة ومغنم ... دام سجيس الأزلم

وبنته ضباعة كانت تحت المقداد ، وابنه عبد الله من الصحابة رضى الله عنهم . وكان الزبير يكنى أبا طاهر ، بابنه الطاهر ، وكان من أظارف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر ، ويقال : إن الزبير كان ممن يقرون بالبعث .

(٣) واسم أبى لهب عبد العزى ، وكنى أبا لهب لإشراق وجهه .

Marfat.com

عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعَلَى آله . وأمه : آمنة بنت وَهْب بن عبد مناف بن زُهْرَة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَى بن غالب ابن فِهرْ بن مالك بن النَّضْر .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرفُ ولد آدم حسبًا ، وأفضلهم نسبًا من قِبَل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم[1] .

# ذكر احتفار زمزم

بينما عبد المطّلب بن هاشم نائمٌ فى الحِجر إذ أُتى فأمر بحفر زمزم ، وهى دَفنٌ بين صَنَمىْ قُريش : إسافٍ ونائلة ، عند مَنحر قريش . وكانت جُرْهم دَفنَتها حين ظعنوا من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، التى سقاه الله حين ظَمِىَ وهو صغير ، فالتمست له أمُّهُ ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعوا الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المَرْوة ففعلت مثلَ ذلك . وبعث اللهُ تعالى جبريل عليه السلام ، فهمز له[2] بعَقِبه فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصواتَ السِّباع فخافتها عليه ، فجاءت تشتدّ نحوَه ، فوجدته يَفْحص[3] بيده عن الماء من تحت خدّه ويشرب ، فجعلته حِسيًا[4] .

وكان من حديث جُرْهم ، ودَفْنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومَنْ وَلِى أمرَ مكة بعدها إلى أن حَفَر عبدُ المطلب زمزم ، أنه لما توفى إسماعيل بن إبراهيم وَلى البيتَ

(١) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما ولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تنازعنىْ الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت فى أفضل حيين فى العرب : هاشم وزهرة » .

(٢) ومن هنا سميت زمزم أيضا : همزة جبريل ، وهزمة جبريل . وقال المسعودى : سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليها ، والزمزمة : صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء ، وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة . وقيل : بل سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا .

(٣) يفحص : يكشف .

(٤) الحسى : الحفيرة الصغيرة ؛ وقيل : أصل الحسى مايغور فى الرمل ، فإذا بحث عنه ظهر .

Marfat.com

بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يَليه . ثم وَلِيَ البيتَ بعده مُضاض بن عمرو الجرهمي .

وبنو إسماعيل وبنو نابت مع جدهم مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهم[١]. وجُرْهم وقَطُوراء[٢] يومئذ أهلُ مكة ، وهما ابنا عمّ . وكانا ظَعنا من اليمن فأقبلا سيَّارةً ، وعلى جُرْهم مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء السَّمَيْدع ، رَجُلٌ منهم . وكانوا إذا خرَجوا من اليمن لم يَخرُجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرَهم . فلما نزلا مكة رَأَيا بلداً ذا ماء وشَجَر ، فأعجبهما فنزَلا به . فنزَل مُضاض بن عَمْرو بمَنْ معه من جُرْهم بأعْلى مكة بقُعَيْقِعان[٣] فما حازَ . ونزل السميدع بقَطوراء . أسفلَ مكةَ بأجْياد[٤] فما حاز . فكان مضاض يَعْشُر[٥] مَنْ دَخَلَ مكة مِن أعلاها ، وكان السميدع يَعْشُر مَنْ دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ في قومه لايدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جُرْهم وقَطُوراء بغَى بعضُهم على بعض ، وتنافسوا المُلْكَ بها ، ومع مُضاض يومئذ بنو إسماعيل وبنو نابت ، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمَيْدع . فسار بعضُهم إلى بعض ، فخرج مُضاض بن عَمْرو من قُعَيْقعان في كتيبته سائراً إلى السَّمَيْدع ، ومع كتيبته عُدَّتها من الرِّماح والدَّرَق والسُّيوف والجعاب يُقَعْقع بذلك معه ، فيقال ما سُمِّي قعيقعان بقعيقعان إلاّ لذلك . وخرج السَّميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال ، فيقال ما سمى أجياد أجياداً إلا لخروج الجياد[٦] من الخيل مع السَّميدع منه ، فالتَقَوْا بفاضِح[٧] ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل السميدع ، وفُضِحت

(١) جرهم : هو قحطان بن عابر بن شالخ .

(٢) قطوراء : هو قطوراء بن كركر .

(٣) قعيقعان : جبل بمكة .

(٤) أجياد : موضع بمكة يلي الصفا .

(٥) يقال عشر فلان القوم عشرا وعشورا : إذا أخذ عشر أموالهم .

(٦) هذا بعيد ، لأن جياد الخيل لا يقال فيها أجياد ، وأما أجياد فجمع جيد . وقد ذكر أن مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مئة رجل من العمالقة فسمي الموضع أجيادا لهذا .

(٧) فاضح : موضع قرب مكة عند أبي قبيس ، كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم .

Marfat.com

قطوراء . فيقال ما سُمى فاضح فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصُّلح ، فساروا حتى نزلوا المَطابخ : شِعْبًا بأعلى مكة واصطلحوا به ، وأسلَموا الأمرَ إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمْرُ مكة فصار مُلْكُهَا له ، نَحَرَ للناس فأطعمهم ، فاطّبخ الناسُ وأكلوا ، فيقال ما سمّيت المَطابخ المطابخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمّيت المطابخ ، لِمَا كان تُبّع نحر بها وأطعم ، وكانت منزلَه . فكان الذى كان بين مُضاض والسّميدع أولَ بغْى كان بمكة فيما يزعمون .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة . وأخوالُهم من جُرْهم ، ولاة البيت والحكّام بمكة ، ولا ينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرْمة أن يكون بها بَغى أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوَطِئوهم .

## استيلاء قوم كنانة وخزاعة على البيت ونفى جرهم

ثم إن جُرْهما بَغَوْا بمكة ، واستحلّوا خِلالا من الحرمة ، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدَى لها[1] ، ففرقَ أمرُهم . فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة ، وغُبْشان من خُزاعة ذلك ، أجمعوا لحَرْبهم وإخراجهم من مكة . فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بَكْر وغُبْشان ، فنفَوْهم من مكة . وكانت مكة فى الجاهلية لا تُقِرّ فيها ظُلْمًا ولا بَغيا ، ولا يبْغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى

(١) كان كل ما يهدى إلى الكعبة يلقى فى بئر قريبة القعر ، كان احتفرها إبراهيم عليه السلام عند باب الكعبة . ويقال : إنه لما فسد أمر جرهم ، وسرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة دخل رجل منهم البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها . كما يذكرون أنه أرسلت على البئر حية ، فكانت تهيب من يدنو منها .

Marfat.com

الناسّة[1] ، ولا يريدها ملك يستحلُّ حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال إنها ما سمّيت ببكّة إلا أنها كانت تبُكّ[2] أعناقَ الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئًا .

ويقال إن بكة اسم لبطن مكة ، لأنهم يتباكون فيها ، أى يزدحمون .

فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمى بغزالَي الكعبة وبحجر الركن فدفنها فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جُرْهم إلى اليمن ، فحزِنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلكها حزنًا شديداً .

## استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

ثم إن غُبْشان من خزاعة وَلِيتْ البيت دون بنى بكْر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقُرَيش إذ ذاك حُلول وصِرْم[3] ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة . فوليتْ خزاعةُ البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيَّة الخزاعى .

ثم إن قُصَىّ بن كلاب خطب إلى حُليل بن حُبْشية ابنتَه حُبّى ، فرغب فيه حُليل فزوّجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العُزّى ، وعبداً . فلما انتشر ولدُ قصىّ ، وكثر ماله ، وعظم شرَفه ، هلك حُليل .

فرأى قُصىّ أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا قُرْعة[4] إسماعيل بن إبراهيم وصَريح وَلَده . فكلم رجالا من قُرَيش ، وبنى كنانة ، ودعاهم إلى

---

(١) كما كانت تسمى النساسة ، وهما من « نس » بمعنى يبس وأجدب ، كما يقال لها : «الباسة» أيضا ، وهو من البس بمعنى التفتيت .

(٢) تبك : تكسر .

(٣) الصرم : الجماعات المتقطعة .

(٤) والقرعة : نخبة الشيء وخياره .

Marfat.com

إخراج خُزاعة وبنى بَكْر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة بن حَرَام ، من عُذْرة ابن سعد بن زيد قد قدِم مكة بعد هُلْك كِلاب ، فتزوّج فاطمة بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرة يومئذ رجل ، وقصىّ فَطِيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قُصيًّا معها، وأقام زُهْرة فولدت لربيعة رِزاحا . فلما بلغ قُصىّ وصار رجلا أتى مكة ، فأقام بها[1] ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمه ، رِزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نُصْرته ، والقيام معه . فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته فيمن تبعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مُجمِعون لنُصرة قُصَى . وخُزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيًّا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكّة من خُزاعة ، فعند ذلك طلب قُصىّ ما طلب[2] .

---

(١) والسبب فى رجوعه إلى مكة ، هو أنه لما كان غلاما ــ وكان يدعى إلى ربيعة لأنه لايعلم له أب إلا إياه ــ تساب هو ورجل من قضاعة ، فعيره بالدعوة وقال له : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق . فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يابنى ، صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباءك أشرف من آبائه وإنما أنت قرشى ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة .

(٢) ويقال أيضا فى انتقال ولاية البيت إلى قصى : أن حليلا كان يعطى مفاتيح البيت إلى ابنته حبى حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى ، فأبت خزاعة أن تمضى ذلك لقصى ، فمنذ ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة .

كما يذكر أيضا : أن حليلا لما كبر ولم يُقدر على فتح الباب وإغلاقه ، عهد بالمفاتيح إلى أبى غبشان وهو من خزاعة ، واسمــه سليم بن عمرو ــ فابتاعها منه قصى بزقّ خمر ، فقيل : أخسر من صفقة أبى غبشان .

وكان الأصل فى انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة : أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه إياد ، أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه واحتملوه على بعير ، فرزح البعير به وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخرَ ، فرزح أيضا . وعلى الثالث ، ففعل مثل ذلك . فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ولم يروه ، وقعوا فى كرب عظيم . وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلوا لهم عن ولايته ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ؛ فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صارت إلى بنى عبد مناف .

Marfat.com

فولى قصىّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملّكوه . إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دينا فى نفسه لاينبغى تغييره . فأقرّ آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرَّة بن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كلّه . فكان قصىّ أولَ بنى كَعْب بن لؤى أصابَ مُلْكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحِجابة(١) ، والسِّقاية(٢) ، والرِّفادة(٣) ، والنَّدْوة(٤) واللِّواء(٥) ، فحاز شرف مكة كلّه . وقطع مكة رِباعا بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها ، ويزعم الناس أن قريشا هابوا قطع شجر الحَرَم فى منازلهم ، فقطعها قصىّ بيده وأعوانه(٦) ، فسمَّته قريشٌ مُجمِّعًا لما جمع من أمرها ، وتيمّنت بأمره ، فما تُنكح امرأةٌ ، ولا يتزوّج رجلٌ من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يَعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فى داره ، يعقده لهم بعضُ

---

(١) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه .

(٢) السقاية : يعنى سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شرابا فى الموسم للحاج الذى يوافى مكة ويمزجونه تارة بعسل ، وتارة بلبن ، وتارة بنبيذ ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم .

(٣) الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم ، ويقولون : هم أضياف الله تعالى .

(٤) الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى ، وكانت الدار التى اتخذها قصى الملك يقال لها دار الندوة وهذه الدار صارت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، فباعها فى الإسلام بمئة ألف درهم . وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك . وقال : أبعت مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله ، فأينا المغبون ؟ .

(٥) اللواء : يعنى فى الحرب ، لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون .

(٦) المعروف والأصح أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : كيف نصنع فى [illegible] ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يطوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله ، وأن أول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة ، وكذلك يروى عن عمر رضى الله عنه أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العزى ، وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر رضى الله عنه ، ووداها بقرة .

ولده ، وما تَدَرَّع[1] جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا فى داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدَّرِعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدِّين المتبع لا يُعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تَقْضى أمورَها .

فلما فرغ قصىّ من حَرْبه ، انصرف أخوه رِزاح بن ربيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه .

فلما كبر قُصىّ ورقّ عظمه ، وكان عبد الدار بِكْرَه ، وكان عبد مناف قد شَرُف فى زمان أبيه وذهب كلَّ مذهب ، وعبدُ العزّى وعبدٌ ، قال قصىّ لعبد الدار : أما والله يابُنىَّ لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك : لايدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تَفتحها له ، ولايعقِد لقُريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا مِنْ سِقايتك ، ولا يأكل أحدٌ من أهل المَوْسم طعامًا إلا من طعامك . ولاتقطع قريش أمراً من أمورها إلا فى دارك . فأعطاه داره دار النَّدْوة ، التى لا تقضى قريش أمرا من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحِجابة واللواء والسقاية والرِّفادة .

وكانت الرِّفادة خَرْجًا تُخرجه قريش فى كل موْسم من أموالها إلى قُصىّ بن كِلاب فيصنع به طعاما للحاجّ ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعة ولا زاد . وذلك أن قصيًّا فَرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : « يا معشرَ قريش ، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهل الحرم ، وإن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته ، وهم أحق الضَّيف بالكرامة . فاجعلوا لهم طعامًا وشرابا أيامَ الحج ، حتى يصدُرُوا عنكم » ففعلوا . فكانوا يُخرجون لذلك كلَّ عام من أموالهم خرجًا فيدفعونه إليه . فيصنعه طعاما للناس أيام مِنى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا . فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

---

(١) ادرعت الجارية : لبست الدرع .

Marfat.com

# ذكر ماجرى من اختلاف قريش

## بعد قصي وحلف المطيبين

ثم إن قُصَيّ بن كلاب هلك ، فأقام أمرَه في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختطّوا مكة رِباعا[1] ، بعد الذي كان قطع لقومه[2] بها ، فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حُلفائهم ويبيعونها ؛ فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قُصَيّ : عبدَ شمس وهاشما والمطّلب ونوفلاً[3] أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ مما كان قُصَيّ جعل إلى عبد الدار من الحِجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم ، وفضلهم في قومهم ؛ فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم ، وكانت طائفة مع بني عبد الدار ، يرون أن لا يُنزع منهم ما كان قُصَيّ جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبدُ شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنّ بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تَيم بن مُرّة بن كعب ، وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر ، مع بني عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مُرّة ، وبنو سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب . وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، وبنو عديّ بن كعب ، مع بني عبد الدار .

---

(١) الرباع : المنازل وما حولها ، واحدها : ربع .

(٢) تقدم أن قصيا أنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها .

(٣) وقد كان لعبد مناف ولد خامس ، وهو أبو عمرو ، واسمه عبيد ، أدرج ولا عقب له .

وخرجت عامر بن لُؤَىّ ومُحارب بن فهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعقد كل قوم على أمرهم حِلفًا مؤكّدًا على أن لايتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضُهم بعضًا مابلّ بحرٌ صوفة[١] .

فأخرج بنو عبد مناف جفنةً مملوءة طِيبًا ، فيزعمون أن بعض[٢] نساء بنى عبد مناف أخرجتْها لهم ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غَمس القومُ أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسُمّوا المُطَيَّبين .

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا ، على أن لايتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسموا الأحلاف[٣] .

ثم سُوند[٤] بين القبائل ، ولُزّ[٥] بعضها ببعض ، فعُبِّيت بنو عبد مناف لبنى سهم ، وعُبِّيت بنو أسد لبنى عبد الدار ، وعُبِّيت زُهْرة لبنى جُمَح ، وعُبِّيت بنو تَيم لبنى مَخزوم ، وعُبِّيت بنو الحارث بن فِهر لبنى عَدِىّ بن كعب ، ثم قالوا لتُفْنِ كلُّ قبيلة من أُسند إليها .

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يُعطوا بنى عبد مناف السقايةَ والرفادة ، وأن تكون الحِجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت

---

(١) يريد إلى الأبد . وصوف البحر : شىء على شكل الصوف الحيوانى ، واحدته : صوفة . يقال : لاآتيك مابل بحر صوفة . أو مابل البحر صوفة . يريد لا آتيك أبدا .

(٢) يقال : إن التى أخرجت لهم الجفنة هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه .

(٣) ويقال إن عمر كان من الأحلاف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من المطيبين .

(٤) المساندة : المقابلة والمعاونة .

(٥) لز : أى شد بعضها ببعض .

Marfat.com

كلُّ قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : ما كانَ من حِلف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يَزِدْهُ إلا شدّةً[1] .

## حلف الفضول

وأما السبب فى حلف الفضول[2] فيذكرون أن قبائل من قريش تداعت إلى حِلف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدْعان لشرفه وسنّه فكان حلفهم عنده :

---

(١) يريد المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذا يجتمع هذا الحديث وحديث آخر له صلى الله عليه وسلم وهو : « لاحلفَ فى الإسلام » . على أن يكون المراد من هذا الحديث الثانى النهى عما كانت تفعله الجاهلية من المحالفة على الفتن والقتال بين القبائل والغارات . وقيل إن الحديث الثانى وهو « لاحلف فى الإسلام » جاء لاحقا ، قاله الرسول صلى الله عليه وسلم زمن الفتح ، فهو ناسخ للحديث الأول .

(٢) يذكرون فى سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم أن جرهما فى الزمن الأول ، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف ، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فضالة ، والثانى : الفضل ابن وداعة ، والثالث : فضيل بن الحارث ؛ فلما أشبه حلف قريش هذا حلفَ هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول .

وقيل : بل سمى كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يغزو ظالم مظلوما .

وكان حلف الفضول هذا قبل البعث بعشرين سنة ، وكان أكرم حلف وأشرفه . وأول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ، ومخزوما ، وجمح ، وسهما ، وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى ، وزبروه ( انتهروه ) . فلما رأى الزبيدى الشر ، أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك . فاجتمعت هاشم ، وزهرة ، وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاما وتعاقدوا ، وكان حلف الفضول . وكان بعدها أن أنصفوا الزبيدى من العاصى .

بنو هاشم ، و بنو المطلب ، وأسَد بن عبد العُزّى ، وزُهْرَة بن كِلاب ، وتَيم بن مُرّة . فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لايجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على مَنْ ظلَمه حتى تردّ عليه مَظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان[1] حلفاً ما أحب أنّ لى به حُمْر النَّعم[2] ولو أُدْعَى به فى الإسلام لأجبت .

فولى الرِّفادة والسِّقاية هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفاراً قلّما يقيم بمكة ، وكان مُقِلاً ذا وَلَدٍ ، وكان هاشم مُوسِراً فكان إذا حضر الحاجّ قام فى قريش فقال : « يامعشر قريش ! إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زوّار الله وحجّاج بيته ، وهم ضَيْف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضَيْفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التى لابدّ لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان مالى يَسع لذلك ما كلفتكموه » . فيخرجون لذلك خَرَجا من أموالهم ، كل أمرئ بقدر ماعنده ، فيصنع به للحجاج طعاما حتى يصدُروا منها .

وكان هاشم أول من سنّ الرحلتين لقريش رحلتى الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة ، وإنما كان اسمه عَمراً ، فما سُمِّىَ هاشماً إلا بِهَشْمِهِ الخبز بمكة لقومه .

---

(١) هو عبد الله بن جدعان ، ويكنى أبا زهير . وهو ابن عم عائشة رضى الله عنها ، ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، إنه لم يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين .

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك فاتكا لا يزال يجنى الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف ألا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات ، ثم كان أن أثرى ابن جدعان بعثوره على ثعبان من ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فأوسع فى الكرم حتى كان يضرب بعظم جفنته المثل ، ومدحه أمية بن أبى الصلت لكرمه.

(٢) أى لا أحب نقضه ، وإن دفع لى حمر النعم فى مقابلة ذلك .

ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغَزَّة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطّلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت قريش إنما تُسَمِّيه الفيضَ لسماحته وفضله .

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة فتزوّج سَلمى بنت عمرو ، وكانت قبله عند أُحيحَة بن الجُلاح . فولدت له عمرو بن أُحيحَة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أنّ أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلا فارقته .

فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمّته شَيْبة[1] . فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً[2] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمُّه المطلب ليقبِضَه فيُلحقه ببلده وقومه ؛ فقالت له سَلمى : لستُ بمُرْسلته معك؛ فقال لها المطلب : إنى غيرُ منصرف حتى أخرج به معى ، إنّ ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا نَلى كثيرا من أمورهم، وقومه و بلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم .

وقال شيبة لعمّه المطلب : لست بمفارقها إلا أن تأذن لى . فأذِنتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبد المطلب ، ابتاعه . فبها سمّى شَيْبَةُ عبدَ المطلب . فقال المطّلب : وَيْحَكم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة .

ثم هلك المطلب برَدْمان[3] من أرض اليمن .

ثم وَلِى عبدُ المطّلب بن هاشم السقايةَ والرِّفادة بعد عمِّه المطّلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم ، وشَرُف فى قومه شرفًا لم يبلغه أحدٌ من آبائه ، وأحبّه قومُه ، وعظم خَطَرُه فيهم .

---

(١) سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ، ويكنى بأبى الحارث أكبر ولده .

(٢) الوصيف ( كقتيل ) : الغلام دون المراهقة .

(٣) ردمان : موضع باليمن .

Marfat.com

# ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

قال عبد المطلب :

إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آتٍ فقال . احْفِر طِيبة[١] . قلت : وما طيبة ؟ ثم ذهب عنّى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال: احفر بَرّة[٢] . فقلت: وما برة ؟ ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احفر المَضنونة[٣] . فقلت : وما المضنونة ؟ ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعى فنِمْت فيه ، فجاءنى فقال : احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِف[٤] أبداً ولا تُذَمّ[٥] ، تسقى الحَجيجَ الأعظم ، وهى بين الفَرْث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعصم[٦] ، عند قَرْية[٧] النَّمل .

فلمَّا بُيِّن له شأنُها ، ودُلّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صُدِق ، غَدَا بمِعْوله ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيرُه ، فحَفَر فيها . فلمّا بدا لعبد المطلب الطَّي[٨] كبّر ، فعرفتْ قريشٌ أنه قد أدرك حاجتَه ، فقاموا إليه، فقالوا : يا عبدَ المطلب!

---

(١) قيل لزمزم طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم .

(٢) قيل لهـا برة ، لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار .

(٣) قيل لهـا مضنونة ، لأنها ضن بها على غير المؤمنين .

(٤) لاتنزف : لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها .

(٥) لاتذم : أى لا توجد قليلة الماء ؛ تقول : أذممت البئر : إذا وجدتها قليلة المـاء .

(٦) الأعصم من الغربان : الذى فى جناحيه بياض .

(٧) إنمـا خصت بهذه العلامات الثلاث لمعنى زمزم ومائها . فأما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طعم ، وشفاء سقم ؛ وأما عن الغراب الأعصم ففيه إشارة إلى ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » . وأما قرية النمل ، ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب ، فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهى لا تحرث ولا تزرع ، وقرية النمل كذلك لاتحرث ولاتبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب.

(٨) الطى : الحجارة التى طوى بها البئر .

Marfat.com

إنها بئرُ أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقًّا، فأشرِكْنا معك فيها ؛ قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ؛ فقالوا له : فأنصفنا فإنّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ؛ قال : فاجعلوا بيني و بينكم مَنْ شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا: كاهنة بَني سَعْد هُذَيم ، قال نعم . وكانت بأشراف الشام .

فركب عبدُ المطلب ومعه نَفَر من بَني أبيه من بني عبد مناف ، وركب من كلّ قبيلة من قريش نَفَر ، والأرض إذ ذاك مَفاوز ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفاوز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقَوْا مَنْ معهم مِنْ قبائل قُرَيش ، فأبَوْا عليهم ، وقالوا : إنا بمفَازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . فلما رأى عبد المطلب ما صنع القومُ وما يتخوّف على نفسه وأصحابه ، قال : ما ذا ترَوْن ؟ قالوا : ما رأيُنا إلا تَبَعٌ لرأيك ؟ فمُرْنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يَحْفِر كلّ رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دَفعه أصحابُه فى حُفْرته ثم واروْه ، حتى يكون آخرُكم رجلاً واحدًا ، فضَيْعةُ رجل واحد أيسر من ضَيْعة ركبٍ جميعًا ؛ قالوا : نِعْم ما أمرتَ به .

فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموتَ عطشًا، ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لا نَضْرب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا لَعَجْز ، فعسى الله أن يَرْزقنا ماء ببعض البلاد ، ارْتَحِلوا ، فارتحلَوا حتى إذا فرغوا ، ومَنْ معهم من قبائل قُرَيش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدّم عبدُ المطلب إلى راحلته فرَكِبها . فلمّا انبعثت به انفجرتْ من تحت خفّها عينٌ من ماء عَذْب ، فكبّر عبدُ المطلب وكبّر أصحابه ، ثم نزل فشَرب وشَرب أصحابُه واستَقَوْا حتى ملئوا أسقيَتهم، ثم دعا القبائل من قُريش فقال : هلُمّ إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقُوا ؛ فجاءوا فشَرِبوا واستَقَوْا . ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبدَ المطّلب ، والله لا نخاصمك

Marfat.com

فى زَمْزم أبدا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفَلاة لهو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سِقايتك راشدًا. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

[ وقيل ] إنه قيل له حين أُمِر بحَفْر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرَّوِى غيرِ الكَدِرْ يَسْقِى حَجِيجَ اللهِ فى كل مَبَرّ[1]

* ليس يُخاف منه شىء ما عَمَرْ *

فخرج عبدُ المطلب، حين قيل له ذلك، إلى قُرَيش فقال : تعلَموا أنّى قد أُمرت أن أحْفِر لكم زمزم؛ فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هى؟ قال : لا؛ قالوا : فارجع إلى مَضجعك الذى رأيتَ فيه ما رأيتَ، فإن يك حقًا من الله يُبيّن لك، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبدُ المطّلب إلى مَضجعه فنام فيه. فأُتى فقيل له : احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهى تراث من أبيك الأعظم، لا تنزِف أبداً ولا تُذَمّ، تسقى الحجيجَ الأعظم، مثل نَعام جافل[2] لم يُقسَّم، يَنذِر فيها ناذرٌ لمنْعِم، تكون ميراثًا وعَقْداً مُحكَم، ليستْ كبعض ما قد تعلم، وهى بين الفَرْث والدم.

قال : وأين هى؟ قيل له : عند قرية النمل، حيثُ ينقرُ الغراب غداً.

فغدا عبد المطلب ومعه ابنُه الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقُر عندها بين الوَثَنين : إساف ونائلة، اللذين كانت قُرَيش تنحر عندهما ذبائحها. فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفِر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدّه فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وَثَنَينا هذين اللذين ننحر عندهما؛ فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنّى حتى أحفِر، فوالله لأمضين لِما أُمرت به. فلما عرفوا أنه غيرُ نازع، خلّوا بينه وبين الحَفْر وكفّوا عنه، فلم يحفِر إلا يسيرًا حتى بدا له الطّى، فكبّر وعرف أنه قد صُدِق. فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان

---

(١) مبر : يريد مناسك الحج ومواضع الطاعة، وهو مفعل من البر.

(٢) الجافل، الكثير.

Marfat.com

دَفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافًا قَلْعِية وأدراعا ؛ فقالت له قريش: ياعبدَ المطلب! لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحقّ؛ قال: لا! ولكن هلُمّ إلى أمرٍ نَصَفٍ[1] بينى وبينكم: نضرب عليها بالقِداح[2]؛ قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحين، ولى قِدْحين ولكم قدحين، فمن خرج له قِدْحاه على شىء كان له، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شىء له؛ قالوا: أنصفتَ. فجعل قِدْحين أصفرَيْن للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب، وقِدْحين أبيضَيْن لقريش؛ ثم أعطوا القداحَ صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل: صنم فى جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم — وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجل، فضرب صاحبُ القِداح فخرج الأصفران على الغزَالَيْن للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلّف قِدْحَا قُرَيش، فضرب عبد المطّلب الأسيافَ بابًا للكعبة، وضرب فى الباب الغزَالَيْن من ذهب. فكان أولَ ذهب حُلِيته الكعبة، فيما يزعمون. ثم إن عبدَ المطّلب أقام سقاية زمزم للحجّاج.

وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئارًا بمكة، فعفّت زمزم على البِئار[3] التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاجّ، وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سِواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرتْ بها بَنو عبد مناف على قُرَيش كلّها، وعلى سائر العرب، وما أقاموا للناس من ذلك.

(١) النصف: اسم من الإنصاف.

(٢) القداح: جمع قدح، وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به. يقال للسهم أول ما يقطع: قطع (بكسر القاف وسكون الطاء) ثم ينحت ويبرى فيسمى: بريا، ثم يقوم قدحا، ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما، وهذه هى الأزلام المذكورة فى قوله عز وجل: «وأن تستقسموا بالأزلام».

(٣) عفت على البئار: غطت عليها وأذهبتها.

Marfat.com

# ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

وكان عبدُ المطلب بن هاشم قد نذَر حين لقى من قريش مالقى عند حَفر زمزم ، لئن وُلد له عشرةُ نفَر ، ثم بلغوا معه حتى يَمنعوه ، لَينحَرنّ أحدَهم لله عندَ الكعبة.

فلما توافَى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جَمَعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نَصنع ؟ قال : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمَه ، ثم ائتونى . ففعلوا ثم أتوْه ، فدخل بهم على هُبَل فى جَوْف الكعبة وكان هُبَل عَلَى بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهْدَى للكعبة .

وكان عند هُبَل قِداح سبعة ، كل قِدْح منها فيه كتاب . قِدْح فيه « العَقْل »(١) إذا اختلفوا فى العقْل مَنْ يَحْمِله منهم ، ضربوا بالقداح السَّبعة(٢) ، فإن خرج العقْل فَعلى مَنْ خرج حَمْله . وقِدْح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه يُضرب به فى القِداح ، فإن خَرَج قِدْح « نعم » عملوا به . وقِدْح فيه « لا » إذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القِداح ، فإن خرج ذلك القِدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه « مِنكُم » ؛ وقدْح فيه « مُلْصَق » . وقدح فيه « مِنْ غيرِكم » . وقدْح فيه « المِياه » إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَرَبوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُنكِحوا منكحا ، أو يَدْفنوا مَيْتا ، أو شكّوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجَزور ، فأعطَوْها صاحبَ القِداح الذى يضرب بها ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يريدون به مايريدون ، ثم قالوا : يا إلاهنا ! هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرِج الحق

---

(١) العقل : الدية .

(٢) ويروى أنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : أمرنى ربى . وعلى الآخر : نهانى ربى . والثالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا . ولعلهم كانوا يستعملون الطريقتين .

فيه ، ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ، فإن خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطا[١] وإن خرَج عليه « مِنْ غَيْرِكم » كان حَليفا ، وإن خرَج عليه « مُلصَق » كان على مَنزلته فيهم ، لانسَب له ولا حِلْف ، وإن خرج فيه شئْ مما سوَى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج «لا» أخّروه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرّةً أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح .

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضربْ عَلَى بَنِيّ هؤلاء بقِداحهم هذه . وأخبرَه بنَذْره الذى نَذَر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه .

وكان عبدُ الله أحبَّ وَلدِ عبد المطلب إليه ، فكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْم إذا أخطأه فقد أشْوَى[٢] ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخذ صاحبُ القِداح القداحَ ليضرب بها ، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله ؛ ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشَفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذْبحه ؛ فقالت له قريش وبنوه : والله لاتذبحه أبدًا حتى تُعْذِر فيه ، لئن فعلتَ هذا لايزال الرجلُ يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال له المُغيرة بن عبد الله والله لاتذبحه أبدا حتى تُعذِر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فدَيناه . وقالت له قريش وبنوه : لاتفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنّ به عرّافةً لها تابع ، فسَلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتْك بذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرَجٌ قبلته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها بخَيْبر ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها ، وقصّ

---

(١) وسيطا : خالص النسب فيهم ، : ويقال إن الوسيط هو الشريف فى قومه ، لأن النسب الكريم دار به من كل جهة ، وهو وسط .

(٢) أشوى : أبق ، يقال : أشويت من الطعام : إذا أبقيت .

عليها عبد المطلب خبَرَه وخبَرَ ابنه ، وما أراد به ونَذْره فيه ؛ فقالت لهم : ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله ؛ فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدَوْا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبرُ ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرِّبوا صاحبكم وقرِّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداحِ ، فإن خرجتْ عَلَى صاحبكم ، فزيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربُّكم ، وإن خرجتْ عَلَى الإبل فانحروها عنه ، فقد رضيَ ربُّكم ونجا صاحبُكم .

فخرجوا حتى قَدِموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، وعبد المطلب قائمٌ عند هُبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبدالمطلب يدعوالله عزَّوجلّ ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبدالمطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله . فزادوا عشراً من الإبل . فبلغت الإبل خمسين . وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله . فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله فزادوا عشراً من الإبل . فبلغت الإبل سبعين . وقام عبد المطلب يدعو الله . ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل تسعين وقام عبدالمطلب يدعوالله ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل مائة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربِّك يا عبد المطلب .

Marfat.com

فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرّات ؛ فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القدْح عَلَى الإبل ، ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، فنُحرت ثم تُركت لايصدّ عنها إنسان ولا يُمنع .

## ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به على امرأة من بنى أسَد ، وهى أخت وَرَقة بن نَوْفل وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك مثلُ الإبل التى نُحِرَتْ عنك وقَعْ علىّ الآن ، قال : أنا مع أبى ولا أستطيع خِلافَه ولا فراقه .

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف ، وهو يومئذ سيّد بنى زُهْرة نسباً وشرفاً ، فزوّجه ابنته آمنة بنتَ وَهْب ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً .

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها[1] مكانَه فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عَرضتْ عليه ماعرضتْ ، فقال لها : مالك لا تَعرِضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجةٌ . وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقة بن نَوْفل، وكان قد تنصّر واتّبع الكتُب ، أنه سيكون فى هذه الأمة نبىّ .

ويقال إنّ عبد الله إنما دُخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهْب ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من أثر

(١) أملك المرأة ( بالبناء للمجهول ) : تزوجها .

الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامداً إلى آمنة فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبَى عليها ، وعَمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمّد صلّى اللهُ عليهِ وسلّم . ثم مرّ بامرأته تلك فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررتَ بى وبين عَيْنَيْك غُرّة بيضاء ، فدعوتُك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبَتْ بها .

## ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

ويزعمون أن آمنة بنت وَهْب أمّ رسول الله صَلى اللهُ عليهِ وسلم كانت تحدث . أنها أُتِيَتْ ، حين حملَتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أُعيذه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سَمّيه[1] محمداً . ورأتْ حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأتْ به قُصور بُصْرَى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبثْ عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنْ هلك وأمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملٌ به[2] .

(١) لايعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز ، أن يكون ولدا لهم . وهم : محمد ابن سفيان ، جد جد الفرزدق الشاعر ؛ والآخر : محمد بن أحيحة ، والآخر : محمد بن حمران . وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ، ففعلوا ذلك .

(٢) أكثر العلماء على أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهد ، ابن شهرين أو أكثر من ذلك . وقيل بل مات عبد الله عند أخواله بنى النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان وعشرين شهرا . ويقال إنه دفن فى دار النابغة .

Marfat.com

# ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته

قال ابن إسحاق :

ولد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول ، عامَ الفيل(١) .

فلما وضعته أمهُ صلّى اللهُ عليه وسلم أرسلت إلى جدّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فَأْتِه فانظرْ إليه ؛ فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثته بما رأت حين حَملتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تُسمّيه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبةَ . فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمّه فدَفعه إليها(٢) . والتمس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم الرضعاء .

فاسترضع له(٣) امرأة من بنى سَعْد بن بكر ، يقال لها : حليمة ابنةُ أبى ذُؤَيب :

واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحارث بن عبد العُزّى .

---

(١) اختلف فى مولده صلى الله عليه وسلم ، فذكر أنه كان فى ربيع الأول ، وهو المعروف . وقال الزبير : كان مولده فى رمضان . وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به فى أيام التشريق . ويذكرون أن الفيل جاء مكة فى المحرم وأنه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يوما . وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب ؛ وقيل بالدار التى عند الصفا ، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت .

(٢) وفى رواية أخرى أن عبد المطلب عوذه بشعر ، منه :

الحمد لله الذى أعطانى ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذى الأركان

(٣) كذا فى ا . واسترضعت المرأة ولدى : طلبت منها أن ترضعه . وفى سائر الأصول : « واسترضع له من امرأة » .

و إخوته من الرضاعة : عبدُ الله بن الحارث ، وأُنَيْسة بنت الحارث ، وحُذافة بنت الحارث ، وهى الشَّيماء ، غلب ذلك على اُسمها فلا تُعرف فى قومها إلا به ، وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشَّيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم[1] .

كانت حليمة بنت أبى ذُؤَيب السّعدية ـ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ـ تحدّث : أنها خرجتْ من بَلدها مع زوجها ، وابن لها صغير تُرضعه فى نِسْوة من بنى سعد بن بَكر ، تلتمس الرُّضعاء ، وذلك فى سنة شَهْباء ، لم تُبق لنا شيئا . فخرجتُ على أتان لى قَمراء[2] ، معنا شارف[3] لنا ، والله ماتَبِضّ[4] بقَطرة ، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صَبينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، مافى ثديَىّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يغدّيه ، ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفرج .

فخرجتُ عَلَى أتانى تلك ، فلقد أَدَمْتُ بالرَّكب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفا وعَجفًا[5] ، حتى قَدِمْنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منّا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنّا نرجو المعروفَ من أبى الصبىّ ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمّه وجدُّه ! فكنا نكرهه لذلك .

فما بقيت امرأة قدمتْ معى إلا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاقَ قلتُ

---

(١) ويقال إن أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم : ثويبة ، أرضعته بلبن ابن لها يقال له : مسروح أياما قبل أن تقدم حليمة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة . فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدا منهم حيا ، وكانت ثويبة جارية لأبى لهب . كما يقال إنه صلى الله عليه وسلم رضع أيضا من غير هاتين .

(٢) القمرة ( بالضم ) لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة . يقال : حمار أقمر ، وأتان قمراء .

(٣) الشارف : الناقة المسنة .

(٤) ماتبض : ماترشح بشئ .

(٥) أدمت بالركب : أطلت عليهم المسافة . العجف : الهزال .

Marfat.com

لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه ، قال : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

فذهبتُ إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجدْ غيرَه !

فلما أخذته رجعت به إلى رحْلي ، فلما وضعته في حِجْري[1] أقبلَ عليه ثَدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارِفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلَب منها ما شَرب . وشربتُ حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعا ، فبتنا بخير ليلة ، وقال لي صاحبي حين أصبحنا : تعلمِى والله ياحليمة ، لقد أخذتِ نسمةً مباركة . فقلت : والله إني لأرجو ذلك .

ثم خرجنا وركبت أنا أتاني ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ، ما يَقدِر عليها شيء من حُمُرهم ، حتى إنّ صَواحبي ليقلْن لي : يابنة أبي ذُؤيب ، ويحك! اربَعي[2] علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى ، فيقلن : والله إن لها لشأنا !!

ثم قَدِمنا منازلنا من بلاد بني سَعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها ، فكانت غنمى تروح عَلَيّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعا لُبَّنًا ، فنحلُب ونشرب ، وما يحلُب إنسان قَطْرة لبن ، ولا يجدها في ضَرع ، حتى كان الحاضرون من قوْمنا يقولون لرُعيانهم : ويلكم! اسَرحوا حيث يسرَح راعى بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعا ماتَبِضَ بقطرة لبن ، وتروح غنمى شِباعًا لُبَّنا . فلم نزل نتعرّف من الله الزيادةَ والخير حتى مضت

---

(١) ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايقبل إلا على ثدى واحد ، وكان يعرض عليه الثدى الآخر فيأباه ، كأنه قد أشعر عليه الصلاة والسلام أن معه شريكا فى لبانها .

(٢) اربعى : أقيمى وانتظرى .

سنتاه وفصلتُه ، وكان يشِبّ شَبابا لا يشبهُ الغِلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفْرا[١] .

فقَدِمْنا به على أمّه ونحن أحرصُ شيء عَلَى مُكثه فينا ، لِما كنا نرى من بركته . فكلّمنا أمّه وقلت لها : لو تركت بُنىّ عندي حتى يغلُظَ ، فإنى أخشى عليه وبأ مكة ؛ ولم نزل بها حتى ردّته معنا .

فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدمنا به بأشهر مع أخيه لفى بَهْمٍ[٢] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشْتَد[٣] ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القُرشىّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه ، فشقّا بطنَه ، فهما يَسُوطانه[٤] . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما مُنتقَعًا[٥] وجهُه ، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يابنىّ ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقّا بطنى ، فالتمسا فيه شيئًا لا أدرى ماهو . فرجعنا به إلى خبائنا .

وقال لى أبوه : ياحليمة ! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فاحتملناه فقَدِمْنا به عَلَى أمه فقالت : ما أقدمك به ياظِئْر[٦] ؟ وقد كنتِ حريصة عليه ، وعَلَى مكثه عندك ؟ فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى عَلَىّ وتخوّفت الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحبّين ، قالت : ما هذا شأنك ، فاصدُقينى خبرك ، فلم تدَعنى حتى أخبرتها . قالت : أفتخوّفتِ عليه الشيطانَ ؟ قلت : نعم ، قالت :

---

(١) الجفر : الغليظ الشديد .

(٢) البهم : الصغار من الغنم ، وواحدتها : بهمة .

(٣) اشتد فى عدوه : أسرع .

(٤) يقال : سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض .

(٥) منتقعا وجهه : أى متغيرا .

(٦) الظئر ( بالكسر ) : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، فى الناس وغيرهم ، فهو أعم من المرضعة ، لأنه يطلق على الذكر والأنثى .

Marfat.com

كلاّ ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لِبُنَيَّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبرَه ؟ قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرَج منّى نورٌ أضاء لى قصورَ بصْرَى[1] من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيتُ من حَمل قطُّ كان أخفَّ علىّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يدَيْه بالأرض ، رافعٌ رأسَه إلى السماء ، دَعِيه عنك وانطلقى راشدة .

° ° °

ويروى أنّ نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله أخبِرْنا عن نَفْسك ؟ قال : نعم . أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبُشْرى أخى عيسى ، ورأتْ أمّى حين حملتْ بى أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام[2] ، واستُرْضعتُ فى بنى سَعْد بن بَكْر ، فبينا أنا مع أخٍ لى خلف بُيوتنا نرعى بَهْماً لنا ، إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا ، ثم أخذانى فشقّا بطنى ، واستخرجا قَلبى فشقّاه ، فاستخرجا منه علقةً سوداء فطرحاها ثم غسَلا قلبى وبَطنى بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدُهما لصاحبه : زنْه بعشرة من أمته ؛ فوزَننى بهم فوزنتهم ثم قال : زنْه بمائة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزننى بهم فوزنتهم ، فقال : دعه عنك ، فو الله لو وزنتَه بأمته لوزنها[3] .

---

(١) بصرى : من أعمال دمشق بالشام ، وهى قصبة حوران ، مشهورة عند العرب قديما وحديثا ولهم فيها أشعار كثيرة .

(٢) وتأويل هذا النور ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية . . . . . تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم . ويحكى أن خالد بن سعيد بن العاصى رأى فى . . . . . نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو . فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب وإن هذا النور منهم . فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

(٣) وزاد الطبرى بعد هذا : « قال ثم ضمونى إلى صدرهم ، وقبلوا رأسى وما بين عينى ، ثم قالوا : ياحبيب ، لم ترع ، إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك » .



Marfat.com

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مامن نبيّ إلا وقد رَعَى الغنم ؛ قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : أنا أعربكم . أنا قرشى واستُرضعتُ فى بنى سَعْد بن بكر .

وزعم الناسُ فيما يتحدّثون ، والله أعلم : أنّ أمّه السعدية لما قدِمت به مكة أضلّها فى الناس وهى مقبلةٌ به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطّلب ، فقالت له : إنى قد قدمت بمحمّد هذه الليلةَ . فلما كنتُ بأَعلَى مكّة أضلّنى، فو الله ماأدرى أين هو؟ فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه . فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بن أَسَد، ورجلٌ آخر من قريش فأتيا به عبدَ المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأَعلَى مكة ، فأخذه عبدُ المطلب ، فجعله عَلَى عُنقه وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

ويقال إن ممّا هاج أمّه السَّعْدية عَلَى ردّه إلى أمه ، مع ماذكرتْ لأمه مما أخبرتْها عنه أنّ نفرًا من الحبشة نصارى ، رأوه معها حين رجعتْ به بعد فِطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذنّ هذا الغلام ، فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبلدنا ، فإنّ هذا غلامٌ كائن له شأن نحن نعرف أمرَه . فلم تكدْ تنفلت به منهم .

---

(١) المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعى الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وأنه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة .

Marfat.com

## وفاة آمنة وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم

### مع جده عبد المطلب بعدها

وكان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مع أُمّه آمنة بنت وَهْب ، وجدّه عبد المطلب ابن هاشم في كِلاءة الله وحِفْظه ، يُنبته الله نباتا حسناً لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ستّ سنين ، توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهْب بالأَبْواء ، بين مكة والمدينة . كانت قد قدمت به على أخواله من بني عَدِيّ بن النجّار. تُزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة[1] .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جدّه عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضع لعبد المطلب فِراش في ظلّ الكعبة ، فكان بَنوه يجلسون حول فِراشه ذلك حتى يخرج إليه . لايجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له . فكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفْر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامُه ليؤخّروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابني ، فوالله إن له لشأنا ؛ ثم يُجلسه معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسرّه ما يراه يصنع .

## وفاة عبد المطلب

فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطّلب بن هاشم . وذلك بعد الفيل بثماني سنين[2] .

فلما هلك عبدُ المطّلب بن هاشم وَلى زمزمَ والسقاية عليها بعده العباسُ بن عبد المطلب

(١) ويقال إن قبر آمنة بنت وهب في شعب أبي ذر بمكة .

(٢) وبعضهم يقول : توفي عبد المطلب ورسول الله ابن عشر سنين .

Marfat.com

وهو يومئذ من أحدث إخوته سنًا ؛ فلم تزل إليه حتى قام الإسلامُ وهي بيده . فأقرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ما مضى من ولايته .

## كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب يُوصي به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب أخوان لأب وأم ، أمهما فاطمة بنت عمرو.

وكان أبو طالب هو الذي يَلي أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه فكان إليه ومعه .

ويقال إنّ رجلا من لِهْب كان عائفا[1] ، فكان إذا قَدِم مكّة أتاه رجالُ قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم فأتى به أبو طالب وهو غلام ، مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء . فلما فرغ قال : الغلام ! عليَّ بهِ ! فلما رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيّبه عنه ؛ فجعل يقول : ويلكم ! رُدُّوا عليَّ الغلام الذي رأيت آنفا ، فو الله ليكوننّ له شأن .

## قصة بحيرى

ثم إنّ أبا طالب خرج في رَكْب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيّأ للرحيل وأجمع المسيرَ ، صَبَّ به[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يزعمون ـ فرقّ له أبو طالب ، وقال : والله لأخرجنّ به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا ، فخرج به معه ، فلما نزل الرَّكْبُ بُصْرى من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له بحيرى في صَوْمعة له ، وكان

(١) العائف الذي يتفرس في خلقة الإنسان فيخبر بما يئول حاله إليه .

(٢) صب به : مال إليه .

Marfat.com

إليه عِلْمُ أهْل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قطّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العامَ ببَحِيرى ، وكانوا كثيرا مايمرّون به قبلَ ذلك فلا يكلّمهم ولا يعْرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنَعَ لهم طعاما كثيراً ، وذلك لأنه وهو فى صومعته ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا ، وغمامة تُظله من بين القوم .

ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتَهصّرت(١) أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعتُ لكم طعاما يامعشرَ قُريش ، فأنا أحبّ أن تحضُروا كلكم ، صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرّكم ؛ فقال له رجل منهم : والله يابَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليومَ ! فما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كنا نمرّ بك كثيرا ! فما شأنُك اليومَ ؟ قال له بَحِيرى : صدقتَ ! قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمكم ، وأصنعَ لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه ، فى رحال القوم تحت الشجرة . فلما نظرَ بحيرَى فى القوم لم يرَ الصفةَ التى يعرِفُ ويجدُ عنده فقال : يامعشر قريش ! لايتخلفنّ أحدٌ منكم عن طعامى ؛ قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتيَك إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سنًّا ، فتخلّف فى رِحالهم ؛ فقال : لاتفعلوا ، ادعوه فليحضُر هذا الطعامَ معكم .

فقال رجل من قريش مع القوم : واللاتِ والعزّى ، إن كان لَلؤمٌ بنا أن يتخلّف

---

(١) تهصرت : مالت وتدلت .

ابن عبد الله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه[١] وأجلسه مع القوم . فلما رآه بَحِيرَى جعل يَلْحَظُه لَحظًا شديداً وَ ينظرُ إلى أشياء من جَسَدِه ، قد كان يجدُها عنده من صِفَتِه ، حتى إذا فرَغ القومُ من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرَى فقال له : ياغلام أسألك بحق اللاتِ والعزّى إلاّ ماأخبرتَنى عمّا أسألُك عنه .

و إنما قال له بحيرَى ذلك ، لأنه سمعَ قومهُ يَحلِفون بهما[٢] . فزعموا أنّ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قال له : لاتسألنى باللاتِ والعزّى ، فوالله ماأبغضتُ شيئًا قطُّ بغضَهما ؛ فقال له بحيرَى . فبالله إلاّ ماأخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : سَلْنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حالِه فى نوْمه وهيئتِه وأموره ، فجعل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يُخبره ، فيوافق ذلك ماعند بَحِيرَى من صفتِه ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَمَ[٣] النبوّة بين كَتِفَيْه على موضعه من صفتِه التى عنده . وكان مثلَ أثر المِحْجَم[٤] .

فلما فرغ أقبل عَلَى عمّه أبى طالب ، فقال له : ماهذا الغلامُ منك؟ قال : أبنى . قال له بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهـذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابنُ أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلَى به ، قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحْذر عليه يهودَ ، فوالله لئن رأوْهُ وعَرفوا منهُ ماعرفتُ لَيَبْغُنّه شرًّا ، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسرِعْ به إلى بلاده .

فخرج به عمُّه أبوطالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارتِه بالشام ، فزعموا فيما رَوى الناسُ : أن زُرَيْرًا وتمَّاما ودَريسا ، وهم نَفَر من أهل الـكتاب ، قد كانوا رأوْا

(١) احتضنه : أخذه مع حضنه ، أى مع جنبه .

(٢) ويقال إنه إنما سأله باللات والعزى اختبارا .

(٣) قيل سمى بذلك ، لأنه من العلامات التى يعرفه بها علماء الكتب السابقة .

(٤) المحجم : الآلة التى يحجم بها . يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا . وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود ، وأنه كان كالتفاحة ، أو كبيضة الحمامة . عند نغض (غضروف) كتفه اليسرى .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مارآه بَحِيرَى فى ذلك السفر ، الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه فردّهم عنهُ بحيرَى وذكّرهم اللهَ وما يجدون فى الكتاب من ذِكْره وَصفتِهِ ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه . ولم يزَلْ بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

فشبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يَكْلَؤُه ويحفظه ويحوطُه من أقذار الجاهليّة ، لما يريد بَه من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً ، وأفضلَ قومه مروءةً ، وأحسَنَهم خُلقًا ، وأكرَمهم حَسبًا ، وأحسَنهم جواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقَهم حديثا ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التى تُدَنِّس الرجال تنزّها وتكرما ، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين ، لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدِّثُ عما كان الله يحفظه به فى صِغَرِه ، وأمْر جاهليته، أنه قال :

لقد رأيتنى فى غِلمانِ قُريش ننقل حجارةً لبعض ما يلعب به الغِلْمانُ ، كلّنا قد تعرّى ، وأخذ إزاره فجعله على رَقَبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأُقبل معهم كذلك وأُدْبِر ، إذ لَكَمَنى لاكِمٌ ما أراه ، لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك إزارَك ، فأخذتُه وشددته عَلَيّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة عَلَى رقبتى وإزارى عَلَيّ من بين أصحابى[1] .

---

(١) قال السهيلى فى التعليق على هذه القصة : « وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وإزاره مشدود عليه ؛ فقال له العباس رضى الله عنه : يابن أخى ، لو جعلت إزارك على عاتقك ؛ ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال إزارى ! إزارى ! فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة .

وفى حديث آخر : أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يامحمد . قال : وإنه لأول مانودى .

وحديث ابن إسحاق ، إن صح أن ذلك كان فى صغره إذ كان يلعب مع الغلمان ، فمحمله على أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة فى حال صغره ، ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة » .

Marfat.com

# حرب الفجار

فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عشرةَ سنةً أو خمسَ عشرةَ سنة هاجت حرب الفجار بين قُرَيش، ومن معهم من كِنانة، و بين قَيْس عَيْلان.

وكان الذى هاجها أنَّ عُروة الرَّحَّال أجار لَطيمةً[1] للنعمان بن المُنْذر[2]. فقال له البرَّاض بن قَيْس: أتُجيرها على كِنانة؟ قال: نعم، وعلى الخَلْق كله. فخرج فيها عُروة الرَّحَّال وخرج البَرَّاض يَطْلب غفْلته، حتى إذا كان بتَيْمَن ذى طِلال بالعالية[3]، غَفل عُروة، فوثب عليه البَرَّاض فقتله فى الشهر الحرام، فلذلك سمِّىَ الفِجار فى ذلك.

فأتى آتٍ قريشاً فقال: إنَّ البَرَّاضَ قد قَتل عُرْوةَ، وهم فى الشهر الحرام بعُكاظ، فارتحلوا وهوازنُ لا تَشْعر بهم، ثم بلغهم الخبرُ فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليلُ، ودخلوا الحرمَ، فأمسكت عنهم هَوازن، ثم التَقَوْا بعد هذا اليوم أيامًا، والقوم مُتساندون[4] على كل قَبِيل من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم، وعلى كل قَبيل من قَيْس رئيسٌ منهم.

وشهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أيامهم، أخرجه أعمامُه معهم. وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كنت أُنَبِّل على أعمامى: أى أردّ عليهم نَبْلَ عدوّهم إذا رَمَوْهم بها.

---

(١) اللطيمة: الجمال التى تحمل التجارة.

(٢) وذلك أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه.

(٣) تيمن ذو طلال: واد بعالية نجد.

(٤) متساندون: أى ليس لهم أمير واحد يجمعهم.

Marfat.com

# السيدة خديجة

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وعشرين[1] سنة ، تزوج خديجة[2] بنتَ خُوَيلد .

وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلد امرأةً تاجرة ذاتَ شرف ومال، تستأجر الرجال فى مالها وتُضاربهم[3] إياه ، بشىء تجعله لهم ، وكانت قُرَيش قومًا تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها ، من صدْق حَديثه ، وعِظَم أمانته ، وكَرَمِ أخلاقه ، بعثتْ إليه ، فعرضتْ عليه أن يَخرُج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيرَه من التجار ، مع غُلام لها يقال له مَيْسرة ، فقَبِله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها مَيسرة حتى قَدِم الشام .

فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبًا من صَوْمعة راهب[4] من الرّهبان ، فاطّلع الراهبُ إلى مَيْسرة ، فقال له : من هذا الرجلُ الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له مَيْسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم ؛ فقال له الراهبُ : مانزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبىّ[5] .

(١) وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين سنة ، وقيل ثلاثين ، كما قيل سبعا وثلاثين ، وقيل غير ذلك .

(٢) وكان عمر خديجة إذ ذاك أربعين سنة . وقيل : خمسا وأربعين . وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة ، لشدة عفافها وصيانتها . وكانت تحت أبى هالة بن زرارة التميمى ، ومات أبو هالة فى الجاهلية ، وقد ولدت له خديجة هندا وأبا هالة .

وبعد أن مات أبو هالة عن خديجة تزوجها عتيق بن عابد المخزومى ، فولدت له بنتا اسمها هند ، وقد أسلمت وصحبت .

(٣) تضاربهم : تقارضهم ؛ والمضاربة : المقارضة .

(٤) وكان اسم هذا الراهب نسطورا ، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره .

(٥) يريد مانزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ، ولم يرد مانزل تحتها قط إلا نبى .

ثم باع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سلعَته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه مَيْسرةُ .

فكان ميسرةُ إذا كانت الهاجرةُ واشتدّ الحرّ يرى مَلَكَيْن يُظلاّنه من الشمس، وهو يسير على بعيره . فلما قَدِم مكة على خديجة بمالها ، باعتْ ما جاء به ، فأضعفَ أو قريبًا[1] . وحدّثها ميسرةُ عن قول الراهب ، وعمّا كان يُرى من إظلال المَلَكَيْن إياه .

وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفة لبيبة ، مع ما أراد اللهُ بها من كرامته . فلما أخبرها مَيسرة بما أخبرها به بعثت[2] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ، فيما يزعمون : يابن عمّ ! إنى قد رَغِبتُ فيك لقَرابتك ووَسِطَتِك[3] فى قومك ، وأمانتك وحُسْن خُلقك ، وصدْق حديثك ، ثم عرضتْ عليه نفسَها . وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا ، وأعظمهنّ شرفا ، وأكثرهنّ مالاً ، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدِر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمّه

---

(١) وروى الزرقانى فى اختيار خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أبا طالب قال : يابن أخى ، أنا رجل لا مال لى ، وقد اشتد الزمان علينا ، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة : وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك ، لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتى الشام ، وأخاف عليك من يهود ؛ ولكن لا نجد من ذلك بدا ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : لعلها ترسل إلى فى ذلك ؛ فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولى غيرك . فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له . ثم كان أن أرسلت إليه ، لعلمها قبل هذا بصدقه وأمانته .

(٢) هذا قول ابن إسحاق : أنها عرضت عليه نفسها من غير وساطة ، ويذهب غيره إلى أنها عرضت عليه نفسها بوساطة ، وأن ذلك كان على يد نفيسة بنت منية ، والجمع ممكن ، فقد تكون بعثت نفيسة أولا لتعلم أيرضى أم لا ؟ فلما علمت بذلك كلمته بنفسها .

(٣) وسطتك : شرفك .

Marfat.com

حمزة[1] بنُ عبد المطلب ، رحمه الله ، حتى دخل على خُوَيلد[2] بن أسَد فخطبها إليه فتزوّجها .

وأصْدَقَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوَّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوّج عليها غيرَها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَه كلّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهرَ[3] ، والطّيب ، وزينبَ ، ورُقية ، وأمّ كُلثوم ، وفاطمةَ ، عليهم السلام .

وأكبرُ بَنيه القاسمُ ، ثم الطّيِّب ، ثم الطّاهر ، وأكبرُ بناته رُقيةَ ، ثم زينب ، ثم أم كُلثوم ، ثم فاطمة .

فأما القاسمُ ، والطيب ، والطاهرُ فهلكوا[4] فى الجاهلية . وأما بناتُه فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمنَ وهاجرنَ معه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ويقال إن الذى نهض معه صلى الله عليه وسلم هو أبو طالب ، وهو الذى خطب خطبة النكاح . وقيل : لعلهما خرجا معه جميعا وخطب أبو طالب الخطبة ، لأنه كان أسن من حمزة .

(٢) وذكر الزهرى أن خويلد أبرم هذا الزواج ، وهو سكران ، فلما أفاق أنكر ذلك ، ثم رضيه وأمضاه ، وفى ذلك يقول راجز من أهل مكة :

لا تزهدى خديج فى محمد نجم يضىء كإضاء الفرقد

وذكر غير ابن إسحاق أن خويلدا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد . كما يقال أيضا بأن الذى أنكحها هو أخوها عمرو بن خويلد .

(٣) يشعر سياق الحديث هنا وفيما سيأتى ، أن الطاهر والطيب شخصان ، والمعروف أنهما لقبان لعبد الله ، وبهما كان يلقب .

(٤) فى موت القاسم فى الجاهلية خلاف . فقد ذكر السهيلى أن القاسم مات رضيعا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة بعد موت القاسم ، وهى تبكى ، فقالت : يارسول الله لقد درت لبينة القاسم ( اللبينة تصغير لبنة ، وهى قطعة من اللبن ) . فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون على ! فقال : إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة ؛ فقالت بل أصدق الله ورسوله .

وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التى أهداها له المقوقسُ من حَفن من كورة أنصِنا .

وكانت خديجة بنت خُويلد قد ذكرت لورَقة[١] بن نَوفل ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس ، ماذكرلها غلامُها ميسرةُ من قولِ الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلاّنه ؛ فقال وَرَقَةُ : لئن كان هذا حقًّا ياخديجةُ ، إن محمداً انبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظر ، هذا زمانهُ .

## حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

### بين قريش فى وضع الحجر

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة[٢] ، وكانوا يهمّون بذلك ليُسقّفوها، ويهابون هَدْمها . وإنما كانت رَضْماً[٣] فوق القامة ، فأرادوا رَفعها وتَسقيفها ، وذلك أن نفرا سرقوا كنزا للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وُجد عندهُ الكنز دُوَيْكاً ، مولى لبنى مُلَيح ابن عمرو ، من خزاعة فقطعت قريش يدَه . وتزعم قريشٌ أنّ الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجار الروم فتحطمت ، فأخذوا خشبها

---

(١) لاعقب لورقة هذا ، وهو أحد من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعث .

(٢) بنيت الكعبة عدة مرات ، والثالثة منها حين بنتها قريش هذه المرة، وكان ذلك قبل الإسلام بخمس سنين . والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير . فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها ، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير فى بنائها ، وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، ثم زاد فيه عثمان ، ثم زاد ابن الزبير فى إتقانه لا فى سعته، ثم زاد عبد الملك بن مروان فى ارتفاع المسجد .

(٣) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

فأعدّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ ما يُصْلحها .

وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرح فيها مايُهدى لها كل يوم ، فتتشرّق[1] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَألّتْ وكشّت[2] وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها . فبينا هى ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها . فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية ! !

فلما أجمعوا أمرَهم فى هدْمها و بنائها ، قام أبو وهْب بن عمْرو ، وهو خال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناول من الكعبة حجرا ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشرَ قريش لا تُدْخِلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طيِّبا ، لا يدخل فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيْع رِبًا ، ولا مظلمة أحد من الناس[3] .

ثم إن قريشا جزّأت الكعبة ، فكان شقّ[4] الباب لبنى عبد مناف وزهْرة ، وكان مابين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخْزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمح وسهم . وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قصىّ ، ولبنى أسد ابن العُزّى بن قُصىّ ، ولبنى عدى بن كعب بن لُؤى ، وهو الحطيم[5] .

ثم إن الناس هابوا هدْمها وفرِقوا منه . فقال الوليدُ بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها

---

(١) تتشرق : تبرز للشمس . ويقال : تشرقت : إذا قعدت للشمس لايحجبك عنها شىء .

(٢) احزألت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض .

(٣) وفى رواية أخرى : لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا ، ولا قطعتم فيه رحما ، ولا انتهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس .

(٤) الشق : الناحية والجانب .

(٥) قيل : سمى حطيما ، لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا ؛ وقيل بل لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطواف .

Marfat.com

فأخذ المِعولَ ، ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ[١] ، اللهم لم نَزُغْ[٢] ، اللهم لانريد إلا الخير . ثم هدم من ناحيه الركنين .

فتربص الناسُ تلك الليلةَ وقالوا : ننظرُ فإن أُصيب لم نهدم منها شيئا ورددْناها كما كانت ، وإن لم يُصِبه شيء ، فقد رضى الله صُنْعَنا، فهدَمْنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وَهَدَّم الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساسِ إبراهيم عليه السلام ، أفضَوا إلى حجارة خُضر كالأسنِمة[٣] آخذٌ بعضها بعضا .

ويقال إن رجلا من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلةً بين حجَرَين منها ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرّكَ الحجرُ تنقضت[٤] مكة بأسرها . فانتهوْا عن ذلك الأساس .

ثم إن القبائل من قُرَيش جَمَعَت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حِدَة ثم بنَوْها حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن[٥] . فاختصموا فيه كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا[٦] وتحالفوا وأعدّوا للقتال . فقرّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم و بَنو عدى بن كعْب بن لُؤَى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسمُوا لَعَقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا .

فقال أبو أُمية بن المغيرة وكان عامئذٍ أسنَّ قُريش كلها : يامعشرَ قُريش اجعلوا بينكم

---

(١) لم ترع : لم تفزع . والضمير فيها يعود على الكعبة .

(٢) لم نزغ : أى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه ، يقال : زاغ عن كذا ، إذا خرج عنه .

(٣) الأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، فشبهها بها .

(٤) تنقضت : اهتزت .

(٥) يريد بالركن : الحجر الأسود . وسمى ركنا ، لأنه مبنى فى الركن .

(٦) تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة .

فيما تختلفون فيه أوّلَ من يدخل من باب[١] هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا . فكان أوّل داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ؛ هذا محمد .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هلمّ إلىّ ثوبا ؛ فأُتى به . فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه ، هو بيده ثم بنى عليه .

وكانت قريش تسمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن ينزل عليه الوحى : الأمين .

وكانت الكعبة على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عَشرةَ ذراعا ، وكانت تُكسَى القَباطى[٢] ، ثم كُسِيت البُرود[٣] ، وأول من كساها الديباجَ الحجّاجُ ابن يوسف[٤] .

وقد كانت قُرَيش ابتدعت رأى الحُمْس[٥] رأيًا رأوه وأداروه ؛ فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحرمة وولاة البيت وقطّان مكة وساكنها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقنا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تَعرفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العربُ بحُرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفة والإفاضة منها ، وهم يَعرفون ، ويُقِرّون أنها من المشاعر[٦] والحجّ ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ويَرَوْنَ

(١) هو باب بنى شيبة ، وكان يقال له فى الجاهلية : باب بنى عبد شمس .

(٢) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) البرود : ضرب من ثياب اليمن .

(٤) وكساها ابن الزبير قبل الحجاج الديباج ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام .

(٥) الحمس : جمع أحمس . والأحمس : المشتد الصلب فى الدين .

(٦) المشاعر : المواضع المشهورة فى الحج ، لايتم إلا بها .

Marfat.com

سائر العرب ، أن يَقفوا عليها ، وأن يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الُحرمة ولا نعظم غيرها كما نُعظمها نحن الحُمْس ، والحُمْس أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلَدوا من العرب من ساكن الحل والحَرم مثلَ الذى لهم ، بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرُم عليهم ما يحرم عليهم .

ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن لهم ، حتى قالوا : لاينبغى للحُمْس أن يَأْتقِطوا الأقط[1] ، ولا يَسلئوا[2] السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتًا من شَعر ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأدَم[3] ما كانوا حُرُمًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لاينبغى لأهل الحِل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم ، إذا جاءوا حُجّاجا أو عُمّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِموا أولَ طَوافهم إلا فى ثياب الُحمْس ، فإن لم يجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عُراةً ، فإن تكرّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الُحمْس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحلّ ، ألقاها إذا فرغ من طَوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمسّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبدا .

فكانت العربُ تسمّى تلك الثيابَ اللَّقَى[4] . فحملوا على ذلك العربَ ، فدانت به . ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُراةً : أما الرجال فيطوفون عراة ، وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابها كلها إلا دِرْعًا مُفرّجا[5] عليها ، ثم تَطوف فيه . فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :–

اليومَ يبدو بعضُه أو كله  وما بدا منه فلا أحِله

ومَنْ طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحِلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره .

---

(١) الأقط : شيء يتخذ من المخيض الغنمى . وجمعه أقطان . وأقط الطعام : عمله به .

(٢) سلأت السمن واستلأته : إذا طبخ وعولج ، والاسم : السلاء ( بالكسر ممدود ) .

(٣) بيوت الأدم : الأخبية التى تصنع من الجلد .

(٤) اللقى : الشيء الملقى . ويقال : المنسى ، وجمعه : ألقاء .

(٥) المفرج : المشقوق من قدام أو خلف .

Marfat.com

# إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى

وكانت الأحبار من يَهود ، والرُّهبان من النصارى ، والكُهَّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبْعثه ، لما تقارَب من زمانه .

أمّا الأحبار من يَهود ، والرهبان من النصارى ، فعمّا وَجدوا فى كُتبهم من صِفته وصِفة زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه .

وأمّا الكُهّان من العَرب فأتتهم به الشياطينُ من الجنّ فيما تَسْترق من السمع ؛ إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقَذْف بالنجوم . وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقَع منهما ذِكرُ بعضِ أموره ، لا تُلْقى العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون ، فعرفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَضَر مَبْعثُه ، حُجبت الشياطينُ عن السَّمْع ، وحِيل بينها وبين المقاعد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ أنّ ذلك لأمر حَدَث من أمر اللهِ فى العباد[1] . يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه محمد صلّى الله عليهِ وسَلم حين بعثه ، وهو يقُص عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السمع فعَرفوا ما عرَفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوْا مارَأوْا : ( قُلْ اوحِىَ إلَىَّ أنّهُ اسْتَمعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إنَّا سَمِعْنَا قرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أحَدًا . وَأَنّهُ تَعالَى جَدُّ[2] رَبِّنَا ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا . وَأَنّهُ

---

(١) وقد قالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ؛ فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق ، فإن كان رمى به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا .

(٢) الجد : العظمة . يقال : جد فلان فى عينى : إذا عظم . ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ؛ أى عظم فى عيوننا .

سائر العرب ، أن يَقفوا عليها ، وأن يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الُحرمة ولا نعظم غيرها كما نُعظمها نحن الحُمْس ، والُحمْس أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحَرم مثلَ الذى لهم ، بولادتهم إياهم يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرُم عليهم ما يحرم عليهم .

ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن لهم ، حتى قالوا : لاينبغى للحُمْس أن يَأْتَقِطوا الأقط[1] ، ولا يَسلئوا[2] السمن وهم حرُم ، ولا يدخلوا بيتًا من شَعَر ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأدَم[3] ما كانوا حُرُمًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لاينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم ، إذا جاءوا حُجَّاجا أو عُمَّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِموا أولَ طَوافهم إلا فى ثياب الُحمْس ، فإن لم يجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عُراةً ، فإن تكرّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الُحمْس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحلّ ، ألقاها إذا فرغ من طَوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبدا .

فكانت العربُ تسمّى تلك الثيابَ اللَّقَى[4] . فحملوا على ذلك العربَ ، فدانت به . ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُراةً : أما الرجال فيطوفون عراة ؛ وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابها كلها إلا دِرْعًا مُفرّجا[5] عليها ، ثم تَطوف فيه . فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :-

اليومَ يبدو بعضُه أو كله ... وما بدا منه فلا أحِله

ومَنْ طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الِحلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره .

---

(١) الأقط : شىء يتخذ من المخيض الغنمى . وجمعه أقطان . وأقط الطعام : عمله به .

(٢) سلأت السمن واستلأته : إذا طبخ وعولج ، والاسم : السلاء ( بالكسر ممدود ) .

(٣) بيوت الأدم : الأخبية التى تصنع من الجلد .

(٤) اللقى : الشىء الملقى . ويقال : المنسى ، وجمعه : ألقاء .

(٥) المفرج : المشقوق من قدام أو خلف .

Marfat.com

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سُنن حجه : ( ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يعنى قريشًا . والناس : العرب . فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ، حين طافوا عُراةً وحرّموا ماجاءوا به من الحلّ من الطعام : ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١) ) . فوضع الله تعالى أمرَ الحُمْس ، وما كانت قُرَيش ابتدعت منه على الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسولَه صلى الله عليه وسلم .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى قبل أن ينزل عليه الوحيُ ، وإنه لواقفٌ على بَعيرٍ له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدْفع معهم منها ، توفيقًا من الله له ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرًا(٢) .

(١) المراد بالزينة فى الآية اللباس وعدم التعرى . وقوله تعالى : « كلوا واشربوا » . إشارة إلى ماكانت الحمس حرمته من طعام الحج إلى طعام أحمسى .

(٢) وذلك حتى لا يفوته صلى الله عليه وسلم ثواب الحج والوقوف بعرفة . ولقد قال جبير حين رآه واقفا بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمسى ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟!.

# إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى

وكانت الأحبار من يهود ، والرُّهبان من النصارى ، والكُهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مَبعثه ، لما تقارَب من زمانه .

أمّا الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، فعمّا وَجدوا فى كُتبهم من صِفته وصِفة زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه .

وأمّا الكُهّان من العَرب فأتتهم به الشياطينُ من الجنّ فيما تَسْترق من السمع ؛ إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقَذْف بالنجوم . وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقع منهما ذِكرُ بعضِ أموره ، لا تُلقى العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون ، فعرفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَضَر مَبعثُه ، حُجبت الشياطينُ عن السَّمْع ، وحِيل بينها و بين المقاعد التى كانت تَقعُد لاستراق السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ أنّ ذلك لأمْر حَدَث من أمر اللهِ فى العباد[1] . يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه محمد صلّى الله عليهِ وسَلم حين بعثه ، وهو يقُص عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السمع فعَرفوا ما عرَفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوْا ما رأوْا : ( قُلْ اوحِىَ إلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ[2] رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا . وَأَنَّهُ

---

(١) وقد قالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ؛ فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق ، فإن كان رمى به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا .

(٢) الجد : العظمة . يقال : جد فلان فى عينى : إذا عظم . ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ؛ أى عظم فى عيوننا .

كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا[١] . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ) إلى قوله : ( وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا[٢] . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ) .

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفتْ أنها إنما مُنعت من السَّمعِ قبل ذلك لئلا يُشكِلَ الوحيُ بشيء من خَبَر السماء ؛ فيَلتبس[٣] على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوُقوع الحجّة ، وقَطع الشبهة . فآمنوا وصدّقوا ، ثم ( وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ) الآية .

وكان قولُ الجن : ( وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ) أنه كان الرجلُ من العَرب من قُريش وغيرهم ، إذا سافر فنزل بَطْنَ وَادٍ من الأرض لِيَبيت فيه قال : إنى أعوذ بعَزيز هذا الوادى من الجن الليلةَ من شرّ ما فيه .

ويقال إن أول العرب فَزِع للرّمى بالنجوم حين رُمى بها ، هذا الحىّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأيًا ، فقالوا له : ياعمرو ! ألم ترَ ماحدث فى السماء من القَذْف بهذه النجوم؟ قال : بلى! فانظروا فإن كانت معالم[٤] النجوم التى يُهتدى بها فى البرّ والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصّيف والشتاء ، لِما يُصلح الناسَ فى معايشهم ، هى التى يُرمى بها ، فهو والله طىّ الدنيا ،

(١) المراد به الكفر . من شطت الدار : إذا بعدت ، فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب .

(٢) الرصد : الراصد أى يجد شهابا راصدا له . أو هو اسم جمع للراصد . على معنى : ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع .

(٣) وكذلك كان رمى الجن بالنجوم فى الجاهلية ، إلا أنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد .

(٤) معالم النجوم : النجوم المشهورة .

وهلاكُ هذا الخلْق الذى فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهـذا لأمرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق ، فما هو[1] ؟

وقيل إن رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم قال لهم : ماذا كنتم تقولون فى هـذا النجم الذى يُرمى به ؟ قالوا : يا نبى الله ! كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مُلِّكَ ملك ، وُلد مولود ، مات مولود ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولـكنّ اللهَ تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خَلْقِه أمرًا سمعه حَمَلةُ العرش ، فسبّحوا فسبّح مَنْ تحتهم ، فسبح لتسبيحهم مَنْ تحت ذلك ، فلا يزال التّسبيحُ يهْبِط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبحوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سبّحتم ؟ فيقولون : سبّح مَنْ فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون مَنْ فوقكم مِمَّ سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مِمَّ سبّحتم ؟ فيقولون : قضى اللهُ فى خَلْقِه كذا وكذا ، للأمر الذى كان . فيهبطُ به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهّم واختلاف ، ثم يأتوا به الـكُهان من أهلِ الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الـكُهّانُ ، فيصيبون بعضا ويُخطئون بعضا . ثم إن الله عزّ وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقذفون بها ، فانقطعت الـكَهانة اليومَ ، فلا كهانة .

ويروى أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجدَ ، يريد عمرَ بن الخطاب . فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه قال : إن هذا الرجل لعلَى شِرْكه مافارَقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية . فسلّم عليه الرجلُ ثم جلس . فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله

(١) ومثل هـذا ماحدث لبنى لهب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر وما حدث من أمر النبوة .

Marfat.com

ياأمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ فىّ ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ماوليتَ . فقال عمر : اللهم غَفراً[1] ، قد كنا فى الجاهلية على شرّ من هذا ، نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام . قال : نعم . والله ياأمير المؤمنين لقد كنتُ كاهنا فى الجاهلية ؛ قال : فأخبرنى ماجاءك به صاحبك ؟ قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه[2] فقال : ألم ترَ إلى الجن وإبلاسها[3] ، وإياسها[4] من دينها ، ولُحوقها بالقِلاص[5] وأحلاسها[6] ؟؟.

فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدّث الناس : والله إنى لعند وَثَن من أوثان الجاهلية فى نفَر من قريش ، قد ذَبح له رجل من العرب عجلاً فنحن ننتظر قَسْمه ليَقْسِم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قطُّ أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أوشَيعه ، يقول : ياذَرِيح[7] ، أمرٌ نَجِيح ، رجل يَصيح . يقول : لا إله إلا الله .

---

(١) غفرا : كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل . ومعناها : اللهم اغفر لى غفرا . ويقال إن عمر مازحه . فقال : مافعلت كهانتك ياسواد ؟ فغضب وقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هــذا من عبادة الأصنام ، وأكل الميتات ، أفتعيرنا بأمر تبت منه ؟ فقال عمر حينذاك : اللهم غفرا .

(٢) شيعه : دونه بقليل .

(٣) أبلس الرجل : إذا سكت ذليلا أو مغلوبا .

(٤) الإياس : اليأس .

(٥) القلاص من الابل : الفتية .

(٦) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير ، ثم يوضع عليه رحل ، ليقيه من الدبر .

(٧) كذا فى الأصول . ولعله نداء للعجل المذبوح ، لقولهم : أحمر ذريحى : أى شديد الحمرة . فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم .

ويروى : « ياجليح » ، ويقال إن جليح : اسم شيطان . والجليح ( لغة ) : ما تطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، الواحدة : جليحة ، وهو على هذا المعنى اللغوى وصف العجل أيضا ، على أن العجل قد جلح : أى كشف عنه الجلد .

Marfat.com

## إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت العرب تتحدث فيما بينها ، بعد اعتناقها الإسلام ويتذاكرون ما كانوا عليه مع من جاورهم من يهود :

إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا ، لَمَا كنا نسمع من رجال يَهود وكنا أهلَ شِرْك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم عِلْمٌ ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا و بينهم شرور ، فإذا نِلنا منهم بعضَ ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيّ يُبعث الآن ، نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم ، فكنّا كثيرا ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجَبْناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرَفنا ما كانوا يتوعّدوننا به فبادرناهم إليـه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزَل هؤلاء الآيات من البقرة : « وَلَمّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ[1] عَلَى الذِينَ كَفَرُوا فَلمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كفَرُوا بهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافِرِينَ » .

وقال سَلَمَة بن سلامة بن وقش ، وكان من أصحاب بدْر ، قال :

كان لنا جار من يَهود فى بَنى عبدِ الأشهل ، فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بَنى عبْد الأشهل ، وأنا يومئذٍ من أحْدث مَنْ فيه سنًّا ، عَلَيّ بُرْدة لى ، مُضطجع فيها بفِناء أهلى ، فذكر القيامةَ والبَعْث والحِساب والميزان والجنّة والنار ؛ قال ذلك لقوم أهلِ شِرْك أصحاب أوثان ، لايَرَوْن أنّ بعثا كائن بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ! أوَترى هذا كائنًا ؟ أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنّة ونار يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ! والذى يُحلف به ، ولَوَدّ أن له بحظّه من تلك النار أعظمَ تنّور فى الدار

(١) يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكون . وفى كتاب الله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين » .

Marfat.com

يُحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطيّنونه عليه ، بأن يَنْجو من تلك النار غدا ؟ فقالوا له : ويحك يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبيّ مَبْعوث من نحو هذه البلاد ؟ وأشار بيده إلى مكة واليمن ؟ فقالوا : ومتى تراه ؟ فنظر إلىّ ، وأنا مِنْ أحدثهم سنًّا ، فقال : إن يَسْتنفد هذا الغلامُ عمرَه يُدركه .

فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسولَه صلى الله عليه وسلم ، وهو حيّ بين أظهرنا ، فآمنّا به وكفر به بغيا وحسدًا . فقلنا له : ويحك يافلان ! ألستَ الذى قلتَ لنا فيه ماقلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به ! !

## إسلام سلمان رضى الله عنه

ويروى عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سلمان الفارسى ، وأنا أسمع مِنْ فِيه ، قال :

كنتُ رجلا فارسيًا من أهل أصْبهان من قرْية يُقال لها جَيّ . وكان أبى دِهْقانَ[1] قرْيته ، وكنتُ أحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليه ، لم يزل به حبّه إياى حتى حَبَسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ قَطن النار[2] الذى يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة .

وكانت لأبى ضيعةٌ عظيمة ، فشُغل فى بُنيانٍ له يومًا ، فقال لى : يا بنيّ ! إنّى قد شُغلت فى بُنيانى هذا اليومَ عن ضَيْعتى ، فاذهب إليها ، فاطّلعْها . وأمرَنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنّى فإنك إن احتبست عنى كنتَ أهمّ إلىّ من ضَيْعتى ، وشغلتنى عن كلّ شىء من أمرى .

فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررتُ بكنيسة من كنائس النّصارى ،

(١) الدهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض ، يلجأ إليه فى معرفة ذلك .
(٢) قطن النار : خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تخبو ، لتعظيمهم إياها .

Marfat.com

فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمرُ الناس ، لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتُهم ورغبتُ فى أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برِحتُهم حتى غرَبت الشمسُ ، وتركتُ ضيعة أبى فلم آتِها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .

فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلتُه عن عمله كلّه ، فلما جئته قال : أى بنى ! أين كنتَ ؟ أولم أكُنْ عهِدتُ إليك ما عهدتُ ؟ قلت له : يا أبت ، مررتُ بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيتُ من دينهم ، فوالله ما زِلت عندهم حتى غرَبت الشمس ؛ قال : أى بُنى ! ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ ، دِينُك ودين آبائك خيرٌ منه ؛ قلت له : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . فخافنى وجعل فى رِجْلى قيدًا ، ثم حبسنى فى بيته .

وبعثتُ إلى النّصارى فقلت لهم : إذا قَدِم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبِرونى بهم . فقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تجار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم ، وأرادُوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذِنونى بهم . فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم ، فألقيتُ الحديدَ من رِجْلىّ ، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام .

فلما قَدِمْتُها قلتُ : مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدين عِلْمًا ؟ قالوا : الأسقُفُ[1] فى الكنيسة . فجئته فقلتُ له : إنى قد رَغِبْتُ فى هذا الدين ، فأحببتُ أن أكونَ معك ، وأَخْدِمُكَ فى كنيستك ، وأتعلم منك ، وأُصلّى معكَ . قال : ادخُل . فدخلتُ معه .

وكان رَجُلَ سَوْء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغّبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها أكتنزه لنفسه ، ولم يُعطِه المَساكين ، حتى جمع سَبْع قِلال من ذهب ووَرِق ، فأبغضتُه بغضاً شديداً لِما رأيته يَصْنع .

(١) الأسقف ( بالتشديد وبالتخفيف أيضا ) : عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم .

Marfat.com

ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلتُ لهم : إنّ هذا كان رجلَ سَوْء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها ا كتنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئًا ، فقالوا لى : وما عِلْمُكَ بذلك ؟ قلت لهم : أنا أدلكم على كَنْزه ، قالوا : فَدُلَّنا عليه ، فأريتُهم موضِعَه ، فاستخرجوا منه سبع قِلال مملوءة ذهبًا وَوَرِقاً . فلما رأوها قالوا : واللهِ لا نَدْفِنه أبداً . فصَلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

فما رأيتُ رجلاً لايصلى الخمس ، أرَى أنه كان أفضلَ منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغبَ فى الآخرة ولا أدأبَ ليلا ونهاراً منه ، فأحببته حبًّا لم أحبّه شيئا قبله .

فأقمتُ معه زمانًا طويلا ، ثم حضرتْه الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إنى قد كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبّه شيئا قبلك ، وقد حَضَرَكَ ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : أى بُنَىّ ! والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناسُ ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحقْ به .

فلما مات وغُيّب لحقتُ بصاحب المَوْصل ، فقلت له : يا فلان ! إن فلانًا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرَنى أنك على أمره ؛ فقال لى : أقِمْ عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحبه ، فلم يلبث أن مات . فلما حضرتْه الوفاة قلت له : يا فلان ! إن فلانًا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : يا بنى ! والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه ، إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحقْ به .

فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب نَصِيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحبه ، فقال : أقِمْ عندى . فأقمتُ عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمتُ مع خَيْر رجلٍ ، فواللهِ مالَبِث أن نزل به الموتُ ، فلما حُضِر قلت له : يا فلان ، إن فلانًا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى مَنْ تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال: يابنى! والله

ما أعلمه بَقِي أحدٌ على أمرنا آمرُك أنْ تأتيه إلا رجلاً بعَمُّورِيَة من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببتَ فأته فإنه على أمرِ نا .

فلما مات وغُيِّب ، لحقتُ بصاحب عمورية فأخبرته خَبرى ، فقال : أقِمْ عندى ، فأقمتُ عند خَيْر رجلٍ ، على هَدْى أصحابه وأمْرِهم . واكتسبتُ حتى كانت لى بقرات وغُنَيمة . ثم نزل به أمرُ الله تعالى ، فلما حُضِر قلت له : يا فلان ، إنى كنتُ مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى مَنْ تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : أى بنى ! والله ما أعلمه أصْبح اليوم أحـــدٌ على مثل ما كنا عليه مِن الناس آمرك به أن تأتيه ، ولـكنه قد أظلّ زمان نبىّ ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهَاجَره إلى أرضٍ بين حَرّتين[1] ، بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهديّة ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كَتِفَيْه خاتَم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

ثم مات وغُيّب ، ومكثتُ بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مرّ بى نَفَرٌ مِنْ كَلْب تجّار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بَقراتى هذه وغُنَيمتى هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجـل يهودى عبداً ، فـكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَف لى صاحبى ، ولم يَحِقّ فى نفسى ، فبينا أنا عنده إذ قَدِم عليه ابنُ عم له من بَنى قُرَيظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فعرفتها بصِفَة صاحبى ، فأقمتُ بها ، وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمـكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرقّ ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذْق[2] لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيّدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتى وقف

---

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سود .

(٢) العذق ( بالفتح ) : النخلة . والعذق ( بالكسر ) : الكباسة .

عليه ، فقال : يا فلانَ ! قاتلَ الله بَنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء[1] على رجل قَدِم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبيّ ! !

فلما سمعتُها أخذَتنى العُرَواء[2] ، حتى ظننتُ أنى ساقط على سيِّدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيّدى فلكمنى لكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ! أقبل على عملك . قلت : لا شىء ، إنما أردتُ أن أستثبته عما قال . .

وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذتهُ ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقُباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غرَباء ذوو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصَّدَقة ، فرأيتكم أحقّ به من غيركم .

فقرّبته إليه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : كلوا ، وأمسكَ يدَه فلم يأكل . فقلت فى نفسى : هذه واحدة . ثم انصرفتُ عنه فجمعت شيئا ، وتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هَديّة أكرمتكَ بها ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان . ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو ببَقيع الغَرْقد[3] ، قد تَبِع جنازة رجلٍ من أصحابه ، وعلىّ شملتان[4] لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلّمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتَم الذى وَصف لى صاحبى . فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرتُه ، عَرَف أنى أستثبت فى شىء

---

(١) قباء ( بالضم ) أصله اسم بئر عرفت القرية بها ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار وتقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

(٢) العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض .

(٣) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

(٤) الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان ، أى يلتحف به .

وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتَم فعرفتُه ، فأَكببتُ عليه أُقبِّله وأبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحوّل . فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصتُ عليه حديثى ، فأَعْجَب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابُه .

ثم شغل سَلْمانَ الرقُّ حتى فاتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرٌ وأُحُد .

ثم قال لى رسول الله صلى اللهُ عليه وسَلم : كاتِبْ ياسَلْمان؛ فكاتبتُ صاحبى على ثلاث مئة نخلة أُحْيِيها له بالفَقِير[1] ، وأربعين أُوقية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجلُ بثلاثين وَدِيّةً[2] ، والرجل بعشرين وَدِيّةً ، والرجلُ بخمس عشرة وَدِيّة ، والرجل بعشرٍ ، يُعين الرجل بقَدْر ماعنده ، حتى اجتمعت لى ثلاث مئة وديّةٍ ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سَلْمان ففقِّرْ لها ، فإذا فرغتَ فأْتنى أَكُن أنا أضعها بيدى .

ففقّرت وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغتُ جئتُه فأخبرتُه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها ، فجعلنا نقرّب إليه الودىّ ، ويضعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرَغنا ، فوالذى نفس سَلْمان بيده ماماتت منها ودِيّة واحدة .

فأدّيتُ النخلَ وبقىَ علىّ المالُ ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بَيْضة الدّجاجة من ذهب ، من بعض المعَادن ، فقال : مافعل الفارسىّ المُكاتَب ؟ فدُعيت له ، فقال : خُذْ هذه فأدّها مما عليك ياسَلْمان ؛ قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما علىّ ! فقال : خذها فإن الله سيؤدّى بها عنك ، فأخذتها فوزنت لهم منها — والذى نفس سَلْمان بيده — أربعينَ أُوقية فأوفيتُهم حقهم منها ، وعَتَق سَلْمان ، فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندقَ حرًّا ، ثم لم يفُتنى معه مَشْهَد .

---

(١) أى بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرت الأرض : إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر : فقيرا .

(٢) الودية : واحدة الودى ، وهو فراخ النخل الصغار .

Marifat.com

## البحث فى الأديان قبل الإسلام

واجتمعت قريش يومًا فى عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكِفون عنده ويُديرون به ، وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما ، فخلُص منهم أربعةُ نفرٍ نجيًا[1] ، ثم قال بعضُهم لبعض : تصادقوا وليكتمْ بعضُكم على بعض ، قالوا : أجل ! وهم : ورَقة بن نوْفل ، وعُبيد الله بن جَحْش ، وعثمان بن الحُوَيرث ، وزَيْد بن عمرو . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومُكم على شيء ! لقد أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم ! ماحَجَر نُطِيف به ، لايسمع ولا يُبصر ولا يضر ولا ينفع ! ياقوم ! التمسوا لأنفسكم دينًا ، فإنكم والله ما أنتم على شيء . فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفيـــة ، دينَ إبراهيم .

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتبَ من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب. وأما عُبيد الله بن جحش فأقام على ماهو عليه من الالتباس! حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حَبيبة بنت أبى سفيان مُسلمة ، فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نَصرانيًّا . وكان حين تنصّر يمرّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فَقّحْنا وصأصأتم ـ أى أبصرنا ، وأنتم تلتمسون البصر ـ ولم تُبصروا بعدُ .

وخلَف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حَبيبة بنت أبى سفيان ابن حرْب .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشى عمْرَو بن أميّة

---

(١) النجى : الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ واحد .

Marfat.com

الضَّمْرىّ ، فخطبها عليه النجاشىّ ، فزوّجه إياها ، وأصْدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار .

وأما عثمان بن الحُوَيرث ، فقَدِم على قيصر ملك الرُّوم فتنصّر ، وحسنت منزلته عنده .

وأمّا زيد بن عَمرو فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانيّة ، وفارق دينَ قومه ، فاعتزل الأوثان والميْتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ونهَى عن قتل الموءودة ، وقال : أَعْبدُ ربَّ إبراهيم . وبادى قومَه بعَيْبِ ماهم عليه .

ويروى أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت :

لقد رأيت زيدَ بن عمرو شيخا كبيراً مُسنِدًا ظهرَه إلى الكعبة وهو يقول : يامعشر قريش ! والذى نفسُ زيد بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى . ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عبَدتك به ، ولكنى لا أعلمه . ثم يسجد على راحته .

وقد نقل عن يُحَنّس الحوارىّ حين نسخ الإنجيلَ عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام ، فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الربّ ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائعَ لم يَصْنعها أحدٌ قبلى ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بطِروا وظنُّوا أنهم يعزُّوننى[١] ، وأيضا للربّ ، ولكن لابُدّ من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضونى مَجَّانًا[٢] ، أى باطلا. فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا[٣] هذا الذى يُرسله الله إليكم من عند الربّ ، وروح القدس[٤] ، هذا الذى من عند الرب خرَج ،

(١) يعزوننى : يغلبوننى ؛ يقال : عز الرجل الرجل : إذا غلبه .

(٢) وكذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم ، علم مجانا ، كما علمت مجانا : أى بلا ثمن .

(٣) ذكر ابن هشام أن المنحمنا بالسريانية : محمد، وبالرومية : برقليطس .

(٤) القدس : التطهير .

Marfat.com

فهو شهيدٌ عليّ وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معى ، فى هذا قلتُ لكم لكيما لا تشكوا .

## مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

فلما بلغ محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافةً للناس بشيرا ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كلّ نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على مَنْ خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل مَنْ آمن بهم وصدّقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي » أى ثِقَل ماحمّلتكم من عهدى « قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ[1] » . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا ذلك إلى مَنْ آمن بهم وصدّقهم من أهل هذين الكتابين .

وكان أنّ أوّل مابُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوّة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لايرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلَق الصبح ، وحبّب الله تعالى إليه الخلوةَ فلم يكن شىء أحبّ إليه من أن يخلوَ وحدَه .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوّة ،

(١) سورة آل عمران : آية ٨١ .

Marfat.com

كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسَّر عنه البيوتُ[١] ويُفضِي إلى شعاب[٢] مكة و بطون أوديتها . فلا يمرُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجَر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله . فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حولَه وعن يمينه وشماله وخلفَه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى و يسمع ، ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحِراء فى شهر رمضان .

وقيل أيضا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجاور[٣] فى حِراء من كل سنة شهرًا ، وكان ذلك مما تحنث[٤] به قريش فى الجاهلية .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهرَ من كل سنةٍ ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أولُ مايبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبةَ ، قبل أن يدخل بيتَه ، فيطوف بها سبْعا أو ماشاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أرادالله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنَة التى بعثه الله تعالى فيها ؛ وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حِراء كما كان يخرج لجِواره ومعه أهلُه ، حتى إذا كانت الليلةُ التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورَحِم العبادَ بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

---

(١) تحسر عنه البيوت : تبعد عنه ويتخلى عنها .

(٢) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٣) يجاور : يعتكف .

(٤) التحنث : التبرر ، وهو التحنف من الحنفية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم بنمط[١] من ديباج فيه كتابٌ[٢] ، فقال : اقرأ ! قلت : ما أقرأ ؟ فغتّنى[٣] به حتى ظننتُ أنه الموتُ ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! قلت : ما أقرأ ؟ فغتّني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! قلت : ماذا أقرأ ؟ فغتّنى به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ؛ فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَق . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببتُ من نومى ، فكأنما كتبتْ فى قلبى كتابًا .

فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله وأنا جبريل ؛ فرفعت رأسى إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافٍّ قَدَمَيْهِ فى أفق السماء ، يقول : يا محمد ! أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ ؛ فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرِف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلتُ واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى ، حتى بعثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلى حتى أتيتُ خديجة فجلست إلى فخذها مُضيفًا[٤] إليها ،

(١) النمط : وعاء كالسفط .

(٢) قال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « الم ذلك الكتاب لاريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له : اقرأ .

(٣) الغت : حبس النفس .

(٤) مضيفا : ملتصقا .



Marfat.com

فقالت : ياأبا القاسم ! أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رُسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ؛ ثم حدّثتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر يابنَ عمّ ، واثبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيَدِه إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابَها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نوفل وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصَّر وقرأ الكتبَ ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع . فقال ورقةُ بن نوفل، قُدُّوس! قُدُّوس[1]! والذي نفسُ ورقةَ بيده ، لئن كنتِ صَدَقْتِينى ياخديجةُ لقد جاءه الناموس[2] الأكبرُ الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبىُّ هذه الأمة ، فقولى له فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بقول ورقة بنِ نوفل . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِوَارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقةُ بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يابن أخى ! أخبرْنى بما رأيتَ وسمعتَ . فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقةُ : والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة، ولقدجاءك الناموسُ الأكبرُ الذى جاء موسى، ولتُكذَّبنَّهُ ولتُؤذَيَنَّهْ ولتُخرَجَنَّهُ ولتقاتَلَنَّه ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصرنَّ الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

وروي عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أى ابنَ عمّ ! أتستطيعُ أن تُخبِرَنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريلَ عليه السلام كما كان يصنع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : ياخديجة ! هذا جبريل قد جاءنى . قالت : قم يابن عم فاجلس على

(١) قدوس قدوس : أى طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

(٢) الناموس ( فى الأصل ) : صاحب سر الرجل فى خيره وشره ، فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى به .

Marfat.com

فخذى اليسرى. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها. قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّلْ فاجلس على فخذى اليمنى ، فتحوّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمني . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّلْ فاجلس فى حجرى . فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها ؛ قالت : هل تراه ؟ قالَ: نعم . فتحسَّرَتْ وألقتْ خِمارها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هـل تراه ؟ قال : لا . قالت : يابن عم ! اثبُتْ وأبشِرْ ، فوالله إنه لَمَلَكٌ ، وما هذا بشيطان .

## ابتداء تنزيل القرآن

فابتدئَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ » وقال الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » وقال الله تعالى: « حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » وقال تعالى : « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ » . وذلك مُلتقى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُشركين ببدر . يومَ الجمعة صبيحةَ سَبْعَ عشرة من رمضان ،

ثم تتامّ الوحىُ إلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمنٌ بالله مُصدِّق بما جاءه منه ، قد قبِلَه بقبوله ، وتحمّل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم، والنبوّةُ أثقال ومؤُنة ، لايحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقَوْن من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

فمضى رَسُول الله صلى الله عليهِ وَسلمَ على أمْرِ الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

## إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيلد ، وصدَّقت بما جاءه من الله ، ووازرتْه على أمره ، وكانت أول من آمن بالله و برسوله ، وصدّق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، لا يسمع شيئاً مما يكرهُه من ردٍّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها ، تثبّته وتخفّف عليه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى !

قال رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : أُمِرْتُ أنْ أبَشِّرَ خديجة ببيتٍ من قصب ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب[1] .

وقيل إنَّ جبريل عليه السلام أتَى رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، فقال : أقرِئ خديجة السلامَ من ربها ، فقال رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلمَ : يا خديجة ! هذا جبريلُ يُقرِئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

ثم فَتَرَ الوحي عن رسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فترة من ذلك ، حتى شقّ ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . يقول : ما صَرَمك فتركك ، وما أبغضكَ منذ أحبّكَ . « وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ

---

(١) هذا حديث مرسل ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة . والقصب : اللؤلؤ المجوف .

Marfat.com

لَكَ مِنَ الْأُولَى » أى: لَمَا عندى من مَرْجعك إلى، خيرٌ لك مما عجلتُ لك من الكرامة فى الدنيا . « وَلَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » من الفَلْج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى » يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يُتمه وعَيْلته وضَلالته ، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته . « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ » أى لا تكن جبّاراً ولا متكبراً ، ولا فحّاشا فظّا على الضعفاء من عباد الله . « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدّث ، أى اذكرها وادْعُ إليها .

فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرًّا إلى مَنْ يطمئن إليه من أهله .

## ابتداء فرض الصلاة

افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتُرضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعاً ، وأقرّها فى السفر على فرضها الأول ركعتين .

وقيل إن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعَقبه فى ناحية الوادى ، فانفجرتْ منه عين ، فتوضأ جبريلْ عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُرِيَه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ توَضأ ، ثم قام به جبريلُ فصلّى به ، وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام .

فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها لُيرِيها كيف الطهور للصلاة

Marifat.com

كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسولُ الله عليه السلام ثم صلّى بها رسولُ الله عليه السلام كما صلّى به جبريلُ ، فصلّتْ بصلاته .

ولما افتُرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريلُ عليه السلام فصلّى به الظهر حين مالت الشمسُ ، ثم صلَّى به العصر حين كان ظلّه مثله ، ثم صلَّى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلّى به الصبحَ حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلّى به الظهر من غدٍ حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثليه ، ثم صلّى به المغربَ حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس ، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ، ثم صلّى به الصبحَ مُسْفِرًا غير مُشْرِق ، ثم قال : يا محمد ! الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس .

## إسلام على بن أبي طالب

ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى ، عَلِيٌّ بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذٍ ابنُ عشرِ سنينَ .

وكان مما أنعم اللهُ به على عَلِيّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان فى حِجْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخير ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس عمّه ، وكان من أيسر بنى هاشم : يا عبّاس ! إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلْنخفّف عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكلهما عنه ، فقال العبّاس : نعم !

Marfat.com

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب . فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عليًّا فضمّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفراً فضمّه إليه ، فلم يزل علىٌّ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيًّا ، فاتبعه علىٌّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه .

وذكر بعض أهل العلم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مُستخفياً من أبيه أبى طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصلواتِ فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصلّيان ، فقال لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ! ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عمّ ! هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم ، بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عمِّ ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحقّ مَنْ أجابنى إليه وأعاننى عليه ، فقال أبو طالب : أى ابنَ أخى ! إنى لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائى وما كانوا عليه ، ولكن واللهِ لا يُخلَص[1] إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعلىّ : أى بُنَىّ ! ما هذا الدينُ الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنتُ بالله وبرسول الله ، وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدْعُكَ إلا إلى خيرٍ فالزمه .

---

(١) لا يخلص إليك : لا يوصل إليك .

Marfat.com

## إسلام زيد بن حارثة

ثم أسلمَ زيد بن حارثة الكلبي ، مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذَكرٍ أسلم وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب .

وكان حكيم بن حزام قدم من الشام برقيق ، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف ، فدخلت عليه عمته خديجةُ بنت خُوَيلد ، وهى يومئذ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى يا عمّة أىّ هؤلاء الغلمان شِئْتِ فهو لك ؛ فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتبنّاه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

ثم قدم عليه أبوه حارثة وهو عند رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : إن شئتَ فأقم عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ! فقال : بل أقيم عندك ، فلم يزل عند رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدّقه وأسلم ، وصلّى معه ، فلما أنزل الله عزّ وجلّ : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » . قال : أنا زيد بن حارثة .

## إسلام أبى بكر الصّديق رضى الله عنه ودعوته

ثم أسلم أبو بَكر بن أبى قُحافة ، واسمه عتيق

وقيل إن اسم أبى بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب لحسن وَجْهه وعتقه[1] .

---

(١) وقيل سمى عتيقا ، لأن أمه كانت لايعيش لها ولد ، فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشب سمى عتيقا ، كأنه أعتق من الموت . وكان يسمى أيضا عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله . وقيل سمى عتيقا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار ، وقيل بل كان لأبيه ثلاثة من الولد : معتق ومعيتق وعتيق ، وهو أبو بكر .

Marifat.com

فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله . وكان أبو بكر رجلا مألفاً[1] لقومه محبّبا سَهْلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممَّن يغشاه ، ويجلس إليه .

فأسلمَ بدعائه عثمان بن عفّان ، والزُّبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبي وقّاص ، وطَلْحة بن عُبيد الله ، فجاء بهم إلى رَسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة[2] ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحافة ، ماعَكَمَ[3] عنه حين ذكرتُه له ، وما تردّد فيه .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلّوا وصدّقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وأبو سَلَمَة ، والأرقم بن أبي الأرقم . وعثمان ابن مَظْعون وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون . وعُبَيْدة بن الحارث بن المطّلب . وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمةُ بنت الخطّاب أخت عُمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخَبّاب بن الأرتّ ، وعُمَيْر ابن أبي وقّاص ، أخو سَعْد بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود ابن القاريْ ، وسَليط بن عمرو ، وأخوه حاطب بن عمرو ، وعيّاش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلامة ، وخُنَيْس بن حُذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جَحْش

---

(١) المألف : الذى يألفه الإنسان .

(٢) الكبو : التأخير وقلة الإجابة . وهو من قولهم كبا الزند : إذا لم يور نارا .

(٣) عكم : تلبث .

Marfat.com

وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فاطمة بنت المجلّل ، وأخوه حطّاب بن الحارث ، وامرأته فُكَيهة بنت يسَار ، ومَعْمَرْ بن الحارث ، والسائب بن عثمان بن مَظْعون ، والمطّلب ابن أزهر ، وامرأته رَمْلة بنت أبي عَوْف ، والنحّام ، واسمه نُعَيم بن عبد الله، وعامر ابن فُهَيْرَة ، مولى أبي بكر الصّديق رضي الله عنه ، وخالد بن سعيد[1]، وامرأته أُمَينَة بنت خَلَف ، وحاطب بن عمرو ، وأبوحُذيفة بن عُتبة ، وواقد بن عبد الله ، وخالد وعامر وعاقل ، وإياس بنو البُكَير بن عبد يَالِيل بن ناشب ، وعمّار بن ياسر ، وصُهَيب ابن سِنان .

## مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما كان منهم

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحدّث به . ثم إن الله عزّ وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادىَ الناس بأمره ، وأن يدعوَ إليه ، وكان بين ما أخفَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستترَ به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين من مَبْعثه، ثم قال الله تعالى له : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »[2] . وقال تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ[3] » .

---

(١) ويكنى خالد : أبا سعيد، ويقال إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق، فكان ثالثا أو رابعا، وقيل كان خامسا . وقد هاجر إلى الحبشة مع امرأته الخزاعية ، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد وابنته أم خالد ، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد بن العاص .

(٢) سورة الحجر : آية ٩٤؛ اصدع : افرق بين الحق والباطل .

(٣) سورة الشعراء : آية ٢١٤ وما بعدها .

Marfat.com

وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ذهبوا فى الشّعاب فاستخفوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وقّاص فى نفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شِعْب من شِعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْى[1] بعير فشجّه ، فكان أولَ دم هُريق فى الإسلام .

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومُه ولم يردّوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه ، إلا مَن عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحَدِب[2] على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شىء ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتبهم من شىء[3] أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمّه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبى طالب منهم أبو سفيان بن حَرْب ، وأبو جهل — واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة .

فقالوا : يا أبا طالب ! إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تَكفّه عنا وإما أن تخلّىَ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن من خِلافه فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردّهم ردًّا جميلا ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه

---

(١) اللحى : العظم الذى على الفخذ ، وهو من الإنسان : العظم الذى تنبت عليه اللحية .
(٢) أصل الحدب : الانحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له .
(٣) لا يعتبهم من شىء : أى لا يرضيهم ؛ يقال استعتبنى فأعتبته . أى أرضيته وأزلت العتاب عنه .

Marfat.com

ثم شرى[١] الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجالُ وتضاغنوا[٢] ، وأكثرت قريشٌ ذِكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذامروا[٣] فيه وحضّ بعضهم بعضا عليه ؛ ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ! إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا . وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نَصْبر على هذا مِنْ شَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو نُنازله وإياك في ذلك حتى يَهلِك أحدُ الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم لهم ولا خِذْلانه .

فبعث إلى رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم فقال له : يابن أخي ! إنّ قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبْقِ عَلَيّ وعلى نفسك ، ولا تُحمِّلني من الأمر مالا أُطيق ، فظن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء[٤] أنه خاذله ومُسْلِمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمّ ! والله لو وضعوا الشمسَ في يَميني والقمرَ في يَساري على أن أترك هذا الأمرَ حتى يُظهره الله أو أهلكَ فيه ماتركته .

ثم استعبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكَى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبِل يابن أخي ؛ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ماأحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمك لشيء أبدا .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعَه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المُغيرة ،

---

(١) شرى : كثر واشتد .

(٢) تضاغنوا : تعادوا .

(٣) تذامروا : حض بعضهم بعضا .

(٤) البداء : الاسم من بدا . يريد : ظهر له رأى .

Marfat.com

فقالوا له : يا أبا طالب ! هذا عُمارة بن الوليد ، أنهد[1] فتى فى قريش وأجمله ، فخذْه فلك عَقْله ونصْرُه ، واتخِذْه ولدًا فهو لك ، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعةَ قومكَ ، وسفّه أحلامَهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ، فقال: والله لبئس ما تَسومونني ! أتُعطوننى ابنَكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدًا .

فقال المُطْعِم بن عدىّ : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمُطْعِم : والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعتَ خذلانى ومُظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك . فَحقبَ[2] الأمر وحميت الحربُ ، وتنابذ القومُ ، و بادى بعضهم بعضا .

ثم إن قريشا تذامروا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونهم ويَفْتِنونهم عن دينهم ، ومَنَع الله رسُولَه صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب . وقد قام أبو طالب — حينَ رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون — فى بنى هاشم و بنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، مِنْ مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدوّ الله الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ماسرّه فى جهدهم معه ، وحَدَبهم عليه ، أخذ يكثر فيهم مدائحه ، ويذكر قديمهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ليشدَّ لهم رأيهم وليَحْدَبوا معه على أمره .

---

(١) أنهد : أشد وأقوى . وأصل هذه الكلمة للتقدم . يقال : نهد ثدى الجارية ، أى برز قدما .

(٢) حقب : زاد واشتد ، وهو من قولك : حقب البعير : إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشدة الحقب على ذلك الموضع .

Marfat.com

# تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

ثم إن الوليدَ بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذاسنّ فيهم ، وقد حضرَ الموسمَ فقال لهم : يامعشرَ قريش ! إنه قد حضر هذا الموسمُ ، وإن وفود العرب ستقدَم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأيا واحداً ، ولا تختلفوا فيكذّب بعضُكم بعضاً ، ويردّ قولُكم بعضُه بعضا ، قالوا : فأنتَ ياأبا عبد شمس ، فقلْ وأقِم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمعْ ، قالوا: نقول كاهن، قال : لا والله، ماهو بكاهن لقد رأينا الكهّان فما هو بزَمزمة[1] الكاهن ولا سَجْعه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال: ماهو بمجنون ، لقد رأينا الُجنون وعرفناه ، فما هو بخَنْقه ولا تخالُجه ولا وسْوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رجَزه وهَزجه وقَريضَه ومقْبوضه ومَبْسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال: ماهو بساحر ، لقد رأينا السُّحّار وسِحْرَهم . فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم[2] ، قالوا : فما نقول ياأبا عبد شمس ؟ قال : والله إنّ لقوله لحلاوةً . وإن أصله لَعذْق[3] وإن فرْعه لَجَناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرِف أنه باطل ، وإنّ أقربَ القول فيه لأنْ تقولوا ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يُفرِّقُ به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بِسُبُل الناس حين قدموا الموسمَ ، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمرَه . فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا ، وَبَنِينَ شُهُودًا ، وَمَهَّدْتُ

---

(١) الزمزمة : الكلام الخفى الذى لا يسمع .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطا ثم ينفث فيه . ومنه قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » . يعنى الساحرات .

(٣) العذق ( بالفتح ) : النخلة . يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .

هُ تَمْهِيدًا ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ، سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ »(1) .

وأنزل الله تعالى فى النفر الذين كانوا معه يصنّفون القول — فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ، فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(2) .

فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلّها .

فلما خشىَ أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدة تعوّذ فيها بحُرَم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسلمٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلِك دونه .

ومما يذكر عن قصيدته هذه أنه أقحط أهلُ المدينة فأتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فشكَوْا ذلك إليه ، فصَعِد رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحى(3) يَشْكون منه الغرقَ ؛ فقال رسولُ الله صلى

---

(1) سورة المدثر : آية ١١ وما بعدها .

(2) سورة الحجر : آية ٩٠ وما بعدها . واحدة العضين : عضة ، يقول عضوه : فرقوه .

(3) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البراز التى ليس فيها مايكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه .

Marfat.com

الله عليه وسلم : اللّهم حَوَالَيْنا ولا علينا(١) ، فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيْها كالإكليل ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ! فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يا رسولَ الله أردتَ قولَه :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوَجْهه ثِمَالُ اليَتامى عِصْمةٌ للأَرامِلِ(٢)

قال : أجل . فلما انتشر أمرُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبَلَغ البلدانَ ، ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأَمْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين ذُكر وقبلَ أن يُذكر من هذا الحىّ من الأوس والخزرج ، وذلك لِما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم .

## ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ أسلم معه منهم ، فأغْرَوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذّبوه وآذَوْه ، ورموه بالشعر والسِّحر والكهانة والجُنون ، ورسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم مُظْهِرٌ لأمر الله لا يَسْتخفى به ، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إيّاهم على كفرهم .

وحدث مرة أن اجتمع أشرافهم يومًا فى الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ !! سفّه أحلامَنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دِينَنا ، وفرّق جماعَتنا ، وسبّ آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم .

---

(١) هو من حسن الأدب فى الدعاء ؛ لأنها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته ؟ !

(٢) ثمال اليتامى : من يقوم بأمرهم .

Marfat.com

فبيناهم فى ذلك إذ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركنَ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول، ثم مضى، فلما مرَّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها، ثم مرَّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشرَ قُريش، أما والذى نفسى بيده، لقد جِئْتُكم بالذَّبْح [1].

فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه وصاةً [2] قبلَ ذلك ليَرْفَؤه [3] بأحسن ما يجدُ من القول، حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم! فوالله ما كنتَ جهولا.

فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا فى الحِجْر، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادا كم بما تكرهون تركتموه!! فبيناهم فى ذلك طلع عليهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا؟ لِما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أنا الذى أقول ذلك.

فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يبكى ويقول: أتقتلون رجلاً أنْ يقول ربى الله! ثم انصرفوا عنه. فإنَّ ذلك لأشدَّ ما نالت منه قريش قط.

حتى لقد رجع أبو بكر يومئذٍ، وقد صدَّعوا [4] فَرْق [5] رأسه، مما جبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثيرَ الشعر.

---

(١) لعله مجاز عن الهلاك. ومنه فى حديث القضاء: من تصدى للقضاء وتولاه، فقد تعرض للذبح فليتحذره.

(٢) الوصاة: الوصية.

(٣) يرفؤه: يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له.

(٤) صدعوا: شقوا.

(٥) الفرق: حيث يتفرق الشعر فى مقدم الجبهة.



Marfat.com

ويروى أن أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، أنه خرج يوماً فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه ، لا حرٌّ ولا عَبْد ، فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثّر من شدّة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : ( يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ) .

## إسلام حمزة رحمه الله

وحدث أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفا ، فآذاه وشتمه ونال منه بعضَ ما يكره ، من العَيْب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أَقْبَل متوشّحا قوسَه راجعًا من قَنَص له ، وكان صاحب قَنَص يَرْميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قُريش إلا وقف وسلَّم وتحدّث معهم ، وكان أعزَّ فتى فى قريش وأشد شَكِيمة . فلما مر بالمَوْلاة ، وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا عُمارة ! لو رأيتَ مالقى ابنُ أخيك محمدٌ آنفًا من أبى الحَكَم بن هشام ، وَجَده هاهنا جالسًا فآذاه وسبّه و بلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالسًا فى القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها ، فشجه شجةً مُنكرة ، ثم قال : أتشتُمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرُدَّ ذلك علىّ إن استطعت ! ! فقامت رجالٌ من

بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دعُوا أبا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحا .

وتَمّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع ، وأنّ حمزةَ سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

## قول عتبة بن ربيعة فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويروى أن عُتبة بن ربيعة ـ وكان سيّدًا ـ قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحدَه : يا معشر قريش ! ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرضَ عليه أمورًا لعلّه يقبل بعضَها فنعطيه أيّها شاء ، ويكفَّ عنا ؟

وذلك حين أسلم حمزةُ ورأوا أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يَزيدون ويكثُرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! قُمْ إليه فكلِّمه .

فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يابن أخى ! إنك منّا حيث قد علمتَ من السِّطة[1] فى العشيرة ، والمكان فى النسب ، وإنك أتيتَ قومك بأمر عظيم ، فرّقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم ، وكفّرت به مَنْ مضى من آبائهم ، فاسمع منّى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضَها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا أبا الوليد ، أسْمَع ؛ قال: يا بن أخى! إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنتَ تريد به شرفًا سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا[2] تراه

(١) السطة : الشرف .

(٢) الرئى ( بفتح الراء وكسرها ) : ما يتراءى للإنسان من الجن .

Marfat.com

لا تستطيع ردَّه عن نفسك ، طَلَبْنا لك الطبَّ ، و بذلنا فيه أموالَنا حتى نُبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع[١] على الرجل حتى يُداوَى منه .

حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم؛ قال: فاسمعْ منّى ، قال : افعل ، فقال : ( بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ[٢] ) ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه سلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها وألقى يَدَيْهِ خَلْفَ ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ! ! فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنّى قد سمعتُ قولًا والله ما سمعتُ مثلَه قطُّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشرَ قُريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَ لقوله الذى سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يَظهرْ على العرب فمُلكُه مُلككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به . قالوا: سَحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال: هذا رَأْيى فيه ، فاصنعُوا ما بدا لكم .

---

(١) التابع : من يتبع من الجن .
(٢) سورة فصلت آية ١ — ٥ .

## ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
## وبين رؤساء قريش وتفسير لسورة الكهف

ثم إن الإسلام جعل يَفشو بمكة فى قبائل قُريش فى الرجال والنّساء، وقريش تحبِس مَنْ قدَرت على حَبْسه، وتفتِن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين، ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة، وقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأتِهم.

فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً، وهو يظن أنْ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بَداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدَهم ويعزّ عليه عَنَتهم[1]، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك، لقد شتمتَ الآباء، وعِبْت الدينَ، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلامَ، وفرّقت الجماعة، فما بقى أمرٌ قَبيح إلا قد جِئْتَه فيما بيننا وبينك، فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً، وإن كنتَ إنما تطلب به الشرَفَ فينا فنحن نسوّدك علينا، وإن كنتَ تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيّاً تراه قد غلب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا — فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالَنا فى طَلَب الطبّ لك حتى نُبرئك منه، أو نُعذِر فيك.

فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ما بى ما تقولون، ما جئتُ بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا المُلْك عليكم، ولكنّ اللهَ بعثنى إليكم رسولاً،

---

(١) العنت: ماشق على الإنسان فعله.

Marfat.com

وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالاتِ ربي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتُكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه عليّ أصبرْ لأمر الله ، حتى يحكم اللهُ بيني وبينكم . قالوا : يا محمد ! فإن كنت غيرَ قابل منّا شيئًا مما عرَضْناه عليك، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلداً، ولا أقلّ ماء ، ولا أشدّ عيشًا منّا ، فسَلْ لنا ربّك الذي بعثك بما بعثك به فليسيّر عنّا هذه الجبالَ التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا ، وليفجّر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قُصيّ بن كِلاب ، فإنه كان شيخَ صدْق فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ؟ ؟ فإن صدّقوك وصنعتَ ما سألناك صدّقناك ، وعرّفنا به منزلَتَك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتُكم من الله بما بعثني به ، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوهُ عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم اللهُ بيني وبينكم . قالوا : فإذ لم تفعل هذا لنا فخُذْ لنفسك ، سَلْ ربّك أن يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جِنانًا وقُصورًا وكنوزًا من ذهب وفضّة يُغنيك بها عما نراك تَبْتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاشَ كما نلتمسه ، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتَك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم .

فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربّه هذا ، وما بُعِثْت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا ، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فأَسْقِط السماء علينا كِسَفًا كما زعمتَ أن ربّك إن شاء فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل .

فقال رسولُ الله صَلى اللهُ عليهِ وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ؛ قالوا : يا محمد ! أفما عَلِم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدّم إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعْذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغتَ منّا حتى نُهلِكك أو تُهلِكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قَبيلاً .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلّم ، قام عنهم ، وقام معه عبدُ الله بن أبى أُمَيّة ابن المُغيرة ، وهو ابن عمّته ، فقال له : يا محمد ! عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويَتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يَعْرفون به فضلَك عليهم ومنزلتَك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل ، فو الله لا أُومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلّمًا ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها ، ثم تأتىَ معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايمُ الله ، لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أنّى أُصدقك[1] .

ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً آسفًا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولِمَا رأى من مُباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله صلي الله عليه وسلم ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ؛ إن محمداً قد أبى إلا ما تَرَوْن من عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وشَتْم آلهتنا ،

(١) وقد أسلم أبو أمية قبل فتح مكة .

Marfat.com

وإنى أعاهد الله لأجلسنّ له غدًا بحجَر ما أطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته فضخْتُ به رأسه ، فأسلِمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنعْ بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم ؛ قالوا : والله لا نُسْلمك لشيء أبدًا ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقِبْلَتُه إلى الشام ، فكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعلَ الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وقد غدتْ قريش فجلسوا فى أنديتهم يَنتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سَجَد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجَر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَع منهزمًا منتقعًا لونهُ ، مرعوبًا قد يَبِست يداه على حَجَره ، حتى قَذَف الحجَر من يده ، وقامت إليه رجالُ قُريش ، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلما دنوتُ منه عرَض لى دونه فحْلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامَته ولا مثل قَصَرته[1] ولا أنيابه لِفَحْل قطُّ . فهمّ بى أن يأكلنى .

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل ، قام النضرُ بن الحارث فقال : يا معشر قريش ! إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلامًا حدَثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغيه الشَّيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرةَ ونَفْثهم وعقْدهم[2] ، وقلتم كاهن ، لا والله ، ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالُجهم ، وسمِعْنا سَجْعهم ، وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر ، قد رأينا الشعرَ وسمِعْنا أصنافه كلَّها .. هزجه

---

(١) القصرة : أصل العنق .

(٢) العقد : بفتح وسكون ، أو بضم ففتح على أن يكون جمع عقدة ، وهى التى يعقدها الساحرُ فى الخيط ينفخ فيها بشىء يقوله بلا ريق أو معه .

Marfat.com

ورَجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ فما هو بخَنَقه ، ولا وسوَسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ! فانظروا فى شأنكم ؛ فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ .

وكان النَّضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصِب له العداوةَ ، وكان قد قَدِم الحِيرةَ ، وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رُسْتُمَ واسبنديار ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا فذكّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشرَ قريش ، أحسنُ حديثًا منه ، فهلمّ إلىّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار ثم يقول : بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا منّى [1] ؟ .

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه، و بعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهم عن محمد ، وصِفَا لهم صِفته ، وأخبراهم بقَوله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَصَفا لهم أمْره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهلُ التوراة ، وقد جئنا كم لتُخبِرُونا عن صاحبنا هذا؛ فقالت لهما أحبار يَهود: سَلوه عن ثلاثٍ نأمُركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبىّ مُرْسَل، و إن لم يفعل فالرجلُ مُتقوّل،فَرَوْا فيه رأيَكم،سَلوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدّهر الأول، ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عَجب ؟ وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها، ما كان نَبَؤُه ؟ وسَلوه عن الرُّوح ما هى ؟ فإذا أخبركم

---

(١) قال ابن هشام : وهو الذى قال : سأنزل مثل ما أنزل الله . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

بذلك فاتبعوه ، فإنه نبيّ ، وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ متقوّلٌ ، فاصنعوا فى أمْرِه ما بدا لـكم .

فأقبل النضرُ بن الحارث وعُقْبة بن أبى مُعيط حتى قدِما مكة على قُريش ، فقالا : يا معشر قريش ! قد جِئْنا كم بفَصْل مابينـكم وبين محمد ، قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ ، وإن لم يفعل فالرجلُ متقوّل ، فرَوْا فيه رأيَـكم .

فجاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخْبرنا عن فِتْية ذهبوا فى الدهر الأول، قد كانت لهم قصّة عجب ؛ وعن رجل كان طوّافا قدبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخْبرنا عن الرّوح ماهي ؟

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يَسْتثن[1] ، فانصرفوا عنه ، فمـكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرة ليلة لا يُحْدِث الله إليه فى ذلك وَحْياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أرْجف[2] أهل مكة ، وقالوا: وَعَدنا محمدٌ غدا واليوم خمسَ عشرةَ ليلةً ، قد أصبحنا منها لا يُخبرنا بشىء ممـا سألناه عنه ؟ ! وحتى أحزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُـكثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يتـكلّم به أهلُ مكة ، ثم جاءه جبريل من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الـكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الله : الفِتية ، والرجل الطّواف ، والروح .

فذُكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبستَ عنّى يا جبريل حتى سُؤت ظنّا ، فقال له جبريل : « وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا[3] » .

---

(١) يريد : لم يقل : إن شاء الله .

(٢) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٣) سورة مريم : آية ٦٤ .

Marfat.com

فافتتح السورة[١] تبارك وتعالى بحمده وذِكر نبوّة رسوله ، لِمَا أنكروه عليه من ذلك ، فقال : ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ، إنك رسول منّي ، أي تحقيقٌ لما سألوه عنه من نبوّتك ( وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ) أي معتدلا لا اختلاف فيه . ( لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ) أي عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا أليما في الآخرة أي من عند ربك الذي بعثك رسولا ( وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ) أي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدّقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . ( وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ) يعني قريشاً في قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهي بنات الله . ( مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ) الذين أعظموا فراقهم وعَيْبَ دينهم . ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ) أي لقولهم إن الملائكة بناتُ الله ( إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ[٢] ) يا محمد ( عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ) أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجومنهم أي لا تفعل ( إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) . أي أيهم أتبع لأمري ، وأعمل بطاعتي ( وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ) أي الأرض ، وإن ما عليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلى فأجزي كلاً بعمله ، فلا تأسَ ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

ثم استقبل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية فقال : ( أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ) أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُججي ما هو أعجب من ذلك .

والرّقيم : الكتاب الذي رُقم فيه بخبرهم[٣] .

---

(١) سورة الكهف .

(٢) باخع نفسك : مهلك نفسك

(٣) كما قيل بأن الرقيم هو اسم الجبل الذي كان فيه الكهف ، أو اسم القرية التي كانوا فيها .

Marfat.com

ثم قال تعالى : ( إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ) ثم قال تعالى : ( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ) أى بصدق الخبر عنهم ( إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ) أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ماليس لكم به علم، والشطط: الغلوّ ومجاوزة الحق .

( هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ) أى بحجة بالغة ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ) تزاور : تميل ، وهو من الزور . تقرضهم ذات الشمال : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . والفَجْوة : السّعة وجمعها : الفِجاء ( ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ) أى فى الحجة على مَنْ عرف ذلك مِنْ أمورهم من أهل الكتاب مِمَنْ أمر هؤلاء بمسألتك عنهم فى صدق نبوّتك بتحقيق الخبر عنهم ( مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) . الوصيد : الباب أو الفناء .

( لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ) إلى قوله ( قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ) أهل السلطان والملك منهم : ( لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا

Marfat.com

سَيَقُولُونَ ) يعنى أحبار يهود ، الذين أمروهم بالمسألة عنهم : ( ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ) أى لاعلم لهم . ( وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا ) أى لا تكابرهم . ( وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ) فإنهم لا علم لهم بهم . ( وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا ) أى ولا تقولنّ لشىء سألوك عنه ، كما قلت فى هذا إنى مخبركم غداً . واستثن شيئة[1] الله واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدًا ، فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . ( وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ) أى سيقولون ذلك . ( قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ) أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه .

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطّواف : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ) حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحدٌ غيره ، فمدّت له الأسبابُ حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لايطأ أرضًا إلا سُلّط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق .

ويروى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن ذى القرنين فقال : مَلِكٌ مَسَح الأرض من تحتها بالأسباب .

---

(١) الشيئة : مصدر شاء يشاء .

Marfat.com

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ) .

ويروى أنه لما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ قالت أحبارُ يهود : يا محمد ، أرأيتَ قولَك : ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كُلاًّ ؛ قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك : إنَّا قد أُوتينا التوراة فيها بيانُ كلِّ شيء . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنها في علمِ الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه . فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[١] ) أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض وبعث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا[٢] ) أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

وأنزل عليه في قولهم : خُذْ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له جِنانًا وقُصورًا وكُنوزًا ، ويبعث معه ملَكًا يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه : ( وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا .

---

(١) سورة لقمان : آية ٢٧ .

(٢) سورة الرعد : آية ٣١ .

Marfat.com

تبارَكَ الَّذِى إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ ) أى من أنْ تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش ( جنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا[١] ) .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم : ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا[٢] ) أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالفوا ، لفعلت .

وأنزل الله عليه : ( وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً[٣] ) .

وأنزل عليه فى قولهم : إنّا قد بلغنا أنك إنما يُعلِّمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن[٤] ولن نؤمن به أبدًا : ( كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ[٥] ) .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام ، وما همّ به : ( أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ

---

(١) سورة الفرقان : آية ٧ وما بعدها .

(٢) سورة الفرقان : آية ٢٠ .

(٣) سورة الإسراء : آية ٩٠ وما بعدها .

(٤) كان مسيلمة بن حبيب الحنفى قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية ، وكان من المعمرين . ويقال إنه تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبدالله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) سورة الرعد : آية ٣٠ .

Marfat.com

وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ، كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ، كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ[1]) .

لنسفعاً: لنجذبنّ ولنأخذن. والنادى: المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم . ويقال النادى : الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع : خزَنة النار . والزبانية (أيضًا) فى الدنيا : أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زِبْنية .

وأنزل الله تعالى عليه فيما عرَضوا عليه من أموالهم : ( قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ[2]) .

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرَفوا من الحق ، وعرَفوا صِدْقه فيما حدّث ، وموْقع نبوّته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه ، حال الحسدُ منهم له بينهم و بين اتّباعه وتَصْديقه ، فعتَوْا على الله وتركوا أمرَه عيانا ، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لاتَسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون ، أى اجعلوه لغوًا و باطلا ، واتخذوه هُزُوًا لعلكم تَغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أوخاصمتموه يومًا غلبكم .

فقال أبوجهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلي الله عليه وسلم وماجاء به من الحق : يامعشر قريش ! يزعُم محمدٌ أنما جنودُ الله الذين يعذبونكم فى النار ، ويحبسونكم فيها تسعة عشرَ ، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرةً ، أفيعجزُ كلُّ مئة رجل منكم عن رجل منهم ! فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا[3]) إلى آخر القصة . فلما قال ذلك بعضهم

---

(١) سورة العلق : آية ٩ وما بعدها .
(٢) سورة سبأ : آية ٤٧ .
(٣) سورة المدثر : آية ٣١ .

Marfat.com

لبعض ، جعلوا إذا جَهر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرّقون عنه ، ويأبون أن يَسْتمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ مايتلو من القرآن وهو يُصلى ، استرق السمعَ دونهم ، فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه، ذهب خَشيةَ أذاهم فلم يستمع ، وإن خَفَض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتَه ، فظنّ الذى يستمع أنهم لايستمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم ، أصاخ له يَستمع منه؛ وإنما أنزلت هذه الآية : ( وَلَا تَجْهَرْ بِصلاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً[1] ) من أجل أولئك النَّفر .

وكان أول مَنْ جَهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبدُ الله ابن مسعود رضى الله عنه . وذلك أنه اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ماسمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهر لها به قطُّ ، فمن رجل يُسْمِعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال : دَعُونى فإن الله سيَمْنعنى . فغدا ابنُ مسعود حتى أتى المقام فى الضُّحى ، وقريشٌ فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ « بسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » رافعا بها صوته ( الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ) ثم استقبلها يقرؤها ، فتأمّلوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابنُ أمّ عبدٍ ؟ ثم قالوا : إنه ليَتْلو بعضَ ما جاء به محمدٌ ؛ فقاموا إليه فجعلوا يَضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللهُ أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خَشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداء الله أهونَ علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينّهمْ بمثلها غدًا . قالوا : لا ! حسبُك ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

وحدث أن أبا سفيان بن حَرْب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شَرِيق ، خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلّى من الليل فى بيته ،

---

(١) سورة الإسراء : آية ١١٠



Marfat.com

فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا . فجمعهم الطريقُ، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض : لاتعُودوا ، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أوّلَ مرّة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعض : لانبرحُ حتى نتعاهدَ ألاّ نعود ؛ فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرّقوا .

فلما أصبح الأخنسُ بن شَريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال : أخبرنى يا أبا حَنظلة عن رَأْيك فيما سمعتَ من محمد ؟ فقال : يا أبا ثَعْلبة ! والله لقد سمعتُ أشياء أعْرفها وأعرف ما يُراد بها ، وسمعتُ أشياء ما عرفتُ معناها ، ولا ما يُراد بها ؛ قال الأخنسُ : وأنا والذى حلفتَ به كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل فدخل عليه بيتَه فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمّد ؟ فقال : ماذا سمعتُ ! تنازعْنا نحنُ و بنو عبد مناف الشرفَ ، أطعَموا فأطْعمنا ، وحَملوا فَحمَلْنا ، وأعطَوْا فأعْطَينا ، حتى إذا تجاذينا[1] على الرُّكَب ، وكُنّا كفرَسَىْ رِهانٍ ، قالوا : منّا نبىّ يأتيه الوحىُ من السماء ؛ فمتى نُدْرِك مثلَ هذه ! والله لانُؤْمن به أبدًا ولا نصدّقه . فقامَ عنه الأخنسُ وتركه .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآنَ ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزءون به : قُلوبُنا فى أكنّة مما تدْعونا إليه لا نفقه ما تقول ، وفى آذاننا وَقْر ، لا نسمع ما تقول ، ومن بيننا و بينك حِجابٌ ، قد حال بيننا و بينك ، فاعمل بما أنت عليه ، إنّنا عاملون بما نحن عليه ، إنّا لانفقه عنك شيئاً . فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم :

---

(١) تجاذى : أقعى .

Marfat.com

( وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا[١] ) إلى قوله : ( وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ) أى كيف فهموا توحيدك ربّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكِنّةً وفى آذانهم وقرًا ، وبينك وبينهم حجابًا بزعمهم ؛ أى أنى لم أفعل ذلك . ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا » : أى ذلك ما تواصَوْا به من تركِ ما بعثتُك به إليهم . ( انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) : أى أخطئوا المثل الذى ضَرَبوا لك ، فلا يُصيبون به هُدًى ، ولا يَعتدل لهم فيه قول ( وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ) أى قد جِئتَ تُخبرنا أنّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنّا عِظامًا ورُفاتًا ، وذلك ما لا يكون . ( قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ[٢] فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) : أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه .

ثم إنهم عدَوْا على مَنْ أسلم واتّبع رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم من أصحابه ، فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المُسلمين ، فجعلوا يَحْبِسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجُوع والعَطَش ، وبرَمْضاء مكة إذا اشتدّ الحر ، مَن استضعفوا منهم ، يَفتنونهم عن دينِهم ، فمنهم من يُفْتَن من شدّةِ البلاء الذى يُصيبه ، ومنهم من يَصْلُب لهم ، ويَعصمه الله منهم .

وكان بلالٌ ، مَوْلى أبى بَكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جُمَح ، مولَّدا من مولّديهم ، وهو بلالُ بن رباح ، وكان اسمُ أمّهِ حَمامة ، وكان صادقَ الإسلام ، طاهرَ القلب ، وكان أميّة بن خلف يُخرجه إذا حميت الظّهيرةُ ، فَيطرحه على ظهره فى بَطْحاء مكة ، ثم يأمر

---

(١) سورة الإسراء : آية ٤٥ . مستورا : ساترا .

(٢) يرى ابن عباس فى تفسير قوله تعالى « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » أنه الموت .

بالصّخرة العظيمة فتُوضع على صَدْره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموتَ ، أوْ تكفر بمحمّد ، وتعبدُ اللاتَ والعزّى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحَدٌ أحَدٌ .

و كان وَرَقة بن نَوفل يمرّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحَد أحد ، فيقول: أحَدٌ أحَد والله يابلال ! ثم يُقبل على أمَيّة بن خَلَف ، ومن يَصْنع ذلك به من بنى جُمح، فيقول : أحلفُ باللهلئن قتلتموه على هذا لأتخذنّه حَنانا(١) ، حتى مرّ به أبو بَكر الصدّيق ابن أبى قُحافة رضى الله عنه يومًا ، وهُمْ يَصْنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبى بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خَلَف : ألا تتّقى الله فى هذا المِسْكين ؟ حتى متى؟ قال : أنت الذى أفسدته فأنقِذْه مما ترى ؛ فقال أبو بكر : أفعلُ ، عندى غلام أسودُ أجْلدُ منه وأقوى ، على دِينك ، أعْطِيكه به ؛ قال : قد قبلتُ ، فقال : هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه غلامَه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

ثم أَعْتق معه على الإسلام قبلَ أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ سابعُهم : عامر بن فُهيرة ، شَهِد بدرًا وأُحُداً ، وقُتِل يوم بئر مَعونة شهيداً ، وأم عُبيس، وزِنِّيرة ، وأصيب بصرُها حين أعتقها ، فقالت قريشُ : ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزّى ؛ فقالت : كَذَبُوا و بيتِ الله ، ما تضرُّ اللاتُ والعزّى وما تَنفعان ، فردّ اللهُ بصرَها .

وأعتق النَّهدِيّة و بنتَها ، وكانتا لامرأة من بنى عَبْد الدار ، فمرّ بهما ، وقد بعثتهما سيّدتُهما بطَحين لها وهى تقول : والله لا أُعْتقكما أبداً ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلٌّ(٢) يا أمّ فلان ، فقالت : حِلٌّ ، أنت أفسدتَهما فأَعْتقهما ، قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتُهما وهما حُرّتان ، أرْجِعا إليها طَحِينها ، قالتا : أوَنفرُغ منه يا أبَا بكر ثم نردّه إليها ؟ قال : وذلك إن شئتما .

---

(١) أى لأجعلن قبره موضع حنان : أى عطف ورحمة فأتمسح به متبركا ، كما يتمسح بقبور الصالحين والشهداء .

(٢) حل : يريد : تحلل من يمينك واستثنى فيها .

ومرّ بجارية بنى مُؤَمّل ، وكانت مُسلمةً ، وعمرُ بن الخطاب يُعذِّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملَّ قال : إنى أعتذر إليك : إنى لم أتركك إلا ملالةً ، فتقول : كذلك فَعل اللهُ بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

قال أبو قُحافة لأبى بكر : يا بُنىّ ! إنى أراك تُعتِق رِقابًا ضِعافًا ، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلت أعتقتَ رجالاً جُلْدًا يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ! إنى إنما أُريد ما أُريد لله عزّ وجلّ .

فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآياتُ إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ) إلى قوله تعالى : ( وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ) .

وكانت بنو مَخزُوم يَخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهلَ بيت إسلام، إذا حَميتِ الظهيرةُ ، يعذِّبونهم برَمْضاء[1] مكة ، فيمرّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول : صبرًا آلَ ياسر ! موعدُكم الجنة . فأمّا أمُّه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سَمِع بالرجل قد أسلم له شَرَف ومَنَعة ، أنبه وأخزاه وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ! لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَك ، ولنُفيِّلَنَّ رأيك[2] ، ولنضعنّ شرفَك ؛ وإن كان تاجرًا قال : والله لنكسِّدنّ تجارتَك ، ولنُهلكنّ مالك ؛ وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به . ١

سئل عبد الله بن عبّاس : أكان المشركون يَبْلغون منْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذّرون به فى ترْك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليَضربون أحدَهم ويُجيعونه ويُعطّشونه حتى ما يقدر أن يستوىَ جالسًا من شدّة الضُّرّ

---

(١) الرمضاء : الرمل الحارة من شدة حرارة الشمس .

(٢) لنفيلن رأيك : أى لنقبحنه ونخطئنه .

Marfat.com

الذى نزل به ، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفِتْنة ، حتى يقولوا له : ألَلات والعزّى إلهُك مِن دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إنّ الجعلَ ليمرُّ بهم ، فيقولون له أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول: نعم ، افتداء منهم ممّا يبلغون من جَهْده .

## الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايُصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيـه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لايقدر على أن يَمْنعهم ممـا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإنّ بها مَلِـكا لايُظلم عنده أحد، وهى أرض صِدْق ، حتى يجعلَ الله لـكم فرجًا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنة ، وفرارً إلى الله بدينهم ، فكانت أوّلَ هجرة كانت فى الإسلام .

وكان أولَ من خرج من المسلمين من بنى أُميّةَ عثمانُ بن عفّان ، ومعه امرأتُه رُقيّة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن بَنى عبد شَمس : أبو حُذَيفة بن عُتْبة ، ومعه امرأتُه سَهْلة بنت سُهَيل ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة . ومن بَنى أَسَد الزُّبير بن العوّام . ومن بَنى عبد الدار : مُصْعب بن عُمَير . ومن بنى زُهْرة : عبد الرحمن ابن عَوف . ومن بنى مَخزُوم : أبو سَلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أمُّ سَلمة بنت أبى أمية . ومن بنى جُمَح : عثمان بن مَظْعون . ومن بنى عدىّ : عامرُ بن رَبيعة ومعه امرأته لَيلى بنت أبى حَثْمة . ومن بنى عامر : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم ؛ فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عليهم عثمان بن مظعون .

ثم خرج جعفر بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهـل له معهُ .

Marfat.com

فكان جميعُ من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلا ، إن كان عمّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

## إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلين من قريش جَلْدين إلى النجاشى ، فيردّهم عليهم ، ليفتنوهم فى دينهم ، ويُخرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعمرو بن العاص ابن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ، ثم بعثوهما إليه .

وكانَ من أمرهم ماذكرته أم سلمة بنت أبى أمية ، زوج رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، قالت :

لما نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشىّ ، أمِنّا على ديننا ، وعبدْنا الله تعالى لانُؤْذَى ولا نَسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشىّ فينا رجلَيْن منهم جَلْدَين ، وأن يُهْدُوا للنجاشىّ هَدايا ممـا يُستطرف من مَتاع مكة ، وكان من أعجب مايأتيه منها الأدَم[1] ، فجمعوا له أدَمًا كثيرًا ، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْريقا إلا أهدَوْا له هديّة ، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعَمْرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفَعا إلى كل بطريق هديّته قبل أن تُكلّما النجاشىّ فيهم ، ثم قدّما إلى النجاشىّ هداياه ، ثم سَلاه أن يُسْلِمهم إليكما قبل أن يُكلّمهم .

فخرجا حتى قدما على النجاشىّ ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبقَ من

---

(١) الأدم : الجلود ، وهو اسم جمع .

بطارقته بِطريقٌ إلا دَفَعا إليه هديّته قبل أن يكلِّما النجاشى . وقالا لـكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى(١) إلى بَلد الملك منّا غِلمانٌ سُفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع ، لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم ، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهم إلينا ولا يكلّمهم ، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْنًا(٢) ، وأعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لهما : نعم .

ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشىّ فَقَبلها منهما ، ثم كلّماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غِلْمان سُفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .

ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى رَبيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشى .

فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عَيْنًا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسْلِمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم .

فغضب النجاشى ، ثم قال : لاها الله ، إذًا لاأُسلمهم إليهما ، ولا يُكاد قومٌ جاورونى ونزلوا بلادى ، واختارونى على مَنْ سواى ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هـذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتُهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك مَنعتهم منهما ، وأحسنت جِوارهم ماجاورونى .

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا: نقول والله ماعلِمنا

---

(١) ضوى : لجأ ولصق وأتى ليلا .

(٢) أعلى بهم عينا : أبصر بهم . أى عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم .

Marfat.com

وما أمرَنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، كائنا فى ذلك ماهو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفتَه ، فنشروا مَصاحفَهم حولَه ، سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومَكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

فكان الذى كلّمه جعفرُ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : أيها الملك ! كنّا قوما أهلَ جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجِوار ، ويأكل القوىُّ منّا الضعيفَ ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانتَه وعفافَه ، فدعانا إلى الله لنوحّدَه ونعبدَه ! ونخلع ما كنّا نعبدُ نحنُ وآباؤنا من دونِه من الحِجارة والأوثان ، وأمَرَنا بصِدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرّحم ، وحُسْن الجِوار ، والكفّ عن المحارم والدّماء ؛ ونهانا عن الفواحش ، وقولِ الزورِ ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصنات ؛ وأمرَنا أن نعبد الله وحدَه لا نُشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ؛ ثم عدّد عليه أمورَ الإسلام فصدّقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وَحدَه فلم نشرك به شيئًا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحْللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذّبونا وفتنونا عن دِيننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا و بين دِيننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سواك ، ورَغِبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟

فقال له جعفر : نعم ! فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ ؛ فقرأ عليه صدرًا من ( كهيعص ) فبكى والله النجاشىُّ حتى اخضلّت لحيتُه ، وبكت أساقفتُه حتى أخضلوا مَصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مِشكاة[1]

(١) المشكاة : قال فى لسان العرب : « وفى حديث النجاشى : إنما يخرج من مشكاة واحدة . المشكاة الكوة غير النافذة ؛ وقيل هى الحديدة التى يعلق عليها القنديل » أراد أن القرآن والانجيل كلام الله تعالى ، وأنهما من شىء واحد .

Marfat.com

واحدة ، أنطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينّه غدا عنهم بما أستأصل به خضْرَاءهم[١] . فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقَى الرّجلين فينا : لا نفعل ، فإن لهم أرحامًا وإنْ كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأُخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بنَ مريم عَبْدٌ .

ثم غدا عليه من الغد : فقال له : أيها الملك ! إنهم يقولون فى عيسى بن مَرْيم قولاً عظيماً ، فأرسِل إليهم فسَلْهم عمّا يقولون فيه .

فأرسل إليهم ليسألهم عنه .

ولم ينزل بنا مثلُها قطٌّ ، فاجتمع القومُ ثم قال بعضُهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال اللهُ ، وما جاءنا به نبينا ، كائنٌ فى ذلك ماهو كائن .

فلمّا دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا صلى اللهُ عليه وسلم يقول : هو عبدُ الله ورسولهُ ورُوحهُ وكَلِمتهُ ، ألقاها إلى مريم العذراء البَتول .

فضرب النجاشىُّ بيده الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى ابنُ مريم ماقلتَ هذا العود .

فتناخرت بطارقتهُ حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، أذهبوا فأنتم شُيوم بأرضى ــ والشيوم[٢] : الآمنون ــ من سبّكم غَرِم ، ثم قال : من سبكم غَرِم ، ثم قال: من سبكم غَرِم ، ما أحبُّ أن لى دَبراً[٣] من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم ــ ردوا

---

(١) خضراءهم : شجرتهم التى منها تفرعوا .

(٢) يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية ، وأن تكون من شمت السيف ، أى أغمدته ، لأن الآمن مغمد عنه السيف ، أو لأنه مصون فى حرز كالسيف فى غمده .

(٣) الدبر : بلسان الحبشة : الجبل .

Marfat.com

عليهما هَدَاياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ اللهُ منّى الرشوةَ حين ردّ علىّ مُلكى ، فآخذَ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه .

فخرجا من عنده مَقْبُوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ .

فوالله إنّا لعلَى ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلكه ؛ فوالله ما علمتُنا حَزِنّا حزناً قطُّ كان أشدّ علينا من حُزنٍ حَزِنّاه عند ذلك ، تخوّفاً أن يَظهر ذلك الرجلُ على النجاشىّ ، فيأتى رجلٌ لايعرف مِنْ حَقّنا ما كان النجاشىُّ يَعْرِف منه .

وسار إليه النجاشىُّ ، وبينهما عرضُ النيل ، فقال أصحاب رسول الله صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُر وَقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير ابن العوام : أنا ؛ قالوا : فأنت . وكان من أحدث القوم سنّاً .

فنفخوا له قِرْبةً فجعلها فى صَدْره ، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرهم . فدعونا الله تعالى للنجاشىّ بالظهور على عدوه والتمْكين له فى بلاده ، فوالله إنّا لَعَلَى ذلك متوقّعون لما هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع بثَوْبه(١) وهو يقول : ألا أبْشروا ، فقد ظفر النجاشىّ ، وأهلك الله عدوّه ، ومكّن له فى بلاده .

فوالله ما علمتُنا فَرِحْنا فرحةً قط مثلها . ورجع النجاشىُّ ، وقد أهلك الله عدوّه ، ومكّن له فى بلاده ، واستوسق(٢) عليه أمرُ الحبشة ، فكُنا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمنا عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

وبعد ذلك اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا . وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيّأ لهم سُفناً ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن

---

(١) لمع بثوبه وألمع به : إذا رفعه وحركه ليراه غيره فيجىء إليه .
(٢) واستوسق : تتابع واستقر واجتمع .

Marfat.com

هزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرتُ فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبدُه ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله فى قَبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفّوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ! ألستُ أحقّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ! قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؛ قال : فما بالكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمتَ أنّ عيسى عبدٌ ؛ قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابنُ الله ؛ فقال النجاشيّ ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى ابن مريم ، لم يَزِد على هذا شيئاً ، وإنما يعنى ما كتب ، فرضُوا وانصرفوا عنه . فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه ، واستغفر له[1] .

## إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّهما النجاشيُّ بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لايُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحَمْزة حتى عازُّوا قريشاً[2] .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه ،

---

(١) وكان موت النجاشى فى رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العلج ؟ فأنزل الله تعالى : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » .

(٢) عازوا قريشا : غلبوهم .

Marfat.com

إن إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة ، كان فتحاً ، وإنّ هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنّا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلّينا معه .

قالت أم عبد الله بنت أبى حَثْمة :

والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ فى بعض حاجاتنا ، إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدّة علينا، فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله ؟ فقلتِ : نعم والله ! لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا وَقَهرتمونا حتى يجعل الله مخرجا .

فقال : صَحِبكم الله ! ورأيت له رِقّة لم أكن أراها ، ثم انصرف ، وقد أحْزنه – فيما أرى – خروجُنا ، فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمرَ آنفًا ورقّته وحُزْنه علينا . قال : أطمعتِ فى إسلامه ؟ قلت : نعم ! قال : فلا يُسلِم الذى رأيتِ حتى يُسلِم حمار الخطاب ؛ قال ذلك يأساً منه ، لما كان يُرى من غِلْظته وقَسْوته على الإسلام .

***

وكان إسلامُ عمرَ أنّ أختَه فاطمة بنت الخطاب ، وكانت عند سعيد بن زيد ، وكانت قد أسلمتْ وأسلم بعلُها سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحّام قد أسلم ، وكان أيضا يستخفى بإسلامه فَرَقًا من قومه ، وكان خبّاب بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرئها القرآن، فخرج عمرُ يوما متوشّحا سيفَه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصّفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصّديق ، وعلىّ

ابن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابئْ ، الذى فرّق أمرَ قريش ، وسفّه أحلامَها ، وعاب دينهاَ وسبّ آلهتها ، فأقتُله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسُك مِنْ نفسِك يا عمر !! أترى بنى عبد مناف تَارِكيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرَهم ؟ قال : وأىّ أهل بيتى ؟ قال: خَتَنُك وابن عمّك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمةُ بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفةٌ ، فيها « طه » يقرئهما إياها . فلما سمعوا حسّ عمر ، تغيّب خبّاب فى مخدع لهم وأخذت فاطمةُ بنت الخطاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فَخذها ، وقد سَمِع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة[1] التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئا ؛ قال: بلى والله! لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ؛ و بطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أُخته وخَتنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ؛ فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِم على ماصنع فارعوى[2] وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفه التى سَمِعتُكم تقرءون آنفا، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ؛ وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أُخته : إنا نخشاك عليها؛ قال : لاتخافى وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعتْ فى إسلامه ، فقالت له : يا أخى ! إنك نَجس على شِرْكِك ، وإنه

---

(١) الهينمة : صوت كلام لايفهم .

(٢) ارعوى : رجع .

لا يمسّها إلا الطاهر ؛ فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة، وفيها «طه[١]» . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه ، فقال له : ياعمر ! والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله ياعمر، فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خبّاب : هو فى بيت عند الصّفا، معه فيه نفر من أصحابه؛ فأخذ عمر سيفه فتوشّحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فضرب عليهم البابَ ، فلما سمعوا صوتَه ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلل الباب ، فرآه متوشّحًا السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فَزِع ، فقال : يا رسول الله ! هذا عمر بن الخطاب متوشّحًا السيف ؛ فقال حمزةُ بن عبد المطلب: فَأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له . فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة ، فأخذ حُجزته[٢] ، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذةً شديدةً، وقال: ما جاء بك يابن الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعةً[٣] ، فقال عمر : يا رسول الله ! جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله .

فكبّر رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن عمرَ قد أسلم .

فتفرّق أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّوا فى أنفسهم حين

---

(١) وفى رواية : أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة « طه » انتهى منها إلى قوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » . فقال : ما أطيب هذا الكلام وأحسنه ! وقيل إن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : « إذا الشمس كورت » وإن عمر انتهى فى قراءتها إلى قوله : « علمت نفس ما أحضرت » .

(٢) الحجزة : موضع شد الإزار .

(٣) القارعة : الداهية .

أسلم عمرُ مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سَيَمْنعان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ويَنْتصفون بهما من عدوهم .

ويقال أيضا إن إسلام عمرَ فيما تحدّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للاسلام مُباعداً ، وكنت صاحبَ خَمْر فى الجاهلية ، أحبّها وأُسرُّ بها ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجال من قُريش بالحَزْوَرة(١) ، عند دُور آل عمرَ بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، فخرجت ليلةً أريد جُلسائى أولئك فى مجْلسهم ذلك ، فجئتهم فلم أجدْ فيه منهم أحداً . فقلت : لو أنى جئتُ فلانا الخمّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجدُ عنده خمراً فأشرب منها فخرجتُ فجئته فلم أجدْه ، فقلت : فلو أنى جئتُ الكعبة فطُفْت بها سبعاً أو سبعين . فجئتُ المسجدَ أريد أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه و بين الشام ، وكان مُصلاّه بين الرُّكنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعتُ لمحمدٍ الليلة حتى أسمعَ ما يقول ! فقلت : لئن دنوتُ أستمع منه لأروّعنّه ؛ فجئت من قِبل الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشى رويداً ، ورسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى، يقرأ القرآن ، حتى قمتُ فى قبلته مُسْتَقبلَه ، ما بينى و بينه إلا ثيابُ الكعبة . فلما سمعتُ القرآن رقّ له قلبى ، فبكيتُ ودخلنى الإسلامُ ، فلم أزلْ قائماً فى مكانى ذلك ، حتى قضى رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاتَه ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقَه ، حتى يَجْزع المَسْعى(٢) ، ثم يَسْلُك بين دار عباس بن عبدالمطّلب، و بين دارا بن أزهر ثم على دار الأخنس بن شَريق ، حتى يدخل بيته، وكان مسكنُه صلى اللهُ عليه وسلم فى الدار الرَّقْطاء(٣) ، التى كانت بيدَىْ مُعاوية

(١) الحزورة : كانت سوق مكة ، وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث : وقف النبى صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال : يابطحاء مكة ، ما أطيبك من بلدة وأحبك إلى ! ولولا أن قوى أخرجونى منك ما سكنت غيرك .

(٢) يجزع المسعى: يقطعه ، يقال جزعت الوادى : إذا قطعته .

(٣) الرقطاء : التى فيها ألوان .

ابن أبى سفيان ، فتبعتهُ حتى إذا دخل بين دار عبّاس ، ودار ابن أزهر ، أدركتُه ، فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حسّى عرّفنى ، فظنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنى إنما تبعتُه لأوذيه فنهمنى(١) ، ثم قال : ماجاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قلت: جئت لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ؟ فحمِدَ الله رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم ، ثم قال : قد هَدَاك الله يا عمر ؛ ثم مَسح صَدْرى ، ودعا لى بالثبات ، ثم انصرفتُ عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ودخل رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم بيتَه .

ولما أسلم عمرُ قال : أىّ قريش أنقلُ للحديث ؟ فقيل له : جَميل بن معمر الجُمحى ؛ فغدا عليه حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أنى قد أسلمتُ ودخلت فى دين محمد ؟

فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه واتّبعه عمر ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ! ـ وهم فى أنديتهم حول الكعبة ـ ألاَ إنّ عمر بن الخطاب قد صَبا . ويقول عمرُ مِن خلفه : كَذب ، ولكنى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدهُ ورسوله .

وثاروا إليه فما برح يُقاتلهم ويُقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم ، وطَلِح(٢) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مائة رجلٍ لقد تركناها لكم ، أو تركتموها لنا .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلةٌ حِبْرة(٣) ، وقميصٌ مُوَشّى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صَبا عمر ، فقال : فمَه ؟! رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بنى عدىّ بن كعب يُسلمون لكم صاحبَهم هذا ! خلّوا عن الرجل فوالله لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه .

---

(١) نهمنى : زجرنى .
(٢) طلح : أعيا .
(٣) الحبرة : ضرب من برود اليمن .



Marfat.com

قال عمر : لما أسلمتُ تلك الليلة تذكرت أىّ أهلِ مكة أشد لرسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عداوةً حتى آتيَه فأخبره أنى قد أسلمتُ ، قلت : أبو جهل – وكان عمر لحَنْتَمة بنت هشام بن المُغيرة – فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابه ، فخرج إلىّ أبو جهل فقال : مرحبا وأهلا بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قلت : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنتُ بالله و برسوله محمد ، وصدّقت بما جاء به ؛ فضرب البابَ فى وجهى وقال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئتَ به .

## خبر الصحيفة

فلما رأت قريشٌ أنّ أصحاب رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنًا وقراراً ، وأنّ النجاشىّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى المطلب ، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتبَ الصحيفة منصور بن عِكرمة فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فشُلّ بعضُ أصابعه .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم و بنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه فى شِعْبه ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لَهَب ، عبد العزّى ابن عبد المطلب ، إلى قريش فظاهرهم .

وكان يقول فى بعض ما يقول :

يَعدنى محمدٌ أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع فى يدىّ بعد

Marfat.com

ذلك ، ثم ينفخ فى يَدَيْه ويقول : تبًا لـكما ! ما أرى فيكما شيئًا مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى فيه : ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) .

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثا ، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شىء إلا سرًا مستخفياً به مَنْ أراد صِلَتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام لقى حَكيم بن حِزام ومعه غلام يَحْمِل قمحاً يُريد به عمّته خَديجة بنت خُويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامُك حتى أفْضحك بمكّة .

فجاءه أبو البَخْتَرى بن هاشم فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم ! فقال له أبو البخترى : طعامٌ كان لعمّته عنده بعثت إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامَها ! خلِّ سبيلَ الرجل ؛ فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ له أبو البَخترى لَحْى بَعير فضربه به فشجّه ، ووطئه وطْأً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ، فيشمتوا بهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهارًا ، وسرًا وجِهارًا ، مبادياً بأمْر الله لا يتّقى فيه أحدًا من الناس .

## ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
### من قومه من الأذى

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمّه وقومُه من بنى هاشم ، و بنى المطّلب دونَه ، وحالوا بينهم و بين ما أرادوا من البَطْش به ، يَهْزِءونه و يستهزئون به و يخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قُريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، فمنهم من سمّى لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامّة مَنْ ذكر الله من الـكفّار ، فـكان ممن سُمّى لنا

من قُريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطّلب ، وامرأته أم جَميل[١] بنت حَرْب بن أُمية، حمّالة الحطب ، وإنما سمّاها الله تعالى حمّالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوكَ فتطرحه على طريق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حيث يمرّ ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ[٢] » .

فحين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس فى المَسْجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصدّيق ، وفى يدها فِهرْ[٣] من حِجارة ، فلما وقفتْ عليهما أخذَ الله ببصَرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ! أين صاحبُك ؟ فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربْتُ بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

مُذَمَّمًا عصَيْنَا ... وَأَمْرَهُ أَبيْنَا

وَدِينَــــهُ قَلَيْنَا[٤]

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال : ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنّى .

وكانت قريش إنما تسمّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُذَمَّمًا ، ثم يسبّونه ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون لما يصرف الله عنّى من أذى قريش ، يسبّون ويهجون مذممًا ، وأنا محمد ؟ ! .

وكان أُمَيّة بن خلف ، إذا رأى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم هَمَزه ولَمَزه ،

---

(١) وهى عمة معاوية .

(٢) لما كنى الله تعالى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا فى حبل ، من ثم جعل الحبل فى عنقها ليقابل الجزاء الفعل . والمسد : شجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه حبال .

(٣) الفهر : حجر على مقدار ملء الكف .

(٤) قلينا : أبغضنا .

Marfat.com

فأنزل الله تعالى فيه : ( وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(١) ، الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ) .

وكان خبّاب بن الأرت ، صاحبُ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قَيْنًا بمكة يعمل السيوفَ ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفًا عملها له ، حتى كان له عليه مالٌ ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خبّاب ! أليس يزعُم محمد صاحبُكم هذا الذى أنت على دينه ، أن فى الجنة ما ابْتغى أهلُها من ذهب ، أو فضة ، أو ثيابٍ ، أو خدم ؟ قال خبّاب : بلى ! قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقّك ، فو الله لا تكون أنت وصاحبك يا خبّاب آثرَ عند الله منّى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك . فأنزل الله تعالى فيه : ( أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا . أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ) . إلى قوله تعالى : ( وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا(٢) ) .

ولقى أبو جهل بن هشام رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال له : والله يا محمد ، لتتركنّ سبّ آلهتنا ، أو لنسبنّ إلهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ( وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ(٣) ) . فكف رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

وكان النضر بن الحارث إذا جلس رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مجلسًا فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآنَ وحذّر فيه قريشًا ما أصاب الأممَ الخالية ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُستم السنديد(٤) ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله

(١) الهمزة : الذى يشتم الرجل علانية . اللمزة : الذى يعيب الناس سرا ويؤذيهم .

(٢) سورة مريم : آية ٧٧ وما بعدها .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٠٨ .

(٤) السنديد ( بلغة فارس ) : طلوع الشمس . وهم ينسبون إليه كل جهل .

Marfat.com

ما محمد بأحسن حديثًا منّى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، أكتتبها كما اكتتبتُها . فأنزل الله فيه : ( وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا[١] ) ونزل فيه : ( إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[٢] ) ونزل فيه : ( وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٣] ) .

وجلس رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يومًا مع الوليد بن المُغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش ، فتكلّم رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ[٤] ) .

ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المُغيرة لعبد الله بن الزِّبعرى : والله ما قام النضرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزِّبعرى : أما والله لو وجدته لخصَمْته ؛ فسلوا محمدًا أكلّ ما يُعبد من دون الله فى جهنم مع مَنْ عبده ؟ فنحن نعبدُ الملائكة ، واليهودُ تعبد عُزيرًا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ كلّ من أحبّ

---

(١) سورة الفرقان : آية ٥ وما بعدها .

(٢) سورة القلم : آية ١٥ .

(٣) سورة الجاثية : آية ٧ وما بعدها .

(٤) سورة الأنبياء : آية ٩٨ وما بعدها . حصب جهنم : كل ما أوقدت به .

Marfat.com

أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرَتهم بعبادته؛ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ(١) ) أي عيسى ابن مريم ، وعُزَيرا ، ومن عَبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدُهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله .

ونزل – فيما يذكرون – أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(٢) ) إلى قوله : ( وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٣) ) .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعْبَدُ من دون الله ، وعَجبَ الوليد ومن حَضَره من حُجّته وخصومته : ( وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(٤) ) أي يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بنَ مريم فقال : ( إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ . وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(٥) ) أي ما وَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة ، يقول : ( فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) .

وكان الأخنسُ بن شَريق يُصِيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردّ عليه ،

(١) سورة الأنبياء : آية ١٠١ وما بعدها .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٦ وما بعدها .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٢٩ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٥٧ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٥٩ وما بعدها .

Marfat.com

فأنزل الله تعالى فيه : ( وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ) إلى قوله تعالى : ( زَنِيمٍ[١] ) ، ولم يقل : « زَنِيمٍ » لعيب فى نسبه ، لأن الله لا يعيب أحداً بنسب ، ولـكنه حقق بذلك نعته ليُعرف والزنيم : العَديد[٢] للقوم .

وقال الوليد بن المغيرة : أيُنزَل على محمدٍ وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفى سيِّد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه ، ( وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ) إلى قوله تعالى : ( مِمَّا يَجْمَعُونَ[٣] ) .

وكان أُبَىّ بن خَلَف وعُقبة بن أبى مُعيط مُتصافيين ، حسَنًا ما بينهما ، فكان عُقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، فبلغ ذلك أُبيًّا فأتى عُقبة فقال له : ألم يبلغنى أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ! وجْهى من وجهك حَرام أن أُكلمك ، واستغلظ من اليمين إن أنت جلستَ إليه أو سمعتَ منه ، أو لم تأته فتتفل فى وجهه ؛ ففعل ذلك عدو الله عُقبة بن أبى مُعَيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما : ( وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) إلى قوله تعالى : ( لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا[٤] ) .

ومشى أُبَىّ بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَظْمٍ بالٍ قد أرفتَ[٥] فقال : يا محمد ! أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرِم[٦] ، ثم فتّه فى يده ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم !

---

(١) سورة القلم : آية ١٠ وما بعدها .
(٢) العديد : من يعد فى القوم ، وهو الدعى .
(٣) سورة الزخرف : آية ٣١ وما بعدها .
(٤) سورة الفرقان : آية ٢٧ وما بعدها .
(٥) ارفت : تحطم وتكسر .
(٦) أرم : بلى .

Marfat.com

أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك الله النار ؛ فأنزل الله تعالى فيه : ( وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ(١) ) .

واعترض رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو يطوف الكعبة الأسودُ بن المطلب والوليدُ بن المغيرة ، وأميةُ بن خلف ، والعاصُ بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ! هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرًا مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم : ( قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ) أى إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ، ولى دينى .

وقال أبو جهل بن هشام لمّا ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم : يامعشر قريش ! هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة يثرب بالزّبد ، والله لئن استمكنّا منها لنتزقمنّها(٢) تزقُّمًا . فأنزل الله تعالى فيه : ( إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ(٣) ) ، أى ليس كما يقول .

---

(١) سورة يس : آية ٧٨ وما بعدها .

(٢) تزقم : ابتلع .

(٣) سورة الدخان : آية ٤٣ ومابعدها. المهل: كل شىء أذبته من نحاس أو رصاص أو ماأشبه ذلك، ويقال إن المهل : صديد الجسد .

Marfat.com

وأنزل الله تعالى فيه أيضاً : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا[١] ﴾ .

ووقف الوليد بن المُغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكلّمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك إذ مرّ به ابنُ أم مَكتوم الأعمى ، فكلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يَسْتقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أضْجره ، وذلك أنه شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد ، وما طَمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : « عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » إلى قوله تعالى . « فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » أى إنما بعثتك بشيراً ونذيرًا ، لم أخصّ بك أحدًا دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده .

## من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لَمَا بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوار أو مُستخفيًا[٢] .

---

(١) سورة الاسراء : آية ٦٠ .

(٢) وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فألقى الشيطان فى تلاوته ، عند ذكر اللات والعزى « وأنهم لهم الغرانقة العلا ، وأن شفاعتهم لترتجى » فطار ذلك بمكة ، فسر المشركون وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير ! ! فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون وأنزل الله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله =

Marfat.com

فكان ممن قدِم عليه مكةَ منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرًا وأُحُدًا ، ومَنْ حُبس عنه حتى فاته بدرٌ وغيره ، ومن مات بمكة .

وكان جميع مَنْ قَدِم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً ، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ : عثمان بن مَظْعون ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة ؛ وأبو سَلَمة بن عبد الأسَد ، دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب ، وكان خالَه ؛ وأم أبى سَلمة : بَرّة بنت عبد المطلب .

أما عثمان بن مَظْعون فإنه لما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو و يروح فى أمان من الوليد بن المُغيرة ، قال : والله إن غُدُوّى ورَواحى آمنًا بجوار رجلٍ من أهل الشّرك ، وأصحابى وأهلُ دينى يَلْقَوْن من البلاء والأذى فى الله مالا يُصيبنى ، لنقصٌ كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمسْ! وفتْ ذمّتك ، قد رددتُ إليك جوارك ؛ فقال له: لم يا بن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى ؟ قال : لا ، ولكنى أرضَى بجوار الله ولا أُريد أن أستجيرَ بغيره . قال: فانطلقْ إلى المسجد فارددْ علىّ جوارى علانيةً كما أجرتُك علانية .

فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى . قال : صَدَق ، قد وجدتُه وفيًّا كريمَ الجوار ، ولكنى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله فقد رددتُ عليه جوارَه ، ثم انصرف عثمان ، ولَبيد بن رَبيعة فى مجلس من قُريش يُنشدهم فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

---

= ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم — سورة الحج : آية ٥٢ . فى ... أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا . ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من ... ؛ وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأذاعه ، والرسول عليه الصلاة والسلام لم ينطق به . وهذا جيد لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ماأتيتك بهذا ! ومنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه . وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم لترتجى . ومنها أن النبى عليه الصلاة والسلام قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

Marfat.com

* ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل *

قال عثمان : صدقتَ . قال لبيد :

* وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ *

قال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لايزول . قال لبيد بنَ ربيعة : يا معشر قريش ! والله ما كان يؤذَى جليسُكم ، فمتى حدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سَفيه فى سُفهاء معه ، قد فارقوا دينَنا فلا تجدنّ فى نفسك مِنْ قوله ؛ فردّ عليه عثمان حتى شَرِى[1] أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجلُ فلطَمَ عينَه فخضَّرها ، والوليدُ بن المُغيرة قريبٌ يرى مابلغ من عثمان ، فقال : أما والله يابن أخى إن كانت عينُك عمّا أصابها لغنيَّة ، لقد كنتَ فى ذمة منيعة .

فقال عثمان : بل والله إنّ عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ، وإنى لفى جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ؛ فقال له الوليد : هلم يابن أخى، إن شئت فعُدْ إلى جوارك ؛ فقال : لا .

وحدث أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشى إليه رجالٌ من بنى مخزوم ، فقالوا له : يا أبا طالب ! لقد منعتَ منّا ابن أخيك محمدًا، فما لكَ ولصاحِبنا تمنعه منّا ؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابنُ أختى ، وإنْ أنالم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ؛ فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ! والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون توثَّبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهنّ عنه أو لنقومنّ معه فى كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد .

فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتبة ؛ وكان لهم وليًّا وناصرًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبقَوْا على ذلك . فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ،

---

(١) شرى : زاد وعظم .

Marfat.com

ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فى ذلك قصيدة يحرّض بها أبا لهب على نُصْرَته ونُصْرَة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## دخول أبى بكر فى جوار ابن الدغنة ورد جواره عليه

وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى مِنْ تَظاهر قُريش على رَسُول الله صَلى اللهُ عليه وسلم وأصحابه ما رأى ، استأذن رَسُول الله صلى الله عليه وَسلم فى الهجرة فأَذِن له ، فخرج أبو بكر مهاجرًا ، حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين ، لَقِيه ابن الدُّغُنّة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش[1] .

فقال له : أينَ يا أبا بكر ؟ قال : أخْرجَنى قومى وآذونى ، وضيّقوا علىّ ، قال : ولِمَ؟ فوالله إنك لتَزِين العشيرةَ ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروفَ وتَكْسِب المَعْدُوم ، ارجع فأنت فى جوارى . فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنّة فقال : يامعشر قريش! إنى قد أجرتُ ابنَ أبى قُحافة ، فلا يعرضنّ له أحدٌ إلا بخير . فكفّوا عنه .

وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فكان يصلّى فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى ، فيقف عليه الصبيان والعَبيد والنّساء يعجبون لما يَرَوْن من هَيْئته ، فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدغنّة ، فقالوا له : يابن الدغنّة ! إنك لم تُجِرْ هذا الرجلَ ليُؤذينا ! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمدٌ يرقّ ويبكى ، وكانت له هيئة ونحْو ، فنحن نتخوّف على صِبياننا ونسائنا وضَعَفَتِنا أن يَفْتِنهم ، فأْتِه فمُرْه أن يدخل بيته فلْيَصْنع فيه ما شاء .

فمشى ابن الدغنّة إليه فقال له : يا أبا بكر ! إنى لم أُجِرك لتُؤذى قومَك ، إنهم قد

---

(١) سموا الأحابيش لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة ، ويقال إن حلفهم كان عند جبل يقال له حبشى فاشتق لهم منه هذا الاسم .

Marfat.com

كرهوا مكانك الذى أنت فيه ، وتأذَّوْا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببتَ قال : أَوَ أَرُدُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد عَلَىَّ جوارى ؛ قال : قد رددته عليك .

فقام ابنُ الدغنّة فقال : يا معشر قريش ! إنّ ابنَ أبى قُحافة قد ردّ علىّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

ويروى أنه لقيه سَفيه من سفهاءِ قُريش ، وهو عامدٌ إلى الكعبة ، فَحثا على رأسه ترابا ، فمرّ بأبى بكر الوليدُ بن المُغيرة ، فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيهُ ؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك . فأخذ يقول: أى ربّ ! ماأحلمك ! أى رب ! ماأحلمك ! أى رب ! ما أحلمك !

## نقض الصحيفة

ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة ، التى تكاتبت فيها قريشٌ على بنى هاشم وبنى المطلب، نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو . وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة بن هاشم بن عَبْد مناف لأُمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرف فى قومه ، فكان يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشِّعْب ليلا ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب خلع خِطامه من رأسه ، ثم ضرب على جَنْبه ، فيدخل الشّعبَ عليهم، ثم يأتى به قد أوقره بزًّا ، فيفعل به مثلَ ذلك .

ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أُمية ، وكانت أمه عاتكةَ بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير ! أقد رَضِيتَ أن تأكلَ الطعامَ ، وتلبس الثيابَ ، وتنكِح النساء ، وأخوالُكَ حيثُ قد علمتَ ، لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكِحون ولا يُنكح إليهم ؟ ! أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوالَ أبى الحكم بن هشام ، ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدا ؛ قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله

Marfat.com

أن لو كان معى رجلٌ آخر لقُمْت فى نقْضها حتى أنقضها ؛ قال : قد وجَدْتَ رجلاً ؛ قال: فمن هو ؟ قال : أنا ؛ قال له زهير : أبغِنَا رجلاً ثالثاً .

فذهب إلى المُطعِم بن عدىّ ، فقال له : يا مُطعِم ! أقد رضيتَ أن يَهلِك بطْنان من بنى عَبْد مناف ، وأنت شاهدٌ على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سراعا ؛ قال : ويحك ! فماذا أصنَع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ؛ قال : قد وجدت ثانيا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ؛ قال : أبغِنا ثالثاً ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : أبغنا رابعاً .

فذهب إلى أبى البَختَرِىّ بن هشام ، فقال له نحوًا مما قال للمُطْعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، والمُطْعم بن عدىّ ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامساً .

فذهب إلى زَمْعة بن الأسود ، فكلّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقَّهم . فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تَدْعونى إليه مِنْ أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمّى له القومَ .

فاتّعدوا خَطْم الحَجون(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرَهم ، وتعاقدوا على القيام فى الصّحيفة حتى يَنْقضوها ؛ وقال زهير : أنا أبدؤكم ، فأكون أولَ مَنْ يتكلّم . فلما أصبحوا غدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زُهير بن أبى أمية عليه حُلّة فطاف بالبيت سبْعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهلَ مكة ! أنأكلُ الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم ؟! والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل ، وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقّ ؛ قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، ما رَضينا كتابها حيثُ كُتِبت ؛ قال أبو البختَرىّ : صَدَق زمعةُ ، لا نرضى ما كُتب فيها ، ولا نُقرّ به ، قال المطعم بن عدى : صدقتُما وكذب مَنْ قال غيرَ

(١) الحجون : موضع بأعلى مكة . وخطمه : مقدمه .

Marfat.com

ذلك ، نَبْرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِي بليلٍ ، تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان ـ وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ـ فقام المُطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأَرَضة قد أكلتْها إلا « باسمك اللهم » .

وذكر بعضُ أهل العلم :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب : يا عم ! إنّ ربى الله قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش . فلم تَدَعْ فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفتْ منها الظلم والقَطيعة والبُهتان ؛ فقال : أربُّك أخْبرك بهذا ؟ قال : نعم ؛ قال : فو الله ما يدخل عليك أحدٌ ؛ ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ! إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلّم صحيفتَكم ، فإن كان كما قال ابنُ أخى فانتهوا عن قَطيعتنا ، وانزلوا عمّا فيها ، وإن كان كاذبًا دفعتُ إليكم ابنَ أخى ؛ فقال القوم : رَضينا ؛ فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم ذلك شرًّا ؛ فعند ذلك صنع الرهطُ من قُريش فى نَقْض الصحيفة ما صنعوا[1] .

---

(١) يحكى أن المؤمنين جهدوا من ضيق الحصار ، حتى أنهم كانوا يأكلون الخبط ، وورق السمر حتى إن أحدهم ليصنع كما تصنع الشاة . وكان فيهم سعد بن أبى وقاص ، روى أنه قال : لقد جعت حتى إنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فوضعته فى فى وبلعته ، وما أدرى ماهو إلى الآن . وكانوا إذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام لعياله ، يقوم أبو لهب عدو الله فيقول : يامعشر التجار ! غالوا على أصحاب محمد حتى لايدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم . فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا ، حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يديه شىء يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المسلمون ومن معهم جوعا وعريا . .

Marfat.com

# إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما يَرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريشٌ ، حين منعه الله منهم ، يحذّرونه النّاس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدّث :

أنه قدم مكة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجالٌ من قُرَيش ، وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعرًا لَبيبًا ، فقالوا له : يا طُفيل ! إنك قدمتَ بلادنا ، وهذا الرجلُ الذى بين أظهرنا قد أعْضل[1] بنا ، وقد فرّق جماعتَنا ، وشتّت أمرنا ، وإنما قولُه كالسِّحر يفرِّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنما نَخشى عليك وعلى قومك ماقددَخل علينا، فلا تُكلّمنّه ولا تسمعنّ منه شيئًا . فوالله ما زالوا بى حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلّمه ؛ حتى حشوتُ فى أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفًا[2] فرَقًا من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه ؛ فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلّى عند الكعبة ، فقُمت منه قريبا فأبى اللهُ إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . فسمعت كلامًا حسنًا ، فقلت فى نفسى : واثُكلَ أمى ! والله إنى لرجل لَبيب شاعرٌ ، ما يخفى علىّ الحسنُ من القبيح ، فما يَمنعنى أن أسمَع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذى يأتى به حسنًا قَبلته وإن كان قبيحًا تركتُه .

---

(١) أعضل : اشتد أمره .

(٢) الكرسف : القطن .



Marfat.com

فكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتَّبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يا محمد! إنَّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، الذى قالوا ، فوالله ما برِحوا يُخوِّفوننى أمرَك حتى سددتُ أذنى بكرسُف لئلا أسمع قولَك ، ثم أبى اللهُ إلا أنْ يُسمعنى قولَك ، فسمعتُه قولا حسنًا ، فاعرض علىّ أمرَك .

فعرض علىّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا علىَّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولا قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمرًا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبى الله ! إنى أمرُؤٌ مُطاع فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ اللهَ أن يجعل لى آيةً تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : اللهم اجعل له آية .

فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بِثَنية(١) تُطلعنى على الحاضِر(٢) ، وَقع نورٌ بين عينىّ مِثْلُ المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وَجْهى ، إنى أخشى أن يظنُّوا أنها مُثْلة وقعت فى وجهى لِفراق دينهم . فتحوّل فوقع فى رأس سَوْطى ، فجعل الحاضرُ يتراءَوْن ذلك النور فى سَوْطى كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثنيّة ، حتى جئتهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرًا ، فقلت : إليك عنّى يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منّى ، قال : ولِم يابنىّ ؟ ! قلتُ : أسلمتُ وتابعت دينَ محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : أى بنىّ ! فدينى دينُك ، فقلت : فاذهب فاغتسل وطهّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما عُلِّمت . فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابَه ، ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسْلَمَ .

ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فلستُ منك ولست منّى ؛ قالت : لِمَ ؟

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .
(٢) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

بأبي أنت وأمي ! قلت : قد فرق بيني و بينك الإسلام ، وتابعتُ دين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فديني دينُك ، قلتُ : فاذهبي إلى حِناَ ذى الشَّرى[١] فتطَهَّرى منه .

فقالت : بأبي أنت وأمي ! أتخشى على الصبيَّة من ذى الشَّري شيئا ؟ قلت : لا ! أنا ضامِنٌ لذلِك ، فذهبتْ فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت .

ثم دعوتُ دَوْسًا إلى الإسلام فأبطئوا علىَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له : يا نبيَّ الله ! إنه قد غلبنى على دَوْس الزنا[٢] ، فادعُ الله عليهم ، فقال : اللهم اهد دَوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُق بهم .

فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحدٌ والخندقُ ، ثم قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسْلَمَ معى مِنْ قومى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوس ، ثم لحِقْناَ برسول الله صلي الله عليه وسلم بخيبر ، فأَسْهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزَل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فتح اللهُ عليه مكة ، قلت : يا رسول الله ! ابعثنى إلى ذى الكفَّين ، صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أُحْرقه .

فخرج إليه ، فجعل يوقد عليه النار و يقول :

يا ذا الكَفَّين لستُ مِنْ عُبَادِكاَ　　ميلادُنا أقدمُ مِنْ ميلادِكا
إنى حشوتُ النار فى فُؤادِكاَ

ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معه بالمدينة حتى قبض اللهُ رسوله صَلى اللهُ عليهِ وسلم .

• • •

(١) ذى الشرى : اسم صنم دوس. والحنا: هو الحمى ، وكان به ماء يهبط من جبل قريب .
(٢) الزنا : لهو مع شغل قلب وبصر .

Marfat.com

وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم و بُغضه إياه ، وشدته عليه ، يذله الله له إذا رآه .

قدم رجلٌ من إراش بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطَله بأثمانها ، فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ، ورَسُولُ الله صَلّى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالسٌ ، فقال : يا معشر قريش ! مَنْ رجلٌ يُؤدّينى(١) على أبى الحكم بن هِشام ، فإنى رجلٌ غريب ، ابنُ سَبِيل ، وقد غَلبنى على حقى ؟ فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالسَ لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهم يهزءون به لما يعلمون بينه و بين أبى جهل من العداوة ـ اذْهَبْ إليه فإنه يؤدِّيك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عبد الله ! إنّ أبا الحكم بن هشام قد غَلَبني على حقّ لى قبَله ، وأنا رجل غريب ابن سَبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقّى منه ، فأشاروا لى إليك، فخُذْ لى حقّى منه يرحمك الله ، قال: انطلق إليه .

وقام معه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوْه قام معه ، قالوا لرجل ممن معهم : أتبعه فانظر ماذا يصنع ؟ .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال: محمد ، فاخرج إلىّ ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة(٢) ، قد انتقع لونُه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقّه ، قال : نعم ، لاتبرحْ حتى أعطيه الذى له، فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه .

ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للإراشي : الحق بشأنك . فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيرًا ! فقد والله أخذ لى حقّى .

---

(١) يؤدينى : يعيننى على أخذ حق .

(٢) أى بقية روح من دم .

وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجبا من العجب ! والله ماهو إلا أن ضَرب عليه بابه ، فخرج إليه وما معه روحُه ، فقال له أعط هذا حقه فقال نعم ، لاتبرحْ حتى أُخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه .

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء،فقالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ماصنعت قطّ ؟ قال : ويحكم ! والله ماهو إلا أن ضربَ عَلَىّ بابى ، وسمعت صوتَه فمُلئت رعبا ، ثم خرجتُ إليه ، وإنّ فوق رأسه لفحلا من الإبل ، ما رأيت مثلَ هامته ولا قَصَرته[1] ولا أنيابه لفَحْلٍ قطُّ ، والله لو أبيتُ لأكلنى .

وكان رُكانة بنُ عبد يزيد أشدّ قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شِعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رُكانة ! ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حقّ لاتبعتك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتُك ، أتعلم أنّ ما أقول حق ؟ قال : نعم : قال : فقم حتى أُصارعك ، فقام إليه رُكانة يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أضْجَعه ، وهو لايملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عُدْ يامحمد، فعاد فصرعه، فقال : يا محمد ! والله إن هذا للعجب ! أتصرعنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأعجبُ من ذلك إن شئت أن أُريكه إن اتقيتَ الله واتبعت أمرى ، قال : ماهو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرة التى ترَى فتأتينى ، قال : ادعها . فدعاها فأقبلت ، حتى وقفت بين يدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : ارجعى إلى مكانك ، فرجعت إلى مكانها .

فذهب رُكانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ! ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيت أسحرَ منه قطّ ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

---

(١) القصرة : أصل العنق .

Marfat.com

# وفد النصارى الذين أسلموا

ثم قدم على رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبٌ من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبرُه من الحبشة ، فوجدوه فى المَسْجد ، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه ، ورجالٌ من قريش فى أنديتهم حولَ الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، ، دعاهم رسولُ الله صَلى اللهُ عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدّقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم فى كتابهم من أمْره .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جَهْل بن هشام فى نَفَر مَن قريش ، فقالوا لهم : خيّبكم الله مِنْ رَكْبٍ ! بعثكم مَن وراءكم مِنْ أهل دينكم تَرْتادون لهم لِتأتوهم بخبَر الرجل ، فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينَكم وصدقتموه بما قال ؟؟ ما نعلم رَكبًا أحمقَ منكم . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسَنا خيرًا[1] .

وكان هؤلاء النّفر من النصارى مَن أهل نجْرَان ، وفيهم نزلت هؤلاء الآيات : ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) إلى قوله ( لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ[2] » :

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خبّاب ، وعمّار ، وأبو فُكَيهة يسار ، وصُهَيْب ، وأشباههم من المسلمين ،

---

(١) أى نقصرها عن بلوغ الخير : يقال : ماألوت أن أفعله كذا وكذا : أى ماقصرت .

(٢) ذكر ابن شهاب الزهرى أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه . والآيات من سورة المائدة من قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » إلى قوله : « فاكتبنا مع الشاهدين » .

هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا بالهدي والحق!؟ لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم اللهُ به دوننا ، فأنزل الله تعالى فيهم (وَلاَ تَطرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[(١)]) .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يجلس عند المَرْوة إلى مَبِيعة غلامٍ نصرانيّ ، يقال له جَبْرٌ ، عبدٌ لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلّمُ محمدًا كثيرًا مما يأتي به إلا جبرٌ النصراني ، غلامُ بني الحضرمي . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ[(٢)]) .

وكان العاص بنُ وائل السَّهمي إذا ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوه ، فإنما هو رجلٌ أبتر لا عَقِبَ له ، لو مات لانقطع ذِكره واسترحتم منه ، فأنزل الله في ذلك : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » ماهو خيرلك من الدنيا وما فيها. والكوثر : العظيم .

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه إلى الإسلام ، وكلمهم فأبلغ إليهم ، فقالوا له : لو جُعل معك يا محمد مَلَكٌ يحدّث عنك الناس ويُرى معك ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : (وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ[(٣)] » .

---

(١) سورة الأنعام : آية ٥٢ .

(٢) سورة النحل : آية ١٠٣ يلحدون : يميلون عن الحق .

(١) سورة الأنعام : آية ٨ ، ٩ .

Marfat.com

ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالوليد بن المُغيرة ، وأُميَّة بن خَلف ، و بأبى جَهل ابن هشام ، فهمزوه واستهزءوا به ، فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم : « ولقدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُـلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بالّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِءُونَ(١) » .

## الإسراء

ثم أُسرى برسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيتُ المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها .

وكان من الحديث عن مَسْراه صلى اللهُ عليه وسلم حين أُسرى به ، وما ذُكر عنه ، بلاء وتمحيص ، وأمرٌ منْ أمر الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأُولى الألباب ، وهدًى ورحمةٌ وثبات لمن آمن وصدّق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ، ليُريه من آياته ماأراد ، حتى عاين ماعاينَ منْ أمره وسُلطانه العظيم ، وقُدرته التى يصنع بها مايُريد .

قال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم :

بينا أنا نائمٌ فى الحِجْر ، إذ جاءنى جبريلُ فهمزنى بقدمه ، فجلستُ فلم أرَ شيئًا ، فعُدت إلى مَضجعى ، فجاءني الثانية فهمزنى بقدمه ، فجلستُ فلم أر شيئا ، فعُدت إلى مَضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه ، فجلستُ فأخـذ بعَضدى ، فقمت معه ، فخرج بى إلى بابِ المسجد ، فإذا دابة أبيض ، بين البغل والحمـار ، في فخذيه جناحان يحفز(٢) بهما رجليْه ، يضع يده فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠ .

(٢) يحفز : يدفع .

ولما دنوتُ منه لأركبه شَمَس[١] ، فوضع جبريلُ يدهُ عَلَى مَعرفته ، ثم قال : ألا تستحي يابراق مما تصنع ! فوالله ماركبك عبدٌ لله قبل محمد أكرمُ عليه منه ؟ فاستحيا حتى ارفضّ عرقا ، ثم قَرّ حتى رَكبته .

ومضى رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء ، فأمَّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ، ثم أُتى بإناءين ، فى أحدهما خمر ، وفى الآخر لَبن ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه : وترك إناء الخمر . فقال له جبريلُ : هُديت للفطرة ، وهُديتْ أمتك يامحمد ، وحُرّمت عليكم الخمر .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فلما أصبح غَدا على قريش فأخبرهم الخبرَ ؛ فقال أكثر الناس : هذا والله الإمْر[٢] البيّن !! والله إن العِير لتُطْرد ، شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهرًا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة !! .

فارتد كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ؟ فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؟ فقالوا : بلى ! هاهو ذاك فى المسجد يحدّث به الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صَدق ، فما يُعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليُخبرنى أنّ الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه ؛ ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يانبيّ الله !

---

(١) شمس الفرس : إذا لم يمكن أحدا من ظهره ولا من الإسراج والإلجام ، ولا يكاد يستقر .

(٢) الإمر ( بكسر الهمزة ) : العجيب المنكر .

Marfat.com

أحدّثتَ هؤلاء القومَ أنك جئتَ بيتَ المقْدِس هذه الليلةَ ؟ قال : نعم ، قال : يانبيّ الله ! فصِفْهُ لى فإنى قدْ جِئْته .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَصِفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صدقتَ ! أشهدُ أنك رسول الله ؛ وكلما وصف له منه شيئاً؛قال : صدقت ! أشهدُ أنك رسول الله . حتى إذا انتهى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : وأنت ياأبا بكر الصدِّيق ؛ فيومئذ سمّاه الصّديق .

وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك : « وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا[١] » .

وكانت عائشة زوجُ النبى صلّى الله عليه وسلّم تقول : ما فُقِدَ جسدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

وكان معاوية بن أبى سفيان إذا سُئل عن مَسْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كانت رؤيا من الله تعالى صادقةً .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان .

وزعم الزهرى عن سعيد بن المُسيّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أرَ رجلاً أشبهَ قط بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدَم طويلٌ ضَرْبٌ جَعْد أقنى[٢] ، كأنه من رجال شَنوءة[٣] . وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بَين القصير

---

(١) سورة الإسراء : آية ٦٠ .

(٢) الضرب من الرجال : الخفيف اللحم . والجعد : المتكسر الشعر ، والأقنى : المرتفع قصبة الأنف .

(٣) شنوءة : قبيلة من الأزد .

Marfat.com

والطويل ، سَبِط الشعر ، كثير خِيلان[١] الوجه ، كأنه خرج من دِيماس[٢] ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبهُ رجالكم به عُروة بن مَسعود الثقفي .

وكانت صفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن عليّ بن أبي طالب كان يقول : لم يكن بالطويل المُمغَّط[٣] ، ولا القصير المتردّد . وكان رَبعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القَطَط[٤] ولا السَّبْط ، كان جَعْدًا رجِلا[٥] ، ولم يكن بالمُطهّم[٦] ولا المُكلثم[٧] . وكان أبيضَ مُشربا ، أدعج[٨] العينين ، أهدب[٩] الأَشفار، جليل المُشاش[١٠] والكتَد[١١] ، دقيق المَسْرُبة[١٢] . أجرد[١٣] شَثْن[١٤] الكفين والقدمين . إذا مشى تقلّع[١٥] كأنما يمشى فى صَبَب[١٦] ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتَم النبوة ، وهو صلّى الله عليهِ وسلّم خاتَم النبيين ، أجودُ الناس كفًّا ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم

---

(١) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء .

(٢) الديماس ( بالفتح ويكسر ) : الحمام .

(٣) ويروى : « الممغط » بالمين المهملة ، والممغط والممعط : الممتد . وقيل : الممعط ( بالعين المهملة ) : المضطرب الخلق .

(٤) القطط : الشديد جعودة الشعر .

(٥) رجلا : مسرح الشعر .

(٦) المطهم : العظيم الجسم .

(٧) المكلثم : المستدير الوجه فى صغر .

(٨) الأدعج : الأسود العينين .

(٩) أهدب الأشفار : طويلها .

(١٠) المشاش : عظام رءوس المفاصل .

(١١) الكتد ( بفتحتين وبفتح فكسر ) : مابين الكتفين .

(١٢) المسربة : الشعر الذى يمتد من الصدر إلى السرة .

(١٣) الأجرد : القليل شعر الجسم .

(١٤) الشثن : الغليظ .

(١٥) تقلع : لم يثبت قدميه .

(١٦) الصبب : ما انحدر من الأرض .

Marfat.com

عِشْرة ، من رآه بديهة[1] هابهُ ، ومن خالطه أحبّه ، يقول ناعتهُ : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى اللهُ عليه وسلم .

## المعراج

وكَان رسُول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لمـا فرغت مما كَانَ فى بيت المَقدس أُتى بالمعراج ، ولم أر شيئا قطّ أحسنَ منه ، وهو الذى يَمُدّ إليه ميتُكم عَيْنَيه إذا حُضر ، فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له باب الحَفَظة ، عليه مَلَك من الملائـكة .

ثم تلقّتنى الملائـكة حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقنى مَلَكٌ إلا ضاحكا مستبشراً ، يقول خيراً و يدعو به .

ورأيت بها رجلا جالساً تُعرض عليه أرواح بنى آدم ، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيراً و يُسرُّ به ، ويقول : روح طيّبة خَرجت من جَسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه أفّ ، ويَعْبِسُ بوجهه ويقول : روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث ، فقلت: من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه أرواحُ ذريته ، فإذا مرّت به روح المُؤمن مِنهم سُرَّ بها وقال : روح طيّبة خرجت من جَسد طيب . وإذا مرّت به روح الـكافر منهم أفّف[2] منها وكَرِهها ، وساءه ذلك ، وقال : روحٌ خبيثةٌ خرجت من جسد خبيث .

---

(١) بديهة : ابتداء .
(٢) أفّف : قال أف .

## كفاية الله أمر المستهزئين

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابراً محتسباً ، مؤديا إلى قومه النصيحة على مايلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهزئين ، خمسة نفَر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم :

الأسودُ بن المطلب ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه لِما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعْمِ بصرَه ، وأثْكِلْه ولده .

والأسودُ بن عبد يَغوث ، والوليد بن المُغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث ابن الطُّلاطِلة .

فلما تمادوا فى الشرّ وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ[1] ) .

وأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْبه ، فمرّ به الأسودُ بن المطلب ، فرمى فى وجهه بورقة خَضْراء فعَمِيَ ، ومر به الأسودُ بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حَبَنا[2] ، ومرّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله ، وكان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يَجر سَبَله[3] ، وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يَريش نَبلاً له ، فتعلّق سهم من نبله بإزاره ، فخدش فى رجله ذلك الخدشَ ، وليس بشىء ، فانتقض به فقتله ، ومرّ به العاصُ بن وائل ، فأشار إلى أَخْمَص رجله ، فخرج على حمار له يريد

(١) سورة الحجر : آية ٩٤ وما بعدها .
(٢) الحبن ( محركة ) : انتفاخ البطن من داء .
(٣) السبل : فضول الثياب .

الطائف ، فرَبض به على شُبارقة[١] فدخلت فى أخْمَص رجله شوكةٌ فقتلته . ومرَّ به الحارث بن الطُّلاَطِلَة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخض قيْحًا فقتله .

وكان النَّفر الذين يُؤْذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته، أبا لهب ، والحَكَم ابن العاص بن أمية ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، وعَدىّ بن حَمْراء الثقفى ، وابنَ الأصْداء الهُذلِىّ ، وكانوا جيرانه ، لم يُسْلم منهم أحد إلا الحَكم بن أبى العاص .

فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحِمَ الشاة وهو يُصَلّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته[٢] إذا نُصِبت له ، حتى اتخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حِجْرًا[٣] يستتر به منهم إذا صلّى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ! أىّ جوارٍ هذا ؟ ثم يُلقيه فى الطريق .

## وفاة أبى طالب وخديجة

ثم إنّ خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هلَكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بهُلْك خديجة، وكانت له وَزِيرَ صِدْق على الإسلام يشكوا إليها ؛ وبهُلْك عمِّه أبى طالب ، وكان له عضداً وَحِرْزاً فى أمره ، ومَنَعَةً وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تَطْمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفيهٌ من سُفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا .

---

(١) الشبارقة : شجرة عالية .

(٢) البرمة : القدر من الحجر .

(٣) الحجر : كل ما حجرته من حائط .

Marfat.com

فلما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الترابَ ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والترابُ عَلَى رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه الترابَ وهى تبكى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بُنيّة فإنَّ الله مانعٌ أباك ، ما نالت منّى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ويروى أنه لمّا اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثِقَله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حَمزة وعُمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قُريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليُعْطِهِ منّا ، والله ما نأمن أن يبتزّونا(١) أمرنا .

فمَشَوْا إلى أبى طالب فكلّموه فقالوا : يا أبا طالب ! إنك منّا حيث قد علمتَ ، وقد حَضَرك ماترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعُه فَخُذْ له منّا ، وَخُذْ لنا منه ، ليَكفّ عنا ونكفّ عنه ، وليدَعنا وَدينَنا ، وندعه ودينه ؟ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يابن أخى ! هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليُعطوك . وليأخذوا منك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتَدِين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعَشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه .

فيصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحداً ، إن أمرك لعجب !

ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضُوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرّقوا .

فقال أبو طالب لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : والله يابن أخى ، ما رأيتك سألتهم شططاً .

---

(١) ابتزه أمره : سلبه إياه وغلبه عليه .

Marfat.com

فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إسلامه ، فجعل يقول له : أى عم ! فأنتَ فقلها أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة .

فلما رأى حرصَ رَسُول الله صلى اللهُ عليه وسلم عليه قال : يابن أخى ! والله لولا مخافة السبّة عليك وعلى بَنى أبيك من بعدى ، وأن تظنّ قريش أنى إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها .

وأنزل الله تعالى فى الرّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردّوا عليه ماردّوا : « ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ » إلى قوله تعالى : « أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنّ هٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَن امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنّ هٰذا لَشَىْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهٰذا فى المِلَّةِ الآخِرَةِ » يعنون النصارى ، لقولهم : « إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » — « إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِلَاقٌ [1] » .

## سعى الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رَسُول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمّه أبى طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عَمَد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة .

وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمح ؛ فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نُصْرته على الإسلام ، والقيام معه على

(١) سورة ص : آية ٥ وما بعدها .

من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يَمْرُط[١] ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك ؟ وقال الآخر : أمَا وجد الله أحدا يُرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذِب على الله ، ماينبغى لى أن أكلمك .

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم: إذا فعلتم مافعلتم فاكتموا عنى ، وكرِه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه ، فيذْئِرهم ذلك عليه[٢] .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعَبيدَهم ، يسبّونه ويَصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط[٣] لعُتبة بن ربيعة وَشَيْبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء قريش من كان يتبعه فعمدَ إلى ظلّ حَبَلة[٤] من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويَرَيان مالقى من سُفهاء أهل الطائف .

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَ قال : اللهم إليك أشكو ضَعفَ قُوّتى ، وقلّةَ حيلتى ، وهَوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين ، وأنت ربّى ، إلى مَنْ تَكِلُنى ؟ إلى بعيد يتجهّمنى[٥] ؟ أم إلى عدوّ مَلّكْتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك علَىّ غضبٌ فلا أبالى ، ولكنّ عافيتَك هى أوسع لى ، أعوذُ بنور وَجْهك الذى أشرقتْ له الظلمات وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، منْ أن تُنزل بى غضبَك ، أو يحلّ علىّ سُخْطك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة إلا بك .

---

(١) يمرطه : أى ينزعه ويرمى به .
(٢) يذئرهم عليه : يثيرهم عليه ويجرئهم .
(٣) الحائط : البستان .
(٤) الحبلة : شجرة العنب ، أو قضبانها .
(٥) تجهمه : استقبله بوجه كريه .



Marfat.com

فلما رآه ابنا ربيعة ، عُتْبة وَشَيْبة ومالقى ، تحركت له رَحِمُهُما[1] ، فدَعَوَا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عَدّاس ، فقالا له : خذ قِطفًا من هذا العنب ، فضعه فى هذا الطّبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأ كل منه ؛ ففعل عَدّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كُل ؛ فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده، قال : باسم الله! ثم أ كل ، فنظر عَدّاسُ فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أىّ البلاد أنت ياعَدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : نَصْرَانى ، وأنا رجل من أهل نِينوى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يُونُس بن مَتّى ؛ فقال له عَدّاس : ومايُدْريك مايونسُ بن متّى ؟ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبىٌّ ، فأ كبّ عَدّاس على رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقبّل رأسه ويَدَيْه وقدميه .

فقال : ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك ؛ فلما جاءهما عَدّاس قالا له : ويلك ياعدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ! ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبىّ ؛ قالا له : ويحك ياعدّاس ، لايصرفنّك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خَيْر ثقيف ، حتى إذا كان بنَخلة[2] قام من جوفِ الليل يصلّى ؛ فمر به النّفر من الجن الذين ذ كرهم الله تبارك وتعالى ، فاستمعوا له ، فلما فرَغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم مُنذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ماسمعوا ، فقصّ الله خبَرَهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ : « وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا

---

(١) الرحم : الصلة والقرابة .

(٢) نخلة : أحد واديين على ليلة من مكة ، يقال لأحدهما نخلة الشامية وللآخر نخلة اليمانية .

Marfat.com

حضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فلمَّا قُضِيَ وَلَوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[1] » وقال تبارك وتعالى : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا[2] » إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

## رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل

ثم قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مُسْتضعَفين ممن آمن به .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعرِض نفسه فى المَوَاسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويُخبرهم أنه نبيٌّ مُرسَل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويَمنعوه حتى يبيّن لهم الله ما بعثه به .

وكان رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف عَلَى منازل القبائل من العرب ، فيقول : يابنى فلان ! إنى رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تَعبُدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بى ، وتصدّقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبيّن عن الله ما بعثنى به .

وكان يسير خلفه عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، وهو رجل أحول وَضِىء ، له غَدِيرتان[3] ، عليه حُلّة عَدَنيّة ، فإذا فرغ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يابَنى فلان ! إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخوا

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٢٩ وما بعدها .
(٢) سورة الجن .
(٣) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

Marfat.com

اللاتَ والعزّى من أعناقكم ، وحلفاءَكم من الجن من بَنى مالك ابن أُقَيش ، إلى ما جاء به من البِدْعة والضلالة ، فلا تُطيعوه ولا تسمعوا منه .

ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى كِندة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه ، فأبَوْا عليه .

ثم إنه أتى كلبًا فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نَفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يا بَنى عبد الله ! إن الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

ثم إن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم أتى بَنى حَنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردًّا منهم .

ثم إنه أتى بنى عامر بن صَعْصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قُريش لأكلتُ به العرب ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن بايعناك عَلَى أمرك ثم أظهرك اللهُ على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء ، فقال له : أفَتُهدَف نحورُنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمرُ لغيرنا ! لاحاجة لنا بأمرك، فأبَوْا عليه .

فلما صدر الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركتْه السنُّ حتى لايقدر أن يوافِىَ معهم المواسم ، فكانوا إذا رجَعوا إليه حدّثوه بما يكون فى ذلك المَوْسم ، فلما قَدِموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان فى مَوْسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قُريش ، ثم أَحَدُ بَنى عَبْد المطّلب ، يزعُم أنه نَبِىّ ، يدعونا إلى أن نَمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا ، فوضع الشيخ يَدَيْه على رأسه ، ثم قال : يا بَنى عامر ! هل لها من تَلافٍ ! هل لذُنَابَاها من مَطْلب[1] ! والذى نفسُ فلان بيده ، ما تَقوّلها إسماعيلى[2] قطّ ، وإنها الحق ، فأين رأيُكم كان عنكم ؟ .

(١) هذا مثل يضرب لما فات ، وأصله من « ذنابى الطائر » إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به .

(٢) أى ماادعى النبوة كاذبا أحد من بنى إسماعيل .

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعْرِض عليهم نفسَه ، وما جاء به من الله من الهُدَى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدَم مكةَ من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدَّى له ، فدعاه إلى الله ، وعرَض عليه ما عنده .

قَدِم سُوَيد بن صامت مكةَ حاجًّا أو مُعتمراً ، وكان سُوَيد إنما يسمّيه قومُه فيهم : الكاملَ ، لِجَلَده وشعره وشَرفه ونَسبه .

فتصدَّى له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيد : فلعلَّ الذى معك مثل الذى معى ؟ فقال له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلّة[1] لقمان — يعنى حكمة لقمان — فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أعرضها علىَّ ، فعرَضها عليه ؛ فقال له : إن هذا لكلامٌ حسَن ، والذى معى أفضلُ من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىَّ ، وهو هُدًى ونور ؛ فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يَبْعُد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حسَن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخَزْرَجُ ، فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنّا لنراه قد قُتل وهو مُسْلِم ، وكان قَتْله قبل يوم بُعاث[2] .

ولما قدم أبو الحَيْسر ، أنسُ بن رافع ، مكةَ ومعه فِتْية من بنى عَبْد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعاذ ، يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، سَمِع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علىّ الكتاب .

ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ ، وكان غلاماً حدَثا :

---

(١) المجلة : الصحيفة .

(٢) بعاث : موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

أى قوم ! هذا والله خيرٌ مما جئتم له ، فأخذ أبو الحَيْسر ، أنسُ بنُ رافع ، حَفْنة من تراب البَطْحاء ، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعاذ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعَمْرى لقد جئنا لغير هذا ، فصمت إياس ، وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج .

ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك . فكان من حضره من قومه عند موته يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبّره ويحمده ويسبّحه حتى مات بعد أن استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رَسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمع .

## بدء إسلام الأنصار

فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه ، وإعزازَ نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المَوْسم الذى لقيه فيه النفرُ من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل مَوْسم ، فبينما هو عند العقبة لَقِى رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا .

فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَن أنتم ؟ قالوا : نَفَر من الخزرج ، قال : أَمِنْ موالى يَهود ؟ قالوا : نعم ! قال : أفلا تجلسون أكلّمكم ؟ قالوا : بلى ! فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم الإسلامَ ، وتلا عليهم القرآن .

وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحابَ أوثان ، وكانوا قد غَزَوْهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شىء ، قالوا لهم : إن نبيًّا مبعوثٌ الآن ، قد أظلّ زمانُه ، نتبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم .

فلما كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم

لبعض : يا قوم ! تعلموا والله إنه للنبيّ الذى توعدّكم به يهود ، فلا تسبقنّكم إليه ؛ فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم ؛ فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإنْ يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا وهم ستة نفر من الخزرج .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذِكْرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## العقبة الأولى ومصعب بن عمير

حتى إذا كان العامُ المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فلقوه بالعقبة ، وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء [1] ، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب .

قال عُبادة بن الصامت: بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ العقبة الأولى على أن لا نُشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنّة ، وإن غشيتم من ذلك

(١) قد ذكر الله تعالى بيعة النساء فى القرآن ، فقال : « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا » فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال . وكانت مبايعته للنساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق . فإذا أقررن بألسنتهن ، قال : قد بايعتكن .

شيئا فأُخِذتم بحدّه فى الدنيا ، فهو كفّارة له ، وإن سُتِرتم عليه إلى يوم القيامة فأمرُكم إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عذّب وإن شاء غَفر .

فلما انصرف عنه القومُ ، بعث رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم معهم مُصعب[1] بن عُمير وأمره أن يُقرِئهم القرآن ، ويُعلّمهم الإسلام ، ويفقّهم فى الدين ، فكان يُسمّى المُقرِئ بالمدينة : مُصْعَبُ ؛ وكان منزلُه على أسْعد بن زُرارة وكان يصلّى بهم ، وذلك أن الأوسَ والخزرَج كَرِه بعضهم أن يَؤُمّه بعضٌ .

وكان سعد بن معاذ ، وأُسَيْد بن حُضَير ، يومئذ سيدَا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه ، فلما سمعا بذلك قال سعدُ بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليُسفّها ضُعفاءنا، فازجُرهما وانْهَهُما عن أن يَأتيا دارَينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منّى حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدماً .

فأخذ أسيد بن حُضَير حرْبته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زرارة قال لمصعب ابن عمير : هذا سيّد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب : إن يجلسْ أُكلمه .

فوقف عليهما مُتشتّما ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أوَ تجلسُ فتسمعَ ، فإن رضيتَ أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفتَ ! ثم رَكَز حرْبته وجلس إليهما ، فكلمه مُصْعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن حتى عُرِف فى وجهه الإسلامُ قبل أن يتكلّم

---

(١) يكنى مصعب : أبا عبد الله ، وكان من جلة الصحابة وفضلائهم ، هاجر إلى الحبشة فى أول من هاجر إليها ، ثم شهد بدرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ، وكان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وتيها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب ابن عمير ؛ وقتل مصعب يوم أحد شهيدا ، قتله ابن قمئة الليثى ، ولم يختلف أهل السير فى أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مع مصعب يوم بدر وأحد ، ثم إنه لما قتل يوم أحد أخذها على بن أبى طالب .

Marfat.com

فى إشراقه وتسهّله ، ثم قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجملَه ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر وتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهّد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سَعْد ابن معاذ مُقْبلا قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتُهما ، فقالا : نفعل ما أحببتَ ؛ وقد حُدّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليُخفِروك[1] .

فقام سعد مُغضَباً مبادراً ، تخوّفًا للذى ذُكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعدٌ مطمئنين ، عرف سعدٌ أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتّما ، ثم قال لأسعد ابن زرارة : يا أبا أمامة ! أما والله ، لولا ما بينى وبينك من القَرابة ما رُمْتَ هذا منى ، أتغشانا فى دارينا بما نكره ؟ وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عمير : أى مُصْعب ! جاءك والله سيّدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورَغبتَ فيه قبلْتَه ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفتَ ! ثم ركز الحربةَ وجلس ، فعرض عليه الإسلامَ ، وقرأ عليه القرآن ، إلى أن عرف فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، لإشراقه وتسهّله ؛ ثم قال لهما : كيف تَصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهّر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّى ركعتين . فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وتشهّد

---

(١) الإخفار : نقض العهد والغدر .

شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد ابن حضير.

فلما رآه قومه مقبلا ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ! ! فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ! كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأوصلنا وأفضلُنا رأيًا ، وأيمننا نقيبةً ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله و برسوله .

فما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية ابن زيد ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفى ، وكان شاعرًا لهم قائداً يستمعون منه ويُطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أربَّ الناسِ أشياءٌ أَلَمَّتْ ... يُلَفّ الصَّعْبُ منها بالذَّلولِ
أربَّ الناس أمّا إذْ ضَلِلنا ... فيسِّرْنا لمعروفِ السَّبيل
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً ... وما دين اليهود بذى شُكول[1]
ولولا ربُّنا كنّا نصارى ... مع الرهبان فى جبل الجليل[2]

---

(١) الشكول : جمع شكل ، وشكل الشىء ( بالفتح ) : مثله . فكأنه أراد أن دين اليهود بدع خليس له شكول : أى ليس له نظير فى الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول .

(٢) الجليل : جبل بالشام معروف .

Marfat.com

ولـكنّا خُلقنـا إذ خُلِقنا  حنيفًا دِيننُا عن كل جيـل
نسوق الهَدْى ترسُف مُذْعنات  مكشَّفَةَ المَناكب فى الجُلُول(١)

## العقبة الثانية

ثم إن مُصْعب بن عُمير رجع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين إلى المَوسم مع حُجّاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قَدِموا مكة ، فوعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبةَ ، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيّه ، و إعزاز الإسلام وأهله ، و إذلال الشرك وأهله .

وحدث كعبُ بن مالك وهو ممن شَهِد العقبة و بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال :

خرجنا فى حُجّاج قومنا من المُشرِكين ، وقد صلّينا وَفَقِهْنا ، ومعنا البَرَاء بن مَعْرور(٢) ، سيّدنا وكبيرنا ، فلما وجّهنا(٣) لِسفرنا ، وَخَرجْنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : يا هؤلاء ! إنى قد رأيت رأيًا ، فوالله ما أدرى أتوافقوننى عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أنْ لا أدع هذه البَنِيّة منّى بظَهْر ـ يعنى الكعبة ـ وأن أصلّى إليها ، فقلنا : والله ما بلَغنا أن نبيّنا صلى اللهُ عليه وسلم يصلّى إلا إلى الشام(٤) ، وما نريد أن نخالفه ، فقال : إنى لمصلٍّ إليها ، فقلنا له : لكنّا لا نفعل .

فكنّا إذا حضرت الصلاةُ صلّينا إلى الشام وصلى إلى الكعبةَ ، حتى قَدِمْنا مكة ،

---

(١) ترسف : تمشى مشى المقيد . وملعنات : منقادات . والجلول جمع جل ( بالضم وبالفتح ) ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٢) وهو الذى أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات . ومعرور : اسم أبيه . ومعناه : مقصود ؛ يقال : عره واعتره : إذا قصده . والبراء هذا من صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره بعد موته .

(٣) وجهنا : اتجهنا .

(٤) يعنى بيت المقدس .

وقد كنا عِبْنا عليه ما صَنَع ، وأبَى إلا الإقامةَ على ذلك ، فلما قَدِمنا مكةَ قال لى : يابن أخى ! انطلقْ بنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعتُ فى سَفرى هذا ، فإنه والله لقد وقَع فى نفسى منه شىء ، لِما رأيتُ من خِلافكم إياى فيه .

فخرجنا نسأل عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكنّا لا نعرفه ، ولمْ نَرَه قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العبَّاس بن عبد المطلب عَمّه ؟ قلنا : نعم ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العبَّاس .

فدخلنا المسجد فإذا العبَّاس جالسٌ ، و رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْل ؟ قال : نعم ، هذا البرَاء بن مَعْرور ، سيّد قومه ، وهذا كعب ابن مالك(١) .

فقال له البرَاء بن مَعْرور : يا نبىّ الله ! إنى خرجتُ فى سَفرِى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنيّة منّى بظَهْر ، فصلّيت إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شَىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قِبْلة لو صبرتَ عليها .

فرجع البَراء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلّى معنا إلى الشام ، وأهلُه يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا .

ثم خرجنا إلى الحجّ ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبدُ الله بن عمرو ، سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا أخذناه معنا ، وكنّا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرَنا ، فكلّمناه وقلْنا له : يا أبا جابر ! إنك سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا

(١) قال كعب بن مالك : فوالله ماأنس قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم .

للنار غداً ، ثم دَعَوْناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة ، فأسْلم وشهدَ معنا العقبة ، وكان نقيبًا .

فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل خرجْنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلّل تسلّلَ القَطا مُستخفين ، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا .

فاجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه عمه العبّاس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثّق له .

فلما جلَس كان أول متكلّم العبّاس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج ! — وكانت العرب إنما يسمّون هذا الحيّ من الأنصار : الخزرج ، خزرجها وأوْسها — إن محمداً منّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزّ من قومه ومَنَعة في بلده ، وإنه قد أبَى إلا الانحيازَ إليكم ، واللحوقَ بكم ، فإن كنتم ترَوْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسلِموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم ، فمِنَ الآن فدَعُوه ، فإنه في عزّ ومَنَعة من قومه وبلده ، فقلنا له : قد سَمِعنا ما قلت ، فتكلّمْ يا رسول الله ، فخذْ لنفسك ولربّك ما أحببتَ .

فتكلّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآنَ ، ودعا إلى الله ، ورغّب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ؟ .

فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده ثم قال : نعم ! والذي بعثك بالحقّ نبيًّا ، لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا[١] ، فبايِعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحَلْقة[٢] ، ورِثناها كابِراً عن كابر .

(١) أزرنا : أى نساءنا . والمرأة قد يكنى عنها بالإزار ، كما يكنى أيضا بالإزار عن النفس ، ويجعل الثوب عبارة عن لابسه .

(٢) الحلقة ، أى السلاح .

Marfat.com

فاعترض القولَ ، والبَراء يكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، فقال : يا رسول الله ! إنّ بيننا و بين الرجال حِبالاً ، و إنّا قاطِعوها ـ يَعنى اليهود ـ فهل عسيتَ إن نحن فعَلْنا ذلك ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتدَعنا ؟ .

فتبسّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَدْم[1] ، أنا منكم وأنتم منّى ، أُحارب مَنْ حاربتم ، وأُسالِم من سالمتم .

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبًا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرَجوا منهم اثنى عشر نقيبًا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم ، وأنا كَفيل على قومى ـ يعنى المسلمين ـ قالوا : نعم .

ثم إن القوم لما اجتمعوا لبَيْعة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، قال العبّاس بن عُبادة: يامعشر الخزرج ! هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ ؟ قالوا : نعم ! قال : إنكم تُبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترَوْن أنكم إذا نُهِكت أموالُكم مُصيبة ، وأشرافُكم قتلاً أسلَمْتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خِزْى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترَوْن أنكم وافُون له بما دعَوتموه إليه على نَهْكة[2] الأموال ، وقَتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة ؛ قالوا : فإنّا نأخُذه على مُصيبة الأموال ، وقَتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسولَ الله إن نحن وفّينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسُط يدَك ، فبَسط يدَه فبايعوه .

---

(١) كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك : أى ماهدمت من الدماء هدمته أنا .

(٢) نهكة الأموال : نقصها .

Marfat.com

وماقال ذلك العبّاس إلا ليَشدّ العقدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعْناقهم .

وقيل إنه ماقال ذلك العبّاس إلا ليؤخّر القوم تلك الليلةَ ، رجاء أن يحضُرها عبد الله ابن أبىّ بن سَلول ، فيكون أقوى لأمر القوم .

فلما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العَقَبة بأنفذ صوت سُمِعَ قطُّ : ياأهلَ الجباجب! - والجباجب : المنازل - هَل لـكم فى مُذَمَّم[١] والصُّباة[٢] معه ، قد اجتمعوا على حرْبكم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزبّ[٣] العقبة ، هذا ابن أزْيب - أتسمع أى عدوّ الله ، أمَا والله لأفرغنّ لك .

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرفضوا إلى رِحَالِـكم ، فقال له العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة : والله الذى بعثك بالحقّ ، إن شئتَ لنميلنّ على أهْل مِنَى غدًا بأسْيافنا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤْمَر بذلك ، ولـكن ارجعُوا إلى رِحَالِـكم ، فرَجعوا إلى مَضاجعهم فناموا عليها حتى أصْبحوا .

فلما أصبحوا غدت عليهم جِـلّة قُرَيش ، حتى جاءوهم فى مَنازلهم ، فقالوا : يامعشر الخَزْرج ! إنه قد بَلَغنا أنـكم قد جِئتم إلى صاحبنا هذا تَسْتخرجونه من بين أظهرنا ، وتُبايعونه على حَرْبنا ، و إنه والله مامِن حىّ من العرب أبْغضُ إلينا ، أن تَنْشَب الحربُ بيننا و بينهم منكم ؛ فانبعث مَنْ هناك مِن مُشْركى الخزرج قوم يحْلفون بالله ما كان مِن هذا شىء ، وما علموه ، وقد صدَقوا ، لم يَعْلَموه ، و بعضُهم ينظر إلى بعض .

ثم إنهم أتَوْا عبدَ الله بن أبىّ ابن سَلول ، فقالوا له مثل ماسبق من القول ، فقال لهم : والله إنّ هذا الأمر جَسيم ، ما كان قومى ليتفوّتوا علىّ بمثل هذا ، وما علمْته كان ، فانصرفوا عنه .

---

(١) المذم : المذموم جدا .

(٢) الصباة : جمع صاب ، وهو الصابئ ( بالهمز ) . وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم : « صابئ » .

(٣) أزب العقبة : اسم شيطان ، والأزب : القصير أيضا .

Marfat.com

ونفر الناسُ من مِنى ، فتنطّس القومُ[1] الخبرَ ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذاخر ، والمُنْذِر بنَ عمرو ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المُنذر فأعجز القومَ ، وأما سَعد فأخذوه ، فربطوا يدَيْه إلى عُنقه بِنِسْع[2] رَحْله ، ثم أقبَلوا به حتى أدخلوه مكّة يضرِبونه ، ويَجْذِبونه بجُمَّته[3] ، وكان ذا شَعر كثير .

قال سعد :

فوالله إنى لفى أيْديهم إذ طلع علىَّ نفرٌ من قُرَيش ، فيهم رجلٌ وَضىء أبيضُ ، شَعْشاع[4] ، حلو من الرجال . فقلت فى نفسى : إنْ يكُ عند أحدٍ من القوم خَير فعند هذا ؛ فلما دنا منّى رفع يدَه فلكَمَنى لكمةً شديدة . فقلت فى نفسى : لا والله ما عندهم بعد هذا من خَير !! فوالله إنى لفى أيديهم يَسْحَبوننى إذ أوَى لى[5] رجلٌ ممّنْ كان معهم ، فقال : ويْحك ! أما بينك و بين أحد من قُرَيش جوار ولا عَهْد ؟ قلت : بلى والله ، لقد كنت أُجير لجُبَير بن مُطْعِم تِجاره ، وأمنعهم ممن أراد ظُلْمَهُمْ ببلادى ، وللحارث بن حَرْب ؛ قال : ويحك ! فاهتِف باْسم الرّجلين ، واذكر مابينك و بينهما ، ففعلت ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما ، فوجدَهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزْرج الآن يُضْرَب بالأبطَح ويهتِفُ بكما ، ويذكر أن بينه و بينكما جوارا ، قالا : ومَنْ هو ؟ قال : سعد بن عُبادة ، قالا : صدق والله ، إن كان ليُجير لنا تِجارَنا ، ويَمْنعهم أن يُظْلَموا ببلده .

---

(١) تنطس القوم الخبر : أى أكثروا البحث عنه . والتنطس : تدقيق النظر .

(٢) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .

(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس .

(٤) الشعشاع : الطويل الحسن .

(٥) أوى له : رحمه ورق له .

فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لكمَ سعدًا ، سُهَيلُ بن عمرو . وكان الرجلُ الذى أوَى إليه، أبا البَخترى بن هشام .

فلما قَدِموا المدينة أظهروا الإسلامَ بها ، وفى قومهم بقايا من شيُوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، منهم عَمرو بن الجموح وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة ، و بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بنى سَلمة وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب ، يقال له : مناة[1] ، كما كانت الأشراف يصنعون ؛ تتخذه إلهًا تعظمه وتُطهِّره .

فلما أسلم فِتْيان بنى سلَمَة : مُعاذ بن جَبل ، وابنهُ مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، فى فِتْيان منهم ممّن أسلم وشَهد العقبة ، كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيَحْملونه فيَطْرحونه فى بعض حُفَرَ بنى سَلمة ، وفيها عِذَر[2] الناس، مُنـكَّساً على رأسه ؛ فإذا أصبح عمرو، قال : ويلكم ! مَنْ عَدَا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يَلتمسه ، حتى إذا وجدَه غسَله وطهّره وطيّبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأُخزِيَنّه .

فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله و يطهّره و يُطيّبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك .

فلما أكثروا عليه ، استخرجه من حيث ألقَوْه يوما ، فغسله وطهّره وطيّبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إنى والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنِـع ، فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو . عدوْا عليه ، فأخذوا السيفَ من عنقه ، ثم أخـذوا كلبًا ميتاً فقرَنوه به بحبل ، ثم ألقَوْه فى بئر من آبار بنى سلمة ، فيها عِذَر من عِذَر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يَجدْه فى مكانه الذى كان به .

---

(١) مناة : مأخوذ من قولك : منيت الدم وغيره ، إذا صببته ، لأن الدماء كانت تمنى عنده ، تقربا إليه ، ومنه سميت الأصنام الدمى .

(٢) العذر : جمع عذرة ، وهى فضلات الناس .



Marfat.com

فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه مَنْ أسلم من رجال قومه، فأسلم برحمة الله، وحَسُن إسلامه.

[ ولما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ولم يُجيبوه إلى مادعاهم إليه من تَصْديقه ونُصرته. صار إلى حِراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليُجيره، فقال: أنا حليفٌ والحليف لا يُجير. فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إن بنى عامر لا تُجير على بَنى كَعْب، فبعث إلى المُطعِم بن عدىّ فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المُطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلّى عنده، ثم انصرف إلى منزله(١) ].

## شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

وكانت بيعة الحرْب، حين أذِن اللهُ لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال شروطاً سوى شَرْطه عليهم فى العَقبة الأولى، كانت الأولى على بيْعة النِّساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لِرَسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب، فلما أذِن الله له فيهـا، وبايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الأخيرة على حربِ الأحمر والأسود، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربّه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

حدّث عبادة بن الصامت وكان أحدَ النقباء ومن الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بيعة النساء، قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب على السّمْع والطاعة، فى عُسْرِنا ويُسْرِنا، ومُنْشَطنا ومُكرهنا، وأثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهله، وأن نقول بالحق أينما كُنّا، لانخاف فى الله لومة لائم.

وكان جميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصافح النســاء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتــكنّ.

---

(١) جاء هذا الحادث فى سياق السيرة مع نقض الصحيفة.

Marfat.com

وكان منهم حبيب بن زيد الذى أخذه مُسيلمة الكذاب الحنفىّ ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول: نعم! فيقول: أفتشهد أنى رسولُ الله؟ فيقول : لا أسمع ؛ فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات فى يده فخرجت أمه إلى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحربَ بنفسها ، حتى قتل الله مسيلمة. ورجعت و بها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة .

## نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له فى الحرب، ولم تحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ، ونَفوْهم من بلادهم ، فهم من بين مَفتون فى دينه ، ومن بين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ، وفى كل وجه .

فلما عَتَتْ قريش على الله عز وجل ، وردُّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وعذبوا ونفَوْا من عَبَده ووحّده وصدّق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال والانتصار ممن ظلمهم و بغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت فى إذنه له فى الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم، قولُ الله تبارك وتعالى : ( أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ[١]) .

---

(١) سورة الحج : آية ٣٩ وما بعدها .

Marfat.com

أى أنّ إنما أحللت لهم القتالَ لأنهم ظُلِموا ، ولم يَكُن لهم ذنب فيما بينهم و بين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : ( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ) أى حتى لا يُفتَن مؤمن عن دينه ( وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ ) ، أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره ( فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ[1] ) .

فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، وبايعه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المُسلمين ، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوقِ بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها ؛ فخرجوا أرسالا[2] ، وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

## المهاجرون

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، أبو سَلَمة بن عبد الأسد ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة ، فلما آذته قريشٌ و بلغه إسلامُ من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرًا .

حدثت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحّل لى بعيرَه ثم حَمَلنى عليه، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى، ثم خرج

(١) سورة البقرة : آية ١٩٣ .

(٢) أرسالا : جماعة فى إثر جماعة .

Marfat.com

بى يقودُ بى بعيرَه ، فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟

فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبى سلمة ، فقالوا : لا والله لانترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا .

فتجاذبوا بُنَىَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة .

ففرّق بينى وبين زوجى وبين ابنى ، فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنةً أو قريبًا منها ، حتى مرّ بى رجلُ من بنى عمّى ، أحدُ بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألاَ تُخرجون هذه المسكينة ! فرّقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها ! فقالوا لى : اُلحقِى بزوجك إن شئتِ .

وردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك أبنى ، فارتحلت بَعيرى ، ثم أخذت أبنى فوضعته فى حِجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، ومامعى أحد من خَلْق الله ، فقلت : أتبلَّغ بمن لقيتُ حتى أقْدَم على زوجى ؛ حتى إذا كنت بالتَّنْعيم (١) لَقيتُ عثمانَ بن طَلْحة ابن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، فقال لى : إلى أين يابنت أبى أمية ؟ فقلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أوَمامعك أحد ؟ فقلت : لا والله ، إلا الله وبُنَىّ هذا . قال : والله مالكِ من مَتْرك .

فأخذ بخِطام البعير ، فانطلق معى يَهْوِى بى ، فوالله ماصحبت رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحطّ عنه ، ثم قيّده فى الشجرة ، ثم تنحّى عنى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيرى فقدّمه فرحّله ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبى ! فإذا ركبت واستويتُ على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع

---

(١) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

Marfat.com

ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخُليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

والله ما أعلم أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سَلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[1] .

***

ثم كان أوّل من قَدِمها من المهاجرين بعد أبى سَلمة ، عامر بن ربيعة ، ومعه امرأتُه ليلى بنت أبى حَثمة ، ثم عبدُ الله بن جحش ، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش وكان رجلاً ضرير البصر ، ثم قدم المهاجرون أرسالا ، وكان بنو غنْمِ بن دُودان أهلَ إسلام ، قد أوعبوا[2] إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرةً ، رجالهم ونساءهم .

ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعة المخزومى حتى قدما المدينة ، وحبس عنهما هشام بن العاصى .

فلما قدما المدينةَ نزلا فى بنى عمرو بن عوف بقباء ؛ وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عيَّاش بن أبى ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قَدِما عليهما المدينةَ ، ورسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بمكة ، فكلماه وقالا : إن أُمّك قد نذرت أن لا يمسّ رأسها مشطٌ حتى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ؛ فرقّ لها .

---

(١) قد كان عثمان بن طلحة يوم هجرته بأم سلمة على الكفر ، وإنما أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد .

(٢) يقال : جاءوا موعبين ؛ إذا جمعوا ما استطاعوا من جمع .

فقال له عمر : يا عيّاش ! إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم ، فوالله لو قد آذى أمك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلّت،فقال : أَبرّ قسمَ أمّى ، ولى هنالك مالٌ فآخذه ؛ فقال عمر : والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصفُ مالى ولا تذهبْ معهما . فأبى عليه إلاأن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك ؛ قال له عمر : أمّا إذ قد فعلتَ ما فعلت ، فخُذْ ناقتى هذه ، فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلول ، فالزَمْ ظهرها ، فإن رابك من القوم ريبٌ ، فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يابن أخى ! والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعْقِبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى ! فأناخ ، وأناخا ليتحوّل عليها ، فلما استوَوا بالأرض عدَوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، نهاراً موثقاً ، ثم قالا : يأهل مكة ! هكذا فافعلوا بسُفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

قال عمر بن الخطاب : فكنّا نقول : ما الله بقابلٍ ممّا افتتنَ صَرْفًا ولاَ عدْلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه سلم المدينةَ ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ[١] ) .

فكتبتُها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصى . فجعل هشام بن العاصى يقرؤها بذى طوًى[٢] ، يصعّد بها فيه ويصوّب ولا يفهمها ، حتى قال : اللهم فهّمنيها . فألقى الله تعالى فى قلبه أنها إنما أُنزلت فيهم، وفيما كانوا يقولون فى أنفسهم ، ويقال فيهم ؛

---

(١) سورة الزمر : آية ٥٣ وما بعدها .

(٢) ذوطوى : موضع بأسفل مكة .

فرجع إلى بعيره ، فجلس عليه ، فلحق برسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم وهو بالمدينة .

ويروى أنّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قال وهو بالمدينة : مَنْ لى بعيّاش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى ؟ فقال الوليد بن الوَليد بن المُغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ؛ فخرج إلى مكة ، فقَدِمها مستخفياً ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين يا أمةَ الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - تَعْنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لاسَقْف له ، فلما أمسى تسوّر عليهما ، ثم أخذ مَرْوة(١) فوضعها ، تحت قَيْدَيْهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه « ذو المَرْوة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فَدميت أصبعُه ، فقال :

هل أنتِ إلا أصبعٌ دميتِ وفى سبيـــل الله ما لقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

## هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ، ينتظر أن يُؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن ، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصديق رضى الله عنهما ؛ وكان أبو بكر كثيراً مايستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتعجل لعلّ الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم مَنَعة ، فَحذِرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه

(١) المروة : الحجر .

قد أجمع لحَرْبهم . فاجتمعوا له فى دار النَّدوة ، وهى دار قصىّ بن كلاب التى كانت قريش لا تَقْضى أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، حين خافوه .

ولما أجمعوا لذلك واتعدُوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، غدَوْا فى اليوم الذى اتّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمّى يوم الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتلة(١) ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد، سمع بالذى اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيًا ونُصحًا ، قالوا : أجل ! فادخل ؛ فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمِعوا فيه رأيًا .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم : أحبِسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابًا ، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصيبه ما أصابهم .

فقال الشيخ النجدىّ: لا والله ، ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ؛ فانظروا فى غيره ؛ فتشاوروا . ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننْفيه من بلادنا . فإذا أُخرج عنّا فوالله ما نُبالى أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنّا وفرغنا منه؛ فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت .

---

(١) البتلة والبت : الكساء الغليظ .

فقال الشيخ النجدىّ : لا والله ! ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ؟؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبّروا فيه رأيا غير هذا .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ؛ قالوا : وما هو ياأبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابّا جليداً نَسيبًا وسيطًا[1] فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل جميعًا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالْعقل ، فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ؛ فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : لا تَبِتْ هذه الليلةَ على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

فلمّا كانت عَتْمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ؛ فيثبون عليه ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلىّ بن أبى طالب : نَمْ على فراشى وتَسجّ[2] ببُرْدى هذا الحَضْرمى الأخضر ، فنَمْ فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرْده ذلك إذا نام .

ولما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً

---

(١) الوسيط : الشريف فى قومه .

(٢) تسجى بالثوب : غطى به جسده ووجهه .

Marfat.com

يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جِنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يَرَوْنه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ( يٰس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ) إلى قوله : ( فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ) حتى فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ؛ فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً ! قال : خيَّبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلّعون فيَرَوْن عليًا على الفراش متسجيًا ببُرْد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا ، عليه بردُه ؛ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1] فقام علىّ رضى الله عنه عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : ( وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ

(١) قال السهيل : « وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار مع قصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر فى الخبر أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب ، أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم عن من خرج » .

وَيَمْـكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَـاكِرِينَ[(١)] ) وقول الله عزّ وجلّ : ( أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَـكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ[(٢)] ) .

وأذن الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة .

وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلاً ذا مال ، فـكان حين استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعلّ الله يجعل لك صاحباً ؛ وقد طمع بأن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعدادًا لذلك .

وكان لا يخطئُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسُول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، جاء رَسُولُ الله صَلى اللهُ عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعةَ إلا لأمر حدَث !

فلما دخل تأخّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا عائشة وأختها أسماء بنت أبى بكر ، فقال رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أخرِجْ عنى مَنْ عندك ؛ فقال : يا رسول الله ! إنما هما ابنتاى[(٣)] ، وما ذاك ؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة .

فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ! قال : الصحبة ! وأخذ أبو بكر يبكى من الفرح ثم قال : يا نبيّ الله ! إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ؛ فاستأجرَا عبدَ الله ابن أرقط يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فـكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٢) سورة الطور : آية ٣٠ وما بعدها .

(٣) فى صحيح البخارى : « إنما هم أهلك » . وقد كان أبو بكر أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .

ولم يَعلم بخروج رَسُول الله صلّى اللهُ عليه وسلم أحد حين خرج ، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر . أما علىّ ، فإن رَسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عنده شىء يُخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

فلما أجمع رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثَوْرٍ – جبل بأسفل مكة – فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنَه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ؛ وأمر عامرَ بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما .

وانتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حيّة ، يَقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به وما يقولون ، فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فُهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رُعْيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذى

Marfat.com

استأجراه ببعيريهما و بعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما بسُفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاماً(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس لها عصام ، فتحلّ نِطاقها فتجعله عصاما ، ثم علقتها به .

فلما قرّب أبو بكر رضى الله عنه الراحلتين إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قدّم له أفضلهما ثم قال : اركب فداك أبي وأمي ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى ، قال: فهى لك يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ! قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يا رسول الله(٢) . فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه ليخدُمهما فى الطريق .

حدثت أسماء بنت أبى بكر قالت :

لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر فخرجت إليهم ، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبى بكر؟ قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ فرفع أبو جهل يدَه ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّى لطمة طرح منها قُرطى ، ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة ، يتغنّى بأبيات من شعر غناء العرب ، و إن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يَرَوْنه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه رفيقَيْن حلاَّ خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ(٣)

---

(١) العصام : ماتعلق به السفرة وغيرها .

(٢) إنما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحلة منه إلا بثمنها رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة ، وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما .

(٣) أم معبد هى عاتكة بنت خالد من بنى كعب ويحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على خيمتها هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهما، وكانت أممعبد برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ثم تسقى =

Marfat.com

هما نزلا بالـــبرِّ ثم تروّحا ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
ليهنَ بنى كعب مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

فلما سمعنا قوله ، عرفنا حيث وَجْه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف . فانطلق بها معه فدخل علينا جدّى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؛ قلت : كلا يا أبتِ ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيراً . ثم أخذت أحجاراً فوضعتها فى كوّة فى البيت ، الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ! ضَعْ يدك على هذا المال ؛ فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

• • •

= وتعلم ، فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة بكسر الخيمة ، فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ؛ فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ؛ قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : بأبى أنت وأمى ! إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها ، فسمى الله تعالى ، ودعا لها فى شأنها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يربض الرهط . فحلب فيه ثجا ، حتى علاه لبنها ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابها حتى رووا ، وشرب آخرهم . ثم [illegible] ثم صب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها على الإسلام ، ثم ارتحلوا [illegible] حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ؟ والشاة عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ؛ قال : صفيه يا أم معبد ؟ فوصفته له فى كلام طويل ، كله الحق . قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش ! الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ، لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

Marfat.com

و بعد أن خرج رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم ، فبينا سراقة بن مالك جالس فى نادى قومه ، إذ أقبل رجل منهم حتى وقف عليهم فقال : والله لقد رأيت رَكْبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفا ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه . فأومأ سراقة إليه بعينه أن اسكت ، ثم قال إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم؛ قال: لعله، ثم سكت .

ثم مكث سراقة قليلا ثم قام فدخل بيته ، ثم أمر بفرسه فقيد له إلى بطن الوادى ، وأمر بسلاحه فأخرج له من دُبُر حجرته ، ثم أخذ قِداحه التى يستقسم بها ، ثم انطلق ، فلبس لأمته[1] ثم أخرج قِداحه فاستقسم بها فخرج السهم الذى « لايضره[2] » .

وهو يرجو أن يردّه على قريش فيأخذ المائة الناقة ، فركب على أثره فبينما فرسه يشتدّ به عثر به فسقط عنه قال:ما هذا ؟ ثم أخرج قداحه فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكره لايضره؛ فأبى إلا أن يتبعه فركب فى أثره؛ فبينا فرسه يشتد حتى عثر فسقط عنه،قال ما هذا ؟ ثم أخرج قداحه فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكره لايضره . فأبى إلا أن يتبعه ، فركب فى أثره . فلما بدا له القوم ورآهم،عثر به فرسه فذهبت يداه فى الأرض ، وسقط عنه ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار[3] . فعرف حين رأى ذلك أنه قد مُنع منه وأنه ظاهر .

فنادى القومَ ، فقال:أنا سراقة بن مالك بن جُعْشُم! انظرونى أ كلمكم ، فوالله لاأريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قل له وما تبتغى منا ؟ فقال ذلك أبو بكر، فقال سراقة : تكتب لى كتابا يكون آية بينى و بينك؛ قال:اُكتُبْ له يا أبا بكر؛فكتب له كتابا فى عَظْم،ثم ألقاه إليه فأخذه فجعله فى كنانته ثم رجع.

---

(١) اللأمة : الدرع والسلاح .

(٢) لايضره ، أى السهم المكتوب فيه هذه الكلمة .

(٣) الإعصار : ريح معها غبار .

ولم يذكر شيئا مما كان ، حتى إذا كان فتحُ مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ، خرج سراقة ومعه الكتاب يلقاه ، فلقيه بالجعرانة(١). فدخل فى كَتيبة من خيل الأنصار ، فجعلوا يقرعونه بالرماح ويقولون : إليك ! إليك ! ماذا تريد ؟

فدنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، فرفع يده بالكتاب ، ثم قال : يا رسول الله ! هذا كتابك لى ، أنا سُراقة بن جُعْشم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرّ ، أدْنُهْ ، فدنا منه فأسلم . ثم تذكر شيئا يسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنه فما يذكره ، إلا أنه قال : يا رسول الله ! الضالة من الإبل تَغْشَى حياضى ، وقد ملأتُها لإبلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم ، فى كلّ ذات كبد حرّى أجر .

فلما خرج بهما دليلُهما عبد الله بن أرْقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما عَلَى أسفل أمَج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُدَيدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرّار ، ثم سلك بهما ثَنِيّة المرّة ، ثم سلك بهما لِقفاً . ثم أجاز بهما مَدْلجةَ لِقَف ، ثم استبطن بهما مَدْلجة مَجَاج ، ثم سلك بهما مَرْجِح مَجَاج ، ثم تبطّن بهما مَرْجِح من ذى الغَضوين ، ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما عَلَى الجَدَاجِد ، ثم عَلَى الأجْرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعْداء مَدْلجة تِعْهِن(٢) ثم عَلَى العَبَابِيد ، ثم أجاز بهما الفاجَّة ، ثم هبط بهما العَرْج ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثنيّة العائر عن يمين رَكُوبة حتى هبط بهما بطن رِئْم ، ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدّ الضّحاء ، وكادت الشمس تعتدل .

(١) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب .

(٢) تعهن : اسم عين ماء ، على ثلاثة أميال من السقيا ، بين مكة والمدينة .



Marfat.com

حدّث رجال من أصحاب رسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قالوا :

لما سمعنا بمخرَج رَسُول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتوكّفنا[١] قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فوالله مانبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظّلال ، فإذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك فى أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنّا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قَيْلة[٢] ! هـذا جدُّكم قد جاء .

فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رَسول الله صـلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وركِبه[٣] الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك[٤] .

* * *

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُلْثوم[٥] ابن هِدْم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم، جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة ،

---

(١) توكفنا قدومه : استشعرناه وانتظرناه .

(٢) بنو قيلة ، هم الأنصار ، وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٣) ركبه الناس : أى ازدحموا عليه .

(٤) كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الأول ، وقيل قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، كما قيل: إن خروجه عليه الصلاة والسلام من الغار كان يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول .

(٥) كان شيخا كبيرا ، مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بيسير ، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يكنى أبا قيس .

Marfat.com

وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين .

ونزل أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف .

***

وأقام علىّ بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُلثوم بن هِدْم .

فكان علىّ بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقُباء ليلة أوليلتين ، يقول :

كانت بقُباء امرأة لازوجَ لها ، مسلمة ، فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه ، فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : ياأمة الله ! من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كلّ ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لاأدرى ماهو ، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لاأحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال احتطبى بهذا ، فكان علىّ رضى الله عنه يأثر[1] ذلك من أمر سهل ابن حُنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسّس مسجدَه[2] .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث

---

(١) يأثر ذلك : يحدث به .

(٢) ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ الناس فى البنيان . وكان مسجد قباء أول مسجد بنى فى الإسلام .

Marfat.com

فيهم أكثر من ذلك ، فأدركت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، فكانت أولَ جمعة صلّاها بالمدينة .

فأتاه رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يارسول الله . أقم عندنا في العدد والعدّة والمَنَعة ؛ قال : خلّوا سبيلها فإنها مأمورة ـ لناقته ـ فخلّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بَيَاضة ، تلقّاه رجال من بني بَيَاضة ، فقالوا : يارسول الله ! هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدّة والمَنَعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة اعترضه رجال من بني ساعدة ، فقالوا : يارسول الله ! هلمّ إلينا إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا وازنت دارَ بني الحارث ، اعترضه رجال من بني الحارث فقالوا : يارسول الله ! هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدّة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بني عديّ ، اعترضه رجال من بني عديّ ، فقالوا : يارسول الله ! هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِرْبد(١) لغلامين يتيمَيْن من بني النجار ، فلما بركت ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل ، وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يَثْنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة ، فبركت فيه ، ثم تحلْحَلت وَرَزَمتْ(٢) ووضعتْ جِرانها(٣) ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المِرْبد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يارسول الله لسهل وسُهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجدا

---

(١) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٢) يقال : رزمت الناقة رزوما ، وذلك إذا أقامت من الكلال .

(٣) الجران : مايصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها .

Marfat.com

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبنى مسجدًا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغّب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئنْ قعدنا والنبيُّ يَعْمَلُ لذاك منّا العملُ المضلّلُ

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لاعيش إلا عيش الآخره اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

فدخل عمّار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللَّبِن فقال : يارسول الله ! قتلونى ! يحملون علىّ مالا يحملون، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينفض وَفْرته بيده، وكان رجلا جعداً وهو يقول : ويح ابن سُميّة ! ليسوا بالذين يقتلونك . إنما تقتلك الفئة الباغية .

وارتجز علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ :

لا يستوى من يعمرُ المساجدا يدأب فيه قائمـا وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا(١)

فأخذها عمّار بن ياسر فجعل يرتجز بها .

فلما أكثر ، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يعرّض به ، فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يابن سُميّة ، والله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك ، وكان فى يده عصا ، فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : مالهم

---

(١) حائدا : مائلا .

ولعمّار ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، إن عمّاراً جِلدة ما بين عينىّ وأنفى ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب حتى بُنى له مسجدُه ومساكنه[١] ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب[٢] ، رحمة الله عليه ورضوانه .

حدث أبو أيوب قال: لما نزل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السُّفل، وأنا وأم أيوب فى العُلْو، فقلت له: يا نبىّ الله ! بأبى أنت وأمى، إنى لأكره وأعظِم أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظهرْ أنت فكن فى العُلو، وننزل نحن فنكون فى السفل: فقال: يا أبا أيوب ! إن أرفق بنا وبمن يَغشانا أن نكون فى سُفل البيت .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله ، وكنا فوقه فى المسكن ؛ فلقد انكسر حُبّ[٣] لنا فيه ماء ، فقمتُ أنا وأم أيوب بقَطيفة لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نَنْشَف بها الماء ، تخوفاً أن يقطُر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه .

وكنّا نصنع له العَشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضلَه تيمّمت أنا وأم أيوب

---

(١) كانت بيوته عليه السلام تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرصوصة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضا .

وقال الحسن بن أبى الحسن : كنت أدخل بيوت النبى عليه السلام وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى .

وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر . وفى تاريخ البخارى : أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر ؛ أى لاحلق له .

ولما توفيت أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك فى زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام .

وكان سريره خشبات مشدودة بالليف بيعت زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم .

(٢) وقد صار منزل أبى أيوب هذا بعده إلى أفلح ، مولى أبى أيوب فاشتراه منه بعد ماخرب وتثلمت حيطانه ، المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار ، ثم أصلحه المغيرة وتصدق به على أهل بيت من فقراء المدينة .

(٣) الحب : الجرة ، أو الضخمة منها .

Marfat.com

موضعَ يده ، فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له بصلا أو ثومًا ، فردّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أرَ ليده فيه أثرًا ، فجئته فزعًا ، فقلت : يا رسول الله ! بأبى أنت وأمى ، رددتَ عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتَ إذ رددْته علينا تيمَّمت أنا وأم أيوب موضعَ يدك ، نبتغى بذلك البركة ؛ قال : إنى وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجَى ، فأما أنتم فكلوه ؛ فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة(١) بعد .

وتلاحق المهاجرونَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مَفتون أو محبوس ، ولم يُوعِب أهل هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أهل دور مُسمَّون : بنو مظعون من بنى جُمح ؛ وبنو جَحْش بن رِئاب ، حلفاء بنى أمية ؛ وبنو البُكَير ، من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدىّ بن كعب ، فإن دُورهم غلقت بمكة هجرةً ، ليس فيها ساكن .

ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب ، فباعها من عمرو بن عَلْقمة ، أخى بنى عامر بن لؤى ، فلما بلغ بنى جَحْش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبدُ الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا خيرًا منها فى الجنة ؟ قال : بلى ! قال : فذلك لك ؛ فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلّمه أبو أحمد(٢) فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم

---

(١) وفى هذا يروى : إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس .

(٢) اسم أبى أحمد هذا : عبد ؛ وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان ، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بنى جحش ، إذ كانت بنته فيهم . وقد مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر .

Marfat.com

أصيب منكم فى الله عزّ وجلّ ؛ فأمسك عن كلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمرٍ عواقبه ندامَهْ
دارَ ابن عمك بعتَها تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله ربّ الناس مجتهد القسامه
اِذهب بها ، اِذهب بها طُوّقتها طوقَ الحمامه[1]

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، إذ قدمها شهرَ ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحىّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من أوس الله ، وهم حىّ من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم .

وكانت أوّل خُطْبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام فيهم ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلهُ ، ثم قال :

أما بعد ، أيها الناس ! فقدّموا لأنفسكم ، تَعلَمُنّ وَاللهُ ليُصعقنّ أحدكم ، ثم ليَدَعنّ غنَمَه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ولاحاجبٌ يحجُبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت[2] عليك ؟ فما قدّمتَ لنفسك ؟ فلَينظُرنّ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لَينظرن قدامه فلا يرى غير جهنمَ ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشِقٍّ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيّبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال :

إنّ الحمدَ لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من

---

(١) جعله كطوق الحمامة ؛ لأن طوقها لايفارقها ، ولا تلقيه عن نفسها أبداً .

(٢) ويروى : ألم أوتك مالا ، وجعلتك تربع وتدسع : أى تأخذ المرباع ، وتعطى من تشاء .

Marfat.com

يهده الله فلامضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وَأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زيّنه الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه . أحبّوا ماأحبّ الله ، أحبّوا الله من كلّ قلوبكم ، ولا تملّوا كلام الله وذكرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم ، فإنه من كلّ مايخلق الله يختار ويصطفى ، قد سمّاه الله خيرَتَه من الأعمال ، ومُصطفاه من العباد ، والصالحَ من الحديث ، ومن كلّ ما أوتى الناس الحلالُ والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقّ تُقاته ، واصدُقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن يُنكَث عهده ، والسلام عليكم .

* * *

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادعَ فيه يهود وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش عَلَى رِبْعَتهم[1] يتعاقلون بينهم وهم يَفدُون عانيهم[2] بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين ، وبنو عَوف على رِبعتهم يتعاقلون مَعاقلهم[3] الأولى ، كل طائفة تَفدى عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة عَلَى رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث عَلَى ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف

(١) الربعة : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها .
(٢) العانى : الأسير .
(٣) المعاقل : الديات ، الواحدة معقلة .

Marfat.com

والقسط بين المؤمنين ، و بنو جُشَم عَلَى رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، و بنو النجار على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، و بنو عمرو بن عوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، و بنو النّبيت على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لايتركون مُفْرَحا[1] بينهم أن يُعطوه بالمعروف فى فِداء أو عَقْل . وأن لايحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أوابتغى دَسِيعة[2] ظُلم ، أو إثم ، أوعدوان ، أوفساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان وَلدَ أحدهم ، ولا يَقتل مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تَبِعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولامتناصرين عليهم ؛ وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لايسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كلّ غازية غزتْ معنا يُعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه مَن اعتبط[3] مؤمناً قتلا عن بَيّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولىّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه

---

(١) ويروى : « مفرجا » وهو بمعنى المفرح المثقل بالدين الكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة ؛ وهى فى الأصل : مايخرج من حلق البعير إذا رغا . وأراد بها هنا : ماينال عنهم من ظلم .

(٣) اعتبطه ، أى قتله بلا جناية منه توجب قتله .

الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحدِثا ولا يؤويه ، وأنه مَن نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف امّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظَلم وأَثِم ، فإنه لا يُوتغ[1] إلا نفسَه وأهلَ بيته ، وإن ليهودِ بنى النّجار مثل ما ليهود بنى عَوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بَنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عَوف ، وإن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عَوف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثَعلبة مثل ماليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جَفْنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشُّطَيْبة مثل ماليهود بنى عوف ، وإن البرّ دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة[2] يهود كأنفسهم ، وإنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لاينحجز على ثارِ جُرْح ، وإنه من فَتَك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبرّ هذا[3] ، وإن عَلَى اليهود نفقتَهم وعَلَى المسلمين نفقتَهم ، وإن بينهم النصرَ عَلَى من حارب أهل هذه الصَّحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يَثرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم ، وإنه لاتُجارَ حُرْمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حدَث أو اشتجار يُخافُ فساده فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه

(١) يوتغ : يهلك .

(٢) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .

(٣) على أبر هذا : أى على الرضا به .

Marfat.com

وسلم ، وإن الله على أتـقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه[١] ، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر عَلَى من دَهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا مَنْ حارب فى الدين، على كلّ أناس حصتهم من جانبهم الذى قِبَلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المَحْض من أهل هذه الصحيفة ، وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا عَلَى نفسه ، وإن الله عَلَى أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا يحول هذا الـكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلَمَ أو أَثِم ، وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

## المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقُل :

تآخَوْا فى الله أخَوَيْن أخوين ؛ ثم أخذ بيد علِيّ بن أبى طالب، فقال: هذا أخى[٣]؛ فـكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سيّد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير[٤] ولا نَظير من العبادُ، وعلِىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه أخَوَيْن ؛

---

(١) أى أن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

(٢) يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية وإذ كان الإسلام ضعيفا ، وكان لليهود إذا ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب .

(٣) آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا بالمدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض . فلما عز الإسلام ، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة ، أنزل الله سبحانه : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث . ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : ( إنما المؤمنون إخوة ) : يعنى فى التوادد ، وشمول الدعوة .

(٤) الخطير : النظير والمثل .

Marfat.com

وكان حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسد رسوله صلى اللهُ عليه وسلم ، وَعمُّ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وزيدُ بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوَيْن ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحُد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ، وجعفر بن أبى طالب[1] ذو الجناحين ، الطيار فى الجنة ، ومعاذ بن جبل أخو بنى سلمة أخوين ، وكان أبو بكر الصدّيق ، رضى الله عنه بن أبى قُحافة ، وخارجة بن زُهير أخوين ، وعمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه ، وعِتْبان بن مالك أخوين ، وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح ، وسعد بن معاذ أخوين ، وعبـد الرحمن بن عَوْف ، وسعدُ بن الربيع أخوين ، والزبيرُ بن العوّام ، وسلمة بن سلامة أخوين ، وعثمان بن عفّان ، وأوس بن ثابت أخوين ؛ وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب بن مالك أخوين ؛ وسعد بن زيد ، وأُبىّ بن كعب أخوين ؛ ومُصعب بن عُمير ، وخالد بن زيد أخوين ؛ وأبو حُذَيفة ابن عُتبة ، وعبّاد بن بشر أخوين ؛ وعمّار بن ياسر ، وحذيفةُ بن اليمان أخوين ؛ وأبو ذرّ الغِفارىّ ، والمُنْذر بن عمرو أخوين ، وكان حاطب بن أبى بَلتعة ، وعُوَيم ابن ساعدة أخوين ؛ وسلمان الفارسى ، وأبو الدّرْداء ، أخوين ، وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيحة[2] أخوين .

فلما دَوَّنَ عمرُ بن الخطّاب الدواوين بالشام ، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام فأقام بها مُجاهداً ، فقال عمرُ لبلال : إلى من تجعل ديوانك يابلال ؟ قال : مع أبى رُويحة ، لا أفارقه أبدا للأُخوة التى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضمّ إليه وضم ديوان الحبشة إلى خَثْعَم لمكان بلال منهم .

• • •

---

(١) كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة .

(٢) ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبى رويحة هذا لوء عام الفتح وأمره أن ينادى : من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن .

وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بنُ زرارة ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحة أو الشّهقة . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بئس الميتُ أبو أمامة ! ليَهود ومُنافقى العَرب يقولون : لو كان نبيًّا لم يمت صاحبه ! ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئاً .

ثم اجتمعت بنو النجار إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أبو أمامة نَقيبَهم فقالوا له: يا رسول الله ! إن هذا قد كان منّا حيثُ قد علمتَ ، فاجعلْ منّا رجلا مكانه ، يُقيم من أمرنا ما كان يُقيم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نَقيبكم ؛ وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يخصّ بها بعضهم دون بعض ، فكان من فضل بنى النّجار الذى يَعُدُّون على قومهم ، أن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نقيبَهم .

## خبر الأذان

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، واجتمع إليه إخوانُه من المُهاجرين، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدُود ، وفُرض الحلالُ والحرام ، وتبوّأ الإسلام بين أظهُرهم ، وكان هذا الحىّ من الأنصار هم الذين تبوّءوا الدار والإيمان .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها، إنما يجتمعُ الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوة، فهمّ رسولُ الله صَلى اللهُ عليه وسلم حين قَدِمها أن يجعل بُوقا كبُوق يهود الذين يدعون به لصَلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالنّاقوس ، فنُحِت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد النداء ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ! إنه طاف بى هذه الليلة طائف ، مرّ بى رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت له : يا عبد الله ! أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت: وماهو؟ قال: تقول : الله أكبرالله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهدأن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حىّ على الصلاة ، حىّ الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قال : إنها لرؤيا حقّ إن شاء الله ، فقُمْ مع بلال فألقها عليه ، فليؤذّن بها ، فإنه أندَى(١) صوتًا منك .

فلما أذّن بها بلالٌ سمعها عمرُ بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجرُّ رداءه ، وهو يقول : يانبى الله ! والذى بعثك بالحقّ ، لقد رأيت مثل الذى رأى ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد على ذلك .

ويروى أيضا أنه ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمرُ بن الخطاب يُريد أن يَشْتَرِىَ خَشَبتين للناقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لاتجعلوا الناقوس ، بل أذّنوا للصلاة ، فذهب عمرُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ليُخبرَه بالذى رأى ، وقد جاء النبىَّ صلى الله عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عُمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحى .

وكان هنالك بيت لامرأة من بنى النجار من أطول بيت حول المسجد، فكان بلالٌ يؤذن عليه للفجر كل غداة ، فيأتى بسَحَر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه

---

(١) أندى : أنفذ وأبعد .

تمطّى، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا على دينك ، وما علم أنه كان يتركها ليلةً واحدةً .

## أبو قيس بن أبي أنس

فلما اطمأنت برسول الله صلّى الله عليه وسلّم دارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته؛ قال أبو قَيْس صِرْمَة بن أبي أنس، أخو بني عديّ ابن النجّار، وكان رجلا قد ترهّب في الجاهلية ، ولبس المُسوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة ، وتطهّر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له ، فاتخذه مسجدا لاتدخله عليه فيه طامث ولا جُنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ؛ حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رَسُولُ الله صَلّى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحَسُن إسلامه وهو شيخٌ كبير ، وكان قوّالا بالحق ، معظّمًا لله عز وجل في جاهليته .

قال ابن إسحاق :

سَبّحوا اللهَ شَرْقَ كلّ صباحٍ    طلعت شمسُه وكلّ هِلالِ (١)
عالم السرّ والبَيان لدينـا    ليس ماقال ربُّنا بضَلال
وله الطيرُ تَسْـتريد وتأوي    في وُكور من آمنات الجبال (٢)
وله الوحشُ بالفَـلاة تراها    في حِقاف وفي ظلال الرّمال (٣)
وله هَوّدتْ يَهودُ ودانت    كلّ دين إذا ذكرتَ عُضال (٤)

---

(١) الشرق هنا : طلوع الشمس ، أو الضوء .

(٢) تستريد : تذهب وترجع . والوكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٣) الحقاف : جمع حقف ، وهو الكدس المستدير من الرمل .

(٤) هودت : أي ثابت ورجعت .

Marfat.com

وله شمَّسَ النّصارى وقامُوا  كلَّ عيد لربّهم واحتفال[1]
وله الراهبُ الحبيسُ تراه  رهْنَ بُوسٍ وكان ناعمَ بال[2]

وقال أيضا ، يذكر ما أكرمهم اللهُ تبارك وتعالى به من الإسلام ، وماخصَّهم الله به من نزول رسوله صلّى الله عليه وسلّم عليهم :

ثوى فى قُريش بضعَ عشْرة حِجّةً  يذكِّر لو يَلْقى صَديقا مُواتيًا[3]
ويَعْرِض فى أهْل المواسم نفسَه  فلم يَرَ من يُؤْوى ولم يَرَ داعيا
فلما أتانا أظهر الله دِينَــــه  فأصبح مسرورًا بطيبةَ راضِـيا
وألفى صديقًا واطمأنّت به النوَى  وكان له عَوْنا مِنَ الله باديا
يقُصُّ لنا ماقال نُوحٌ لقومه  وما قال مُوسى إذ أجاب المُنَاديا
فأصبح لايخشى من الناس واحدًا  قريبا ولا يخشى من الناس نائيًا
بذَلْنا له الأموال من حلّ مالنا  وأنفسَنا عند الوَغَى والتآسيا[4]
ونَعْلم أنّ الله لا شىء غـيرُهُ  ونعلمُ أن الله أفضـلُ هاديا
نُعادِى الذى عادَى من الناس كلّهم  جميعًا وإن كان الحبيبَ المُصَافيا
أقول إذا أدعوك فى كلّ بِيعة :  تباركتَ قد أكثرتُ لاسمك داعيا[5]
أقولُ إذا جاوزتُ أرضًا مَخُوفةً :  حَنَانَيْك لاتُظْهر علىّ الأعاديا[6]

(١) شمس : تعبد .
(٢) الحبيس : الذى حبس نفسه عن اللذات .
(٣) ثوى : أقام . ومواتيا : موافقا .
(٤) الوغى : الحرب . والتآسى : التعاون .
(٥) يريد « بالبيعة » المسجد . وهى فى الأصل : متعبد النصارى .
(٦) حنانيك : أى تحننا بعد تحنن ، والتحنن : الرأفة والرحمة .



Marfat.com

فَطأْ مُعْرِضًا إن الحتوف كثيرةٌ ... وإنك لا تُبْقى لنفسِكَ باقيا[1]

فوالله ما يَدْرى الفتى كيفَ يتقى ... إذا هو لم يَجعل له اللهَ واقيا

ولا تَحْفِلُ النخلُ المُعيمة ربَّها ... إذاأصبحت رَيًّا وأصبح ثاويا[2]

## الأعداء من يهود

ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوةَ ، بغيًا وَحَسَدًا وضِغْنا ، لِما خصَّ الله تعالى به العرَب من أخْذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوس والخَزْرج ، ممن كان عسى على جاهليته ، فكانوا أهل نِفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قَهرهم بظُهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنَّة من القتْل ، ونافقوا فى السر ، وكان هواهم مع يَهُود ، لتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم الإسلام .

وكانت أحبار يهود هم الذين يَسْألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ، ويأتونه باللَّبس ، ليَلْبِسوا الحقَّ بالباطل ، فكان القرآن يَنْزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل فى الحلال والحرام كان المُسْلِمون يَسْألون عنها .

## إسلام عبد الله بن سلام

وكان من حديث عبد الله بن سلاَم حين أسلم ، وكان حبراً عالمًا ، قال :

لما سمعتُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، عرفتُ صِفته واسمه وزمانه الذى كنا

(١) فطأ معرضا : أى متسعا . والحتوف : أسباب الموت وأنواعه .

(٢) المعيمة : العاطشة . وريا : مروية .

Marfat.com

نتوكّف(١) له ، فكنت مُسِرًّا لذلك ، صامتاً عليه ، حتى قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزَل بقُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقُدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها وعمّتى خالدةُ بنة الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعتُ الخبرَ بقُدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرتُ ، فقالت لى عمّتى حين سمعتْ تكبيرى : خيَّبك الله ! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عِمران قادماً ما زِدْت ! فقلت لها : أىّ عمّة ! هو والله أخو موسى بن عِمْران ، وعلى دينه ، بُعِث بما بُعِث به ؛ فقالت : أىْ ابنَ أخى ! أهو النبىّ الذى كُنّا نُخْبر أنه يبعث مع نَفَس الساعة ؟ فقلت لها : نعم ! فقالت : فذاك إذاً . ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى فأمرتُهم فأسلموا .

وكتمتُ إسلامى من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ له : يا رسول الله ! إن يهود قومٌ بُهْتٌ(١) ، وإنى أُحبّ أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنّى ، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يَعْلَموا بإسلامى ، فإنهم إن عَلموا به بَهتونى وعابونى .

فأدخلنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بُيوته ودخلوا عليه ، فكلّموه وساءلوه ، ثم قال لهم : أىّ رجلٍ الحصين بن سلاّم فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وابن سيّدنا ، وحَبْرُنا وعالمنا .

فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهدُ أنه رسول الله ، وأومن به وأصدّقه وأعرفه . فقالوا : كذبتَ ! ثم وقعوا بى .

---

(١) نتوكف : نترقب ونتوقع .

(١) البهت : الباطل .

Marfat.com

فقلتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أُخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت ، أهل غدْرٍ وكَذب وفُجور ! فأظهرتُ إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمّتى خالدة بنت الحارث فحسُن إسلامها .

## حديث مخيريق

وكان من حديث مُخَيريق ، وكان حبراً عالمًا ، وكان رجلا غنيًا كثير الأموال من النخل ؛ وكان يَعْرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد فى علمه ، وغلب عليه إلْفُ دينه ، فلم يزل عَلَى ذلك ، حتى إذا كان يومُ أُحُد ، وكان يومُ أحد يومَ السبت ، قال : يامعشر يهود ! والله إنكم لَتعلمون أن نَصْرَ محمد عليكم لحقّ ؛ قالوا : إن اليوم يومُ السبت ؛ قال : لاسبتَ لكم . ثم أخذ سِلاحه ، فخرج حتى أتى رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بأُحُد ، وعَهِد إلى مَنْ وَرَاءه من قومه : إنْ قُتِلْتُ هذا اليومَ ، فأموالى لمحمد ( صلى الله عليه وسلم ) يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتِل ، فكان رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : مخيريق خير يهود . وقَبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أموالَه ، فعامّة صَدَقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

وبلغ من عداوة يهود له صلى اللهُ عليه وسلم أن غدَا عليه حُيَيُّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، مُغَلِّسَيْن ، فلم يرْجِعا حتى كانا مع غروب الشمس ، فأتيا كالّيْن كَسْلانين ساقِطين يمشيانِ الهُوَيْنَى ، وسُمع أبو ياسر ، وهو يقول لأبيه حُيَيّ بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ! قال : أتعرفه وتُثْبِته ؟ قال : نعم ! قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيتُ ! !

## من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار

وكان مِمّن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس والخزرج زُوَىّ بن الحارث وجُلاس بن سُوَيد وأخوه الحارث بن سويد ، وجُلاس الذى قال — وكان ممن تخلّف عن رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك — : لئن كان هذا الرجل صادقاً ، لنحن شرٌّ من الحُمُر !!

فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُميرُ بن سعد ، وكان فى حِجْر جُلاس — خلَف جُلاسٌ عَلَى أمه بعد أبيه — فقال له عُمير بن سعد : والله يا جلاس إنك لأحبّ الناس إلىّ وأحسنهم عندى يداً ، وأعزّهم علىّ أن يُصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عليك لأفضحنّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ دينى ، ولإحداهما أيسرُ علىّ من الأخرى .

ثم مشى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فذكر له ما قال جُلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب علىّ عُمير ، وما قلتُ ما قال عُمير ابن سعد ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ( يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيماً فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فى الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١) ) .

فزعموا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عُرِف منه الخير والإسلام .

وأخوه الحارث بنُ سُويد الذى قتل المجذّر بن ذِياد البَلَوىّ ، وقيسَ بن زيد ، يوم أُحد ، خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلما التقى الناسُ عدَا عليهما فقتلهما ، ثم لحق بقريش .

(١) سورة التوبة : آية ٧٤ .

وكان الجذّر بن ذِيَاد قتل سُوَيد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أُحد طلب الحارث بن سُوَيد غِرّةَ الجذّر بن ذِيَاد ، ليقتله بأبيه فقتله .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر عُمرَ بن الخطاب بقَتْله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ( كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[١] ) .

ومن المنافقين نَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان ، فلينظر إلى نَبْتَلْ بن الحارث .

وكان رجلا جسيماً أَذْلم[٢] ثائرَ[٣] شعر الرأس ، أحمرَ العينين ، أسفع[٤] الخدّين ، وكان يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يتحدّث إليه ، فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهوالذى قال: إنما محمد أُذُن، مَن حدّثه شيئًا صدّقه !! فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ( وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[٥] ) .

ومن المنافقين معتِّب بن قشير الذى قال يوم أُحد : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا هاهنا ؛ فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : ( وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨٦ .

(٢) الأدلم : الأسود الطويل ، ويقال : هو المسترخى الشفتين .

(٣) ثائر شعر الرأس : أى مرتفعه منتشره .

(٤) السفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

(٥) سورة التوبة : آية ٦١ .

غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ[1]).

وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعدنا أن نأكل كنوزَ كِسرى وَقَيصَر، وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ! ! فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا[2]).

ومن المنافقين وَدِيعة بن ثابت، وهو ممّن بَنى مسجد الضرار، وهو الذى قال : إنما كنّا نخُوض ونَلعَب ! فأنزل الله تباركَ وتعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ[3]) إلى آخر القصة.

ومِرْبع بن قَيْظيّ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه[4]، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أُحُد : لا أُحِلُّ لك يا محمد، إنْ كنتَ نبيًّا، أن تمرّ فى حائطى، وأخذ فى يده حَفْنة من تراب، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتُك به، فابتدره القومُ ليقتلوه، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : دعُوه، فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة، فضربه سَعْد بن زيد، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجّه، وأخوه أوْس بن قَيْظى، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يارسولَ الله ! إن بيوتنا عورة[5] فأْذَنْ لنا فانرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا[6]).

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٤.
(٢) سورة الأحزاب : آية ١٢.
(٣) سورة التوبة : آية ٦٥.
(٤) الحائط : البستان.
(٥) العورة : الحرمة والسوءة.
(٦) سورة الأحزاب : آية ١٣.

Marfat.com

ومن المنافقين حاطبُ بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيماً قد عسا[1] فى جاهليته ، وكان له ابنٌ من خيار المسلمين ، يقال له يزيد بن حاطب ، أُصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفَر ، واجتمع إليه مَنْ بها من رجال المُسْلمين ونسائهم وهو بالموت، فجعلوا يقولون : أبشر ياُبن حاطب بالجنة ، فنَجم[2] نِفاقُه حينئذ ، فجعل يقول أبوه : أجل ، جنّةٌ والله من حرْمل ! ! غَررتُم والله هذا المسكين من نفسه .

وبُشير بن أُبيْرق ، سارق الدِّرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : « وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيماً[3] » ؛ وقُزْمان الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : إنه لمن أهل النار ، فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديداً حتى قتـل بضعةَ نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فَحُمل إلى دار بنى ظَفَر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر ياقُزْمان ، فقد أبليتَ اليومَ ، وقد أصابك ماترى فى الله ، قال : بماذا أُبشَّر ؟ فوالله ما قاتلت إلا حميّـة عن قومى ؛ فلما اشتدَّت به جراحاتُه وآذته ، أخذ سهمًا من كِنانته ، فقطع به رواهش[4] يده ، فقتلَ نفسه .

وكان بعض المنافقين يُدْعون بالإســلام ، فدعاهم رجال من المسلمين ، فى خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعوهم إلى الـكُهّان ، حكّام أهـل الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ . وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا[5] » .

ومن المنافقين الجدّ بن قَيْس ، وهو الذى يقول: يامحمد ! ائذن لى ولا تَفْتِنِّى ، فأنزل

---

(١) عسا : أسن وولى .

(٢) نجم : ظهر .

(٣) سورة النساء : آية ١٠٧ .

(٤) الرواهش : عصب ظاهر اليد .

(٥) سورة النساء : آية ٦٠ .

الله تعالى فيه : « وَمِنهم مَنْ يَقُولُ ائْذنْ لِى ولاَ تفتِنِّى ، ألاَ فى الفِتْنةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطةٌ بالكَافِرِينَ »(١) .

وعبدُ الله بن أبىّ بن سَلول ، وكان رأسَ المُنافقين، وإليه يجتمعون، وهو الذى قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فى غزوة بنى المُصْطلق . وفى قوله ذلك، نزلت سورةُ المنافقين بأسرها فيه وفى رهطٍ من قومه .

فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بنى النضير حين حاصرَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم ، فأنزل الله تعالى فيهم : « أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبدًا وَإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » إلى قوله : « كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إذْ قَالَ لِلإنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إنِّى أخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ(٢) » .

## من أسلم من أحبار يهود نفاقاً

وكان ممن تعوّذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين ، وأظهره وهو مُنافق ، من أحبار يهود : زيد بن اللصَيْت ، الذى قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسُوق بنى قَيْنقاع ، وهو الذى قال ، حين ضلّت ناقةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء ، وهو لايدرى أين ناقتُه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال

---

(١) سورة التوبة : آية ٤٩ .

(٢) سورة الحشر : آية ١١ وما بعدها .

Marfat.com

عدوُّ الله فى رَحْـله ، ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَه صلى اللهُ عليه وسلم على ناقته : أن قائلا قال : يزعُم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء ولا يدرى أين ناقته ؟ وإنى والله ما أعلم إلا ماعلّمنى الله ، وقد دلّنى الله عليها ، فهى فى هذا الشِّعْب ، قد حبَسَتْها شجرةٌ بزمامها ، فذهب رجالٌ من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكما وصف .

ورافعُ بن حُرَيملة ، وهو الذى قال له الرسولُ صلى الله عليه وسلم حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبّت عليه الريح ، وهو قافلٌ من بَنى المُصْطلق ، فاشتدّت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُالله صلىالله عليه وسلم : لاتخافوا! فإنما هبّت لموت عظيم من عُظماء الكفار . فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وجد رفاعةَ بن زَيْد بن التابوت مات ذلك اليومَ الذى هبّت فيه الريحُ . وسِلْسلة بن بَرْهام . وكِنانة بن صُورِيا .

وكان هؤلاء المنافقون يحضُرون المسجدَ فيسمعون أحاديثَ المُسْلمين ، ويَسْخَرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يومًا فى المسجد منهم ناسٌ ، فرآهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يتحدّثون بينهم خافِضى أصواتهم ، قد لَصِق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأُخرِجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا .

## مانزل من البقرة فى المنافقين ويهود

ففى هؤلاء من أَحْبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخَزْرج ، نزل صَدْرُسورة البقرة إلى المئة منها .

يقول الله سبحانه وبحمده : « الم . ذٰلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ » ، أى لاشك فيه .

Marfat.com

( هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ) أي الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك مايعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه ، ( الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ) أى يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتساباً لها ، ( وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ) أى يصدّقونك بما جئت به من الله عزّ وجلّ ، وماجاء به مَنْ قبلك من المرسلين ، لا يفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ماجاءوهم به من ربّهم ، ( وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ) أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك ( أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ) أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجَوْا من شرّ ما منه هربوا : ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ) أى بما أُنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ؛ ( سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ) أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، مما جاءهم به غيرُك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أوتحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك !! ( خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ) أى عن الهدى أن يُصيبوه أبدًا ، يعنى بما كذّبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته .

( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ) ، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ( يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) أى شكّ ( فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ) أى شكا ( وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ) أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب ، يقول الله تعالى : ( أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ) من يهود ، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ماجاء به الرسول ( قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ) أى إنا على مثل ما أنتم عليه ( إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ) أى إنما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم ، يقول الله عز وجل : ( اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ[1] ) . ( أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ـ أى الكفر بالإيمان ـ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) .

ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى : ( كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ) أى لايبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ، ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الكفر ، فهم لايبصرون هدى ولا يستقيمون على حق . ( صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) أى لايرجعون إلى الهدى ، صم بكم عمى عن الخير ، لايرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ، ما كانوا على ماهم عليه . ( أَوْ كَصَيِّبٍ[2] مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ) أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل ، من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وصف من الذى هو فى ظلمة الصيب ، يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول : والله منزل ذلك بهم من النقمة : أى هو

---

(١) يعمهون : يحارون .

(٢) الصيب : المطر .

محيط بالكافرين ( يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ) أى لشدة ضوء الحق ( كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ) أى يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيّرين ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ) أى لما تركوا من الحقّ بعد معرفته ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

ثم قال : ( يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ) ، للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين أى وحّدوا ربكم ( الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا[1] وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) أي لا تُشركوا بالله غيره من الأنداد التى لا تنفع ولا تضرّ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده ، هو الحقّ لا شك فيه ( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ) أى فى شكّ مما جاءكم به ، ( فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ) فقد تبيّن لكم الحق ( فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغّبهم وحذّرهم نقضَ الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى اللهُ عليه وسلم إذا جاءهم ، وذكر لهم بَدْء خَلقهم حين خلقهم ، وشأنَ أبيهم آدم عليه السلام وأمرَه ، وكيف صُنِع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : ( يَابَنِي إِسْرَائِيلَ ) الأحبار من يهود ( اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ) أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لما

---

(١) الأنداد : الأمثال .

Marfat.com

كان نجّاهم به من فرعون وقومه (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي) الذى أخذت فى أعناقكم لنبيّى أحمد إذا جاءكم (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه، بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) أى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم، من المسخ وغيره. (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أى أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم ؟! أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى، وتنقضون ميثاقى، وتجحدون ما تعلمون من كتابى.

ثم عدّد عليهم أحداثهم، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه، وتوبته عليهم، وإقالته إياهم، ثم قولهم: (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً[1]). وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرتهم، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم، وتظليله عليهم الغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى[2]، وقوله لهم: (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) أى قولوا ما أمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم، وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره، وإقالته إياهم ذلك بعد هزئهم.

وكان من تبديلهم ذلك أن دخلوا الباب الذى أمروا أن يدخلوا منه سجّداً يزحفون وهم يقولون: حنطٌ فى شعير!!

---

(١) جهرة: ظاهرا لنا لا شىء يستره عنا.

(٢) المن: شىء كان يسقط فى السحر على شجرهم، فيجتنونه حلوا مثل العسل، فيشربونه ويأكلونه. والسلوى: طير ويقال إنها السمانى. ويقال للعسل أيضا: السلوى.

واستسقاء موسى لقومه ، وأمره إياه أن يضرب بعصاه الحَجَر ، فانفجرت لهم منه أثنتا عشرة عينًا ، لكلّ سِبْط[1] عَيْنٌ يَشْربون منها ، قد علم كلّ سِبْط عينه التى منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام: ( لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ) فلم يفعلوا .

ورَفْعَه الطّور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ؛ والمسخ الذى كان فيهم إذ جعلهم قِردةً بأحداثهم ، والبقرةَ التى أراهم الله عزّ وجلّ بها العِبْرَةَ فى القتيل الذى اختلفوا فيه ، حتى بَيّن الله لهم أمرَه ، بعد التردّدِ على موسى عليه السلام فى صفة البقرة ، وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة ، ثم قال تعالى : ( وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ) أي وإن من الحجارة لألْيَنُ من قلوبكم عمّا تُدْعون إليه من الحقّ ( وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) .

ثم قال لمحمد عليه السلام ، ولمن معه من المؤمنين يُؤْيِسهم منهم : ( أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) ؟؟ .

قالوا لموسى : ياموسى ! قد حيل بيننا وبين رؤية الله فأسمِعنا كلامه حين يكلّمك ، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم ! مُرْهُمْ فَلْيَتطهّروا أو ليطهروا ثيابهم ، وليصوموا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطورَ ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجّدًا ، وكلّمه ربه فسمعوا كلامه تبارك وتعالى ، يأمرُهم وينهاهم ، حتى عَقلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ،

(١) الأسباط فى بنى إسحاق كالقبائل فى بنى إسماعيل .

قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عزّ وجلّ : إنما قال كذا وكذا خلافًا لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم :

ثم قال تعالى : ( وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ) أي بصاحبكم رسول الله ولكنه إليكم خاصة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لاتحدّثوا العرب بهذا فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم، فكان فيهم ! ! فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ( وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) أى تقرّون بأنه نبيّ ، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم أنه النبيّ الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا ، اجحدوه ولا تقرّوا لهم به ، يقول الله عزّ وجلّ ( أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ[1] ) .

( وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ) أى لا يعلمون الكتابَ ولا يدرون مافيه ، وهم يجحدون نبوّتك بالظن . ( وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ) .

وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينةَ ، واليهود تقول : إنما مدّةُ الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذِّبُ الله الناسَ فى النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحداً فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعةُ أيام ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله هؤلاء الآيات فى ذلك من قولهم ( بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ) أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، يُحيط كفره بما له عند الله من حسنة ، ( فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) أى خالدون أبدًا . ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) أى من آمن بما كفرتم به ،

---

(١) الأمى : الذى يقرأ ولا يكتب . أمانى : قراءة . والمعنى : لايعلمون الكتاب إلا أنهم يقرءونه .

Marfat.com

وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرّ مقيم على أهله أبداً ، لاانقطاع له .

ثم قال الله عز وجل يؤنبهم : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى ميثاقكم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أى تركتم ذلك كله ليس بالتنقّص ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أن هذا حقّ من ميثاق عليكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ فى كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أى أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك !!

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ فأنبهم الله عزّ وجلّ بذلك من فعلهم ، وقد حرّم عليهم فى التوراة سفكَ دمائهم ، وافترضَ عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين : منهم بنو قَيْنُقاع ولفّهم[1] ، حلفاء الخزرج ، والنضيرُ وقُريظة

---

(١) لفهم : أى من عد فيهم .

ولفّهم ، حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ ، خرجت بنو قَينُقاع مع الخزرج ، وخرجت النضيرُ وقُريظة مع الأوس ، يُظاهِر كلٌّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراةُ يعرفون فيها ما عليهم ومالهم . والأوس والخزرج أهلُ شِرْك يَعبدون الأوثان ، لايعرفون جنّةً ولانارًا ، ولابعثاً ولاقيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتدوا أُساراهم تصديقاً لما فى التوراة ، وأخذ به بعضُهم من بعض ، يَفتدى بنو قَينُقاع مَن كان من أسراهم فى أيدى الأوس ، وتَفتدى النَّضيرُ وقُريظة مافى أيدى الخزرج منهم ، وَيُطِلّون(١) ما أصابوا من الدماء وقَتْلى من قتِلوا منهم فيما بينهم ، مُظاهرةً لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنّبهم بذلك : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) أى تُفادِيه بحُكم التوراة وتقتله ، وفى حكم التوراة أن لاتفعل !! تقتله وتُخرِجه من داره وتُظاهر عليه من يُشْرك بالله ، ويَعْبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عرض الدنيا !! ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ) أى الآيات التى وضعتُ على يديه ، من إحياء الموتى ، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبَر بكثير من الغيوب مما يدّخرون فى بيوتهم ، ومازدّ عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذي أحدث الله إليه (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) .

ثم ذَكَرَ كُفرهم بذلك كله ، فقال (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) . ثم قال تعالى (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) أى فى أكنة . يقول الله عزّ وجلّ (بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

---

(١) يطلون : يبطلون .

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ).

وذلك أن المشركين كانوا قد علوا اليهود ظَهْرًا فى الجاهلية وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون للمشركين : إن نبيًا يُبْعث الآن نتبعه ، قد أظلَّ زمانُه ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فلما بَعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قُرَيش اتبعه المشركون وكفر به اليهود ، وقالوا : ماجاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم . يقول الله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) أى أن جعله فى غيرهم ( فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ) .

فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة وهى معهم ، وغضبٌ بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنّبهم برَفع الطور عليهم ، واتخاذهم العِجْل إلهًا دون ربهم، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) أى ادعوا بالموت على أىّ الفريقين أكذبُ عند الله ، فأبوْا ذلك عَلَى رَسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصَّلاةُ وَالسَّلام (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ) أى بعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ؛ فيقال : لو تمنّوه يومَ قال ذلك لهم مابقى على وجه الأرض يهودىّ إلا مات .

ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ) أى اليهود ( وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ) أى ماهو بمُنجيه من العذاب ، وذلك أنّ المشرك لايرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحبّ طول الحياة ، وأن اليهودىّ قد عرف ماله

فى الآخرة من الخزى بمـا ضيع ممـا عنده من العلم . ثم قال الله تعالى ( قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ ) .

وذلك أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم، فقالوا : يا محمد ! أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ ، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدّقناك، وآمنّا بك . فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه لئن أنا أخبرتُـكم بذلك لتصدقُنّنى ؟ قالوا : نعم ! قال : فاسألوا عمّا بدا لـكم .

قالوا : فأخبِرْنا كيف يشبه الولدُ أمّه ، وإنما النُّطفة من الرجل ؟ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَنْشِدُكم بالله و بأيّامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نُطْفَة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيّتهما عَلَتْ صاحبتَها كان لها الشبهُ ؟ قالوا : اللهم نعم .

قالوا : فأَخْبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنّى لستُ به ، تنام عينهُ وقلبهُ يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ؛ قال : فـكذلك نومى ، تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فأخبرنا عمّا حرّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولُحومها ، وأنه اشتـكى شـكوى ، فعافاه الله منها . فحرم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شـكراً لله ، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم .

قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولـكنه يا محمد لنا عدوّ ، وهو مَلَك إنمـا يأتى بالشدّة و بسفك الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك .

فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ( قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ) إلى قوله تعالى ( أَوَ كُلَّمَا

عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ) أى السحر ( وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ) .

وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال بعضُ أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًّا ! ! والله ما كان إلا ساحراً ؛ فأنزل تعالى فى ذلك من قولهم ( وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ) أى باتباعهم السحر ، وعملهم به ( وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ) .

وكتب رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى يهود خيبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، صاحبِ موسى وأخيه ، والمصدّق لما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة . وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم ( مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ(١) فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(٢) ) .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم مَنْ كان قبلكم من أسباطكم المنّ والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس البحرَ لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتمونى : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم

(١) أشطأ الزرع : إذا أخرج فراخه .
(٢) سورة الفتح : آية ٢٩ .

لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كُرْه عليكم (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ) فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه.

وكان ممن نزل فيه القرآن، بخاصة من الأحبار وكُفار يهود، الذى كانوا يسألونه ويتعنّتونه ليلبسوا الحقّ بالباطل، أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسُول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتلو فاتحة البقرة (الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ) فأتى أخاهُ حُيَيّ ابن أخطب فى رجال من يهود، فقال: تعلّموا والله، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه: (الٓمٓ ذلك الكتاب)؛ فقالوا: أنت سمعتَه؟ فقال: نعم. فمشى حُيَيّ بن أخطب فى أولئك النّفر من يهود إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: يامحمد! ألم يُذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: (الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ)؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: بلى! قالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال: نعم! قالوا: لقد بَعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيّن لنبيّ منهم مامدّة ملكه، وما أُكُل[1] أمّته غيرك؛ فقال حُيَيّ بن أخطب، وأقبل على من معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة، أفتدخلون فى دين إنما مُدة ملكه وأُكْل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يامحمدُ! هل مع هذا غيره؟ قال: نعم! قال: ماذا؟ قال (الٓمٓصٓ). قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومئة سنة، هل مع هذا يامحمد غيره؟ قال: نعم (الٓرٓ)، قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مئتان، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان، هل مع هذا غيره يامحمد؟ قال: نعم (الٓمٓرٓ) قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مئتان فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة، ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمرك يامحمد، حتى ماندرى أقليلاً أُعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن

(١) الأكل (بالضم): الرزق والطعام. ويريد «بأكل أمته»: طول مدتهم.

Marifat.com

أخطب ولمن معه من الأحبار : مايُدْريكم لعله قد جُمع هذا كله لمحمد ؟ إحدى وسبعون ، وإحدي وستون ومئة ، وإحدى وثلاثون ومئتان ، وإحدي وسبعون ومئتان ، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة ؟ فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُه ؟ فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ[1]) .

وبعض أهل العلم يذكر أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى أهل نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

وقال أحدهم حين بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أُخذ عليهم له من الميثاق ، وماعَهِد الله إليهم فيه : والله ماعُهِد إلينا فى محمد عهد ، وما أُخذ له علينا من ميثاق ، فأنزل الله فيه (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ[2]) .

وقال آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ! ما جئتنَا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ[3]) .

وقال ثالث منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ! ائتنا بكتاب تُنزّله علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهارا نتبعك ونصدّقك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ[4]) .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٧ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٠٠ .
(٣) سورة البقرة : آية ٩٩ .
(٤) سورة البقرة : آية ١٠٨ .

وكان حُيَيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى اللهُ عليه وسلم ، وكانا جاهدَيْن فى ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله تعالى فيهما (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١]) .

ولما قَدِمَ أهلُ نجْران من النصارى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتتهم أحبارُ يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حبر منهم : ما أنتم على شيء ؛ وكفرَ بعيسى و بالإنجيل ، فقال رجلٌ من أهل نجْران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[٢]) أى كلّ يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهودُ بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ اللهُ عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه .

وقال أحد اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ! إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليكلّمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[٣]) .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ١١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ١١٨ .

وقال يهودى ثان لرسول الله صلّى الله عليه وسلم : ما الهدي إلا مانحن عليه ، فاتبعنا يامحمد تهتد ؛ وقالت النصارى مثل ذلك ؛ فأنزل الله تعالى فى ذلك (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[1]) ثم القصة إلى قول الله تعالى : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقالوا : يا محمد ! ما ولاّك عن قبلتك التى كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قِبلتك التى كنت عليها نتّبعك ونصدّقك ؛ وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى ابتلاء واختباراً (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أى من الفتن ، أى الذين ثبّت الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة وطاعتكم نبيكم فيها ، أى ليعطينكم أجرهما جميعاً (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ[2]) .

ثم قال تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٣٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٤٢ وما بعدها .

Marfat.com

( وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ) إلى قوله تعالى ( الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ) .

وسأل بعض العرب نفراً من أحبار يهود عن بعض مافى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبَوْا أن يُخبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ) .

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغّبهم فيه وحذّرهم عذابَ الله ونقمته ، فأجابوه : بل نتبع يا محمد ما وجدْنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلمَ وخيراً منّا ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) .

ولما أصاب الله عزّ وجل قُريشاً يوم بدر ، جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ فى سوق بنى قَينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ! أَسْلِموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً ، فقالوا له : يا محمد ! لايغرنّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً[1] لايعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : ( قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ

(١) الأغمار : جمع غمر ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

Marfat.com

تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ).

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَ المِدْراس(١) على جماعةٍ من يهود، فدعاهم: إلى الله، فقالوا له: على أيِّ دينٍ أنتَ يا محمد؟ قال: على ملّةِ إبراهيم ودينه، قالوا: إن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: فهلمّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبَوْا عليه، فأنزل الله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

وقال أحبارُ يهود ونصارى نجْران، حين اجتمعوا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًا، وقالت النصارى من أهل نجْران: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًا، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ؟ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ(٢)).

وقال بعضهم لبعض: تعالَوْا نؤمن بما أُنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ونكفر به عشيّة، حتى نلبسَ عليهم دينهم لعلّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ

(١) بيت المدارس: هو بيت لليهود حيث يتدارسون فيه كتابهم.
(٢) سورة آل عمران: آية ٦٥ وما بعدها.

Marfat.com

وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ، أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[(1)] ) .

وقال يهودى حين اجتمعت الأحبارُ من يهود والنّصارى من أهل نجران ، عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتُريد منّا يا محمد أن نَعبدك كما تَعبد النّصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجلٌ من أهل نجران نصرانىّ : أو ذاك تُريد منّا يا محمد وإليه تدعونا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بَعثنى الله ، ولا أمرنى ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ( مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ[(2)] ) إلى قوله تعالى ( وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[(3)] ) .

ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه ، إذ هو جاءهم ، وإقرارهم على أنفسهم ، فقال : ( وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ[(4)] ) إلى آخر القصة .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٧١ وما بعدها .
(٢) سورة آل عمران : آية ٧٩ ؛ والربانى : العالم الفقيه الذى يربى الصغار .
(٣) سورة آل عمران : آية ٨٠ .
(٤) سورة آل عمران : آية ٨١ ؛ والإصر : العهد المؤكد .

ومرّ شاس بن قَيْس ، وكان شيخاً قد عَسا(١) ، عظيم الكُفر شديد الضِّغن عَلَى المسلمين ، شديد الحسد لهم ، عَلَى نفَر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخَزْرج في مجلس قد جمَعَهم ، يتحدّثون فيه ، فغاظَه ما رأي من أُلْفتهم وجماعتهم ، وصَلاح ذات بَيْنِهم عَلَى الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال : قد اجتمع مَلأ(٢) بنى قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع مَلؤُهم بها من قرار ، فأمر فتًى شابًّا من يَهُود كان معهم ، فقال : اعمِد إليهم فاجلسْ معهم ، ثم اذكر يومَ بُعَاث(٣) وما كان قَبلَه ، وأنشِدهم بعض ما كانوا تَقاولوا فيهِ من الأشعار .

ففَعل ، فتكلّم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا حتى تَواثب رجلان من الحيّين على الرُّكب ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْناها الآنَ جذَعة(٤) ؛ فغضب الفريقان جميعاً وقالوا : قد فعلْنا ، موعدكم الظّاهرة ، السّلاحَ السّلاح ! ! فخرجوا إليها .

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المُهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبِدَعوى الجاهلية وأنا بَيْن أظْهركم بعد أن هَدا كم الله للإسلام ، وأكرمَكم به ، وقَطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكُفر ، وألّف به بين قلوبكم ؟ !

فعرف القومُ أنها نَزْغة(٥) من الشيطان ، وكَيدٌ من عدوّهم ، فَبَكوا وعانَق الرجالُ من الأوس والخَزْرج بعضُهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين

(١) عسا : أسن وولى .

(٢) ملأ القوم : أشرافهم ، وقيل : جماعتهم .

(٣) يوم بعاث : اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس .

(٤) رددناها الآن جذعة : أى رددنا الآخر إلى أوله .

(٥) النزغة : الإفساد بين الناس .

مُطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كَيْد عدوّ الله شأس بن قيس ، فأنزل الله تعالى في شأس ابن قيسٍ وما صنع (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(١)) .

وأنزل الله في المتقاولين ومن كان معهما من قومهما ، الذين صنعوا ما صنعوا عمّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(٢) » ، إلى قوله تعالى (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

ولما أسلم عبد الله بن سلام ، ومن أسلم من يهود معه ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهلِ الكفر منهم : ما آمن بمحمّد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم (لَيْسُوا سَوَاءً . مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(٣)) .

وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالاً من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

(١) سورة آل عمران : آية ٩٨ وما بعدها .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٠ وما بعدها .

(٣) سورة آل عمران : آية ١١٣ وما بعدها .

Marfat.com

بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ) أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم ( وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ[1] ) إلى آخر القصة .

ودخل أبو بكر الصدّيق بيت المِدراس[2] على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فِنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْر من أحبارهم ، يقال له : أَشْيع ، فقال أبو بكر لفِنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل ؛ فقال فنحاص لأبى بَكر : والله يا أبا بكر ، مابنا إلى الله من فَقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرّع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنّا عنه لأغنياء ، وما هو عنّا بغَنِىّ ، ولو كان عنّا غنيًّا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعمُ صاحبُكم ، يَنهاكم عن الرِّبا ويُعْطيناه ، ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرّبا . فغضب أبو بكر ، فضرب وَجْه فِنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذى نَفسى بيده ، لولا العهدُ الذى بَيْننا وبينكم ، لضَربتُ رأسَك أى عدوّ الله .

فذهب فِنحاص إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ! انظر ماصَنع بى صاحبُك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حَمَلك على ماصنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ! إن عدوّ الله قال قولاً عظيما ، إنه زَعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال ، وضَربتُ وجهَه ؛ فجَحد ذلك فنحاص، وقال:

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

(٢) بيت المدراس : هو البيت الذى يتدارس فيه اليهود كتابهم .

Marfat.com

ما قلتُ ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًّا عليه ، وتصديقاً لأبي بكر : ( لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١) ) .

ونزل في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب ( لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٢) ) . ثم قال فيما قال فنحاص والأحبارُ معه من يهود ( وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ . لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣) ) يعني فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة ، ويُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ؛ أن يقول الناس : علماء !! وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هُدًى ولا حقّ ، ويُحبون أن يقول الناس : قد فعلوا .

وكان بعض اليهود يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تُنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقرَ في ذَهابها ، ولا تُسارعوا في النَّفقة فإنكم لا تدرون علامَ يكون . فأنزل الله فيهم : ( الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) أي من التوراة ، التي فيها تصديق ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ( وَأَعْتَدْنَا

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨٧ وما بعدها.

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ[1] » إلى قوله: « وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً » .

وكان أحد عُظماء يهود ، إذا كلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَوى لسانه ، وقال : أرعنا سَمْعك يا محمد ، حتى نُفْهِمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه . فأنزل الله فيه : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا . مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً[2] ) .

وكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤساءَ من أحبار يهود ، فقال لهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمونَ أنّ الذى جئتكم به لَحقّ ، قالوا : ما نعرف ذلك يا محمّد ؛ فجحدوا ما عرفوا ، وأصرُّوا على الكفر . فأنزل الله تعالى فيهم ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً[3] ) .

وكان سائر الذين حزّبوا الأحزاب من قُريش وغطفان و بنى قُريظة من بنى النضير فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فسلوهم : أدينكم خير ، أم دينُ محمد ؟ فسألوهم ؛ فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدَى منه وممن اتبعه .

(١) سورة النساء : آية ٣٧ وما بعدها .

(٢) سورة النساء : آية ٤٤ وما بعدها .

(٣) سورة النساء : آية ٤٧ .



Marfat.com

فأنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ[١] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا[٢]﴾ .

وقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : يا محمد ! ما نعلم أنّ الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا[٣]﴾ .

ودخلت على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ جماعةٌ منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنّي رسولٌ من الله إليكم ؟ قالوا : مانعلمه ومانشهد عليه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا[٤]﴾ .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النَّضير يستعينهم في دِيَة العامريَّيْن اللذين قتل عمرُو بنُ أمية الضَّمْري ، فلما خلا بعضُهم ببعض، قالوا : لن تجدُوا محمدًا أقرب

(١) الجبت : السحر وما عبد من دون الله تبارك وتعالى . الطاغوت : الشيطان وكل ماأضل عن الحق .

(٢) سورة النساء : آية ٥١ وما بعدها .

(٣) سورة النساء : آية ١٦٣ وما بعدها .

(٤) سورة النساء : آية ١٦٦ .

Marfat.com

منه الآن ، فمَنْ رجلٌ يظهر على هذا البيت ، فيَطرح عليه صَخرة فيُريحنا منه ؟ فقال أحدهم : أنا ؛ فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومُه ( يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(١) ) .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء ، وبَحْرِيّ بن عمرو ، وشَأس بن عديّ ، فكلّموه وكلّمهم رسوُل الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله ، وحذّرهم نِقمته ؛ فقالوا : ما تخوّفنا يا محمد ! ! نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(٢) ) .

ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ، ورغّبهم فيه ، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبته ، فأبَوْا عليه وكفَروا بما جاءهم به، فقال لهم مُعاذ بن جَبل : يا معشرَ يهود ! اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مَبْعثه ، وتصِفونه لنا بصفته ، فقال وهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا قطُّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما ( يٰأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣) ) .

(١) سورة المائدة : آية ١١ .
(٢) سورة المائدة : آية ١٨ .
(٣) سورة المائدة : آية ١٩ .

Marfat.com

ثم قصّ عليهم خبَر موسى وما لقى منهم ، وانتقاضَهم[1] عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله ، حتى تاهُوا فى الأرض أربعين سنة عُقوبةً .

وحدث أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المِدْراس ، حين قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وقد زَنَى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحْصَنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فَسَلُوه كيف الحكم فيهما ، وولُّوه الحكم عليهما فإن عمل فيهما بعَملكم من التَّجْبيه — والتجبيه : الجلدُ بحبل من ليف مطلىّ بقار ، ثم تُسَوَّدُ وجوههما ، ثم يُحملان على حمارين ، وتُجعل وجوهُهما من قبل أدبار الحمارين — فاتَّبِعوه ، فإنما هو مَلِك ، وصدّقوه ، وإن هو حَكم فيهما بالرَّجْم فإنه نبىّ ، فاحذَروه على ما فى أيْديكم أن يَسْلبَكموه . فأتَوْه ، فقالوا : يا محمد ! هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد ولّيناك الحكم فيهما . فمشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارَهم فى بيت المِدْراس ، فقال: يا معشر يهود ! أخرجوا إلىّ علماءكم. فأخرَجوا له عَبد الله بن صُورِيا ، وأبا ياسر بن أخْطب ، ووهبَ بن يهوذا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا . فسألهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى حصّل أمرَهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِيا : هذا أعلم مَنْ بقى بالتوراة .

فخلا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاماً شابًّا من أحْدثهم سنًّا، فألظّ به[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول له : يابن صُورِيا ! أنْشُدك الله وأذكّرك بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلَم أن الله حكمَ فيمن زنى بعد إحصانه بالرَّجْم فى التوراة ؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبىٌّ مُرْسل ولكنّهم يحْسُدونك.

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهما فرُجِما عند باب مسجده ، ثم كفر بعد ذلك ابنُ صوريا ، وجَحد نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى فيهم :

---

(١) انتقاضهم : افتراقهم .

(٢) ألظ به : ألح عليه .

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ[١]) أى الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا ، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا[٢]) إلى آخر القصة .

وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما .

وقيل إنهم لما حكّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجلس حَبْر منهم يتلوها ، وقد وضع يدَه على آية الرجم ، فضرب عبد الله بن سلام يدَ الحبر ، ثم قال : هذه يا نبيّ الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم؟ فقالوا : أمَا والله إنه قد كان فينا يُعمل به ، حتى زَنَى رجل منّا بعد إحصانه ، من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فمنعه الملك من الرَّجم ، ثم زَنَى رجلٌ بعده ، فأراد أن يرجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلاناً ، فلمّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجبيه، وأماتوا ذِكْر الرَّجم والعمل به . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأنا أوّلُ من أحْيا أمْر الله وكتابَه وعَمل به . ثم أمَر بهما فرُجما عند باب مَسْجده ، فيمن رَجمهما .

أما الآيات من المائدة التى قال الله فيها (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[٣]) إنما أنزلت فى الدّية بين بنى النَّضير وبين بنى قُرَيظة ، وذلك أن قتلَى بنى النَّضير ، وكان لهم شرف ، يُؤدّون الدية كاملة ، وأن بنى قريظة كانوا يؤدّون

---

(١) سورة المائدة : آية ٤١ .

(٢) باقى الآية . والمقصود بما أتاهم : الرجم .

(٣) سورة المائدة : آية ٤٢ .

Marfat.com

نصف الدّية ، فتحا كموا فى ذلك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحقّ فى ذلك ، فجعل الديةَ سَواء .

وقال بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نَفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوْه فقالوا له : يا محمد ! إنك قد عرَفْت أنّا أحبارُ يهود وأشرافهُمْ وسادتُهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ولم يخالفونا ، وأنّ بيننا و بين بَعْض قومنا خُصومة ، أفنحا كمهم إليك فَتقْضىَ لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدّقك ؟ فأبَى ذلك رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، فأنزل الله فيهم (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[١]) .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ منهم ، فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ[٢]) فلما ذكر عيسى ابن مريمَ جحدوا نُبوّته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم (قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ[٣]) .

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نفر منهم فقالوا : يا محمد ! ألستَ تَزْعُم أنّكَ على ملّة إبراهيم ودينه ، وتُؤمن بما عِندنا من التّوراة ، وتَشْهد أنها من الله حقّ ؟ قال : بلى !

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٩ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة : آية ١٣٦ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥٩ .

Marfat.com

ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ اللهُ عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبيّنوه للناس ، فبرئتُ من إحداثكم ، قالوا : فإنّا نأخذ بما في أيدينا ، فإنّا على الهدى والحقّ ، ولا نؤمن بك ، ولا نتّبعك فأنزل الله تعالى فيهم ( قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(١) ) .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعضهم فقالوا له : يا محمد ! أما تعلم مع الله إلها غيرَه ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله لا إله إلا هو ، بذلك بُعثت ، وإلى ذلك أدعو ، فأنزل الله فيهم وفي قولهم ( قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٢) ) .

وكان رفاعة بن زيد ، وسُويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا ، فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما فأنزل الله تعالى فيهما ( يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) إلى قوله ( وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ(٣) ) .

وقالوا لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : يا محمد ! أخبِرْنا ، متى تقوم الساعة إن كنتَ

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٩ وما بعدها .

(٣) سورة المائدة : آية ٥٧ وما بعدها .

Marfat.com

نبيًا كما تقول ، فأنزل الله تعالى فيهما ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[١] ) .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعض اليهود فقالوا له : كيفَ نتبعك وقد تركت قِبلَتنا ، وأنت لا تزعم أن عُزيراً أبنُ الله ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهم ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[٢] ) ، إلى آخر القصة .

وأتى رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم لفيف منهم ، فقالوا : أحقٌ يامحمد أن هذا الذى جئتَ به لحقّ من عند الله ، فإنّا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسولُ الله رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به .

فقالوا عند ذلك : يا محمد ! أما يعلّمك هذا إنس ولا جنّ ؟ فقال لهم رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : أمَا والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وأنى لرسولُ الله ؛ تجدون ذلك مكتوباً عندكم فى التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ! فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ، ويقْدر منه على ماأراد ، فَأنزِلْ علينا كتابًا من السماء نقرؤه ونعْرفه ، وإلا جئناك بمثل ماتأتى به ، فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا ( قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا[٣] ) .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٧ . أيان مرساها : متى منتهاها . الحفى : البر المتعهد .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٠ يضاهون : يشاكل قولهم قول الذين كفروا .

(٣) سورة الإسراء : آية ٨٨ . الظهير : العون .

وقالوا لِعبدِ الله بن سلاَم حين أسلم : ما تكون النبوّة فى العرب ، ولكنّ صاحبك مَلِك ، ثم جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القَرْنين[1] ، فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، ممّا كان قصّ على قُريش ، وهم كانوا ممن أمَر قُريشًا أن يسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنه .

وأتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ! هذا الله خَلَق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِع[2] لونُه ، ثم ساوَرَهم[3] غَضبًا لربّه ، فجاءه جبريلُ عليه السلام فسكّنه، فقال: خفِّض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ[4]) .

فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِفْ لنا يا محمد كيف خَلْقه ، كيف ذراعه ، كيف عَضده ؟ فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساورهم ، فأتاه جبريلُ عليه السلام ، فقال له مثلَ ما قال له أوّل مرّة ، وجاءه من الله تعالى بجوَاب ما سألوه بقول الله تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[5]) .

عن أبى هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يقول : يُوشِك النّاس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلُهم : هذا الله خَلَق الخلق ، فمن خَلَق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ[6] . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . ثم ليتفُل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليَستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

(١) راجع ما ذكر عنه ص ١٠٩ ج ١ .
(٢) انتقع لونه : تغير .
(٣) ساورهم : واثبهم وباطشهم .
(٤) سورة الإخلاص كلها .
(٥) سورة الزمر : آية ٦٧ .
(٦) الصمد : الذى يفزع إليه .

Marfat.com

# أمر السيد والعاقب وذكر المباهلة

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفْدُ نَصارى نَجْرَانَ ، ستّون راكبًا ، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم ، في الأربعةَ عشرَ منهم ثلاثةُ نفر إليهم يئول أمرُهم : العاقب ، أميرُ القوم وذو رَأيهم ، وصاحب مَشُورتهم ، والذى لايُصْدرون إلا عن رأيه ، واسمُه عبد المسيح ؛ والسيّد ، ثِمالُهم[1] ، وصاحبُ رَحْلهم ومُجْتمعهم ، واسمُه الأيهم ؛ وأبو حارثة بن عَلْقمة ، أحدُ بنى بَكْر بن وائل ، أُسْقفّهم[2] وحَبْرهم وإمامهم، وصاحب مِدْرَاسِهِم .

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودَرس كتبهم ، حتى حَسُن علمه فى دينهم ، فكانت مُلوك الروم من النّصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخْدموه ، وبَنَوْا له الكنائس ، وبَسطوا عليه الكرامات ، لِمَا يَبْلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم .

فلما رجعوا إلى رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم من نَجْران ، جَلس أبو حارثة على بَغْلة له موجّهًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى جَنْبه أخٌ له ، فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال أخوه : تعَس الأبْعد ! يريد رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له أبو حارثة : بل أنت تعَسْتَ ! فقال : ولِمَ يا أخى ؟ قال : والله إنه للنبيّ الذى كنّا ننتظر ، فقال له أخوه : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرّفونا وموّلونا وأكْرمونا ، وقد أبَوْا إلا خِلافه ، فلو فعلتُ نَزَعوا منّا كلّ ما ترى . فأضمر عليها منه أخوه .

ولمّا قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدَخلوا عليه مَسْجده حين صلّى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَرات[3] ، جُبَب وأرْدية ، فى جَمَال رجال بنى الحارث بن كعب ،

---

(١) ثمال القوم : هو أصلهم الذى يقصدون إليه ، ويقوم بأمورهم وشئونهم .

(٢) الأسقف ( بتشديدالفاء وتخفيفها ) : عظيم النصارى .

(١) الحبرات : برود من برود اليمن ؛ الواحدة : حبرة .

Marfat.com

يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ صلى اللهُ عليهِ وَسلّمَ يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا فى مسجد رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وَسلم يصلّون ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوهم ؛ فصلَّوْا إلى المشرق .

فـكلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح والأيهم السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قولُ النصرانية .

فهم يحتجّون فى قولهم : « هُوَ اللهُ » بأنه كان يُحْيِي الموتى ، ويُبْرِئُ الأسقام ، ويُخبر بالغُيوب ، ويَخلُق من الطين كهيئة الطّير ، ثم يَنفُخ فيه فيـكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ( وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ) .

ويحتجّون فى قولهم « إنه ولد الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تـكلّم فى المهد ، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله .

ويحتجّون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كانَ واحداً ما قال إلا فعلتُ ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولـكنه هو وعيسى ومَرْيم ، ففى كلّ ذلك من قولهم قد نزل القرآن .

فلما كلّمه الحَبْران ، قال لهما رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : أسْلِما ، قالا : قد أسلمنا قال : إنـكما لم تُسلِما فأسْلِما ، قالا : بلى ! قد أسْلمنا قبلك ، قال : كذبتُما ، يَمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتُـكما الصليب ، وأكلُـكما الخنزير ، قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصَمت عنهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يُجبْهما .

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صَدْرَ سورة آل عِمْران الى بِضع وثمانين آية منها ، فقال جلّ وعزّ ( الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) . فافتتح السورة بتنزيه نفسه عمّا قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لاشريك له فيه ،

Marfat.com

ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجاً بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال ( أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) ليس معه غيره شريك فى أمره ( الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) الحىّ الذى لايموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم والقيّوم : القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لايزول ، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره ( نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ) أى بالصدق فيما اختلفوا فيه ( وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ) التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله ( وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ) أى الفصل بين الحقّ والباطل ، فيما اختلف فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيره ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ) أى أن الله منتقم ممّن كفر بآياته بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) أى قد علم ما يُريدون وما يَكيدون وما يُضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه إلهاً وربًّا ، وعندهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرةً بالله وكفراً به ( هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ) أى قد كان عيسى ممن صُوّر فى الأرحام لايدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُوِر غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل ؟

ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) العزيز فى انتصاره ممّن كفر به ، إذا شاء ، الحكيمُ فى حجّته وعُذره إلى عباده ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ) فيهنّ حجة الربّ وعِصْمة العباد ، ودَفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه ( وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ) لهنّ تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنّ العباد ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، ألا يُصْرَفن إلى الباطل ، ولا يُحرّفن عن الحق ، يقول عزّ وجلّ ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ) أى مَيل عن الهدى ( فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

Marfat.com

مِنهُ ) أى ما تصرّف منه ؛ ليصدّقوا به ما ابتدعوا وَأحدَثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شُبهة ( ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ) أى اللبس ( وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ) ذلك على ما رَكِبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا ، يقول ( وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ) أى الذى به أرادوا ما أرادوا ( إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ) فكيف يختلف وهو قولٌ واحد من ربّ واحد ؟ ؟

ثم ردّوا تأويل المُتَشابه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وَصدّق بعضُه بعضاً ، فنفذت به الُحجّة وظهر به العذر ، وَزاح به الباطل وَدُمغ به الكفر ، يقول الله تعالى فى مثل هذا ( وَمَا يَذَّكَّرُ ) فى مثل هذا ( إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ . رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ) أى لا تُمل قلوبَنا و إن مِلنا بأحداثنا ( وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ) ثم قال ( شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ) بخلاف ماقالوا ( قَائِمًا بِالْقِسْطِ ) أى بالعدل فيما يريد ( لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلاَمُ ) أى ما أنت عليه يا محمد : التوحيدُ للربّ والتصديق للرسل ( وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ ) أى الذى جاءك ، أى أن الله الواحد الذى ليس له شريك ( بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ ) أى بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا مافيها من الحق ( فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ ) أى وحده ( وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ) الذين لا كتاب لهم ( ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ) .

ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعُوا ، من اليهود والنصارى ، فقال ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ) إلى قوله ( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ) أى ربّ العباد ،

Marfat.com

والملك الذى لايقضى فيهم غيره (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ) أى لا إله غيرك (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى لايقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) بتلك القدرة (وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لايقدر على ذلك غيرك ولايصنعه إلا أنت: أى فإن كنتُ سلطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والخلق للطير من الطين، والإخبار عن الغيوب، لأجعله به آيةً للناس، وتصديقاً له فى نبوّته التى بعثته بها إلى قومه، فإن من سلطانى وقدرتى مالم أعطه تمليكَ الملوك بأمر النبوّة، ووضعها حيث شئت، وإيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل، وإخراج الحىّ من الميت وإخراج الميت من الحىّ، ورزق من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب؛ فكلّ ذلك لم أسلّط عيسى عليه، ولم أملّكه إياه، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبيّنة! أن لو كان إلهاً كان ذلك كله إليه، وهو فى علمهم يهرُب من الملوك، وينتقل منهم فى البلاد، من بلد إلى بلد.

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم، ثم قال (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) أى إن كان هذا من قولكم حقًّا، حبًّا لله وتعظيماً له (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أى مامضى من كفركم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أى على كفرهم (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ).

ثم استقبل لهم أمرَ عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ثم ذكر أمر امرأة عمران وقولها (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) أى نذرته فجعلته عتيقاً، تعبُّده لله، لا ينتفع به لشىء من الدنيا

Marfat.com

(فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى) أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محررة لك نذيرة (وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) يقول الله تبارك وتعالى (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) بعد أبيها وأمها .

فذكّرها باليُتم، ثم قصّ خبرَها وخبر زكريا ، ومادعا به ، وما أعطاه ، إذ وهب له يحيىَ ، ثم ذكر مريم ، وقولَ الملائكة لها (يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَامَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ) يقول الله عزّ وجلّ (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) أى ما كنت معهم (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ[(١)] أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) .

كفلها هاهنا جُرَيج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجّار ، خرج السهمُ عليه بحَمْلها فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيلَ أزمةٌ شديدة ، فعجز زكريا عن حَملها ، فاستهموا عليها أيّهم يكفُلها ، فخرجَ السهمُ على جُرَيج الراهب بكُفولها فكفلها (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها ، يُخبره بخَفِىّ ما كتموا منه من العِلم عندهم، لتحقيق نبوّته ، والحجّة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) أى هكذا كان أمره لا كما تقولون فيه (وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أى عند الله (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عُمره ، كتقلّب بنى آدم فى أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه بالكلام فى مَهْده آيةً لنبوّته ، وتعريفاً للعباد بمواقع قُدرته (قَالَتْ

(١) أقلامهم : قداحهم .

Marfat.com

رَبِّ ! أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ؟ قَالَ : كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) أى يصنع ما أراد ، ويخلق مايشاء من بشر أوغير بشر (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) مما يشاء وكيف شاء (فَيَكُونُ) كما أراد .

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ) التى كانت فيهم من عهد موسى قبله (وَالْإِنْجِيلَ) كتابًا آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره . أنه كائن من الأنبياء بعده (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أى يحقق بها نبوتى ، أنى رسول منه إليكم (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) الذى بعثنى إليكم ، وهو ربى وربكم (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ[1] وَالْأَبْرَصَ، وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) أنى رسول من الله إليكم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ) أى لما سبقنى منها (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) أى أخبركم به أنه كان عليكم حرامًا فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفًا عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته[2] (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) ، أى تبريًا من الذى يقولون فيه ، واحتجاجًا لربه عليهم (فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أى هذا الذى قد حملتكم عليه ، وجئتكم به (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ) والعدوان عليه (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ) هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم (وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه

---

(١) الأكمه : الذى يولد أعمى .

(٢) التباعات : جمع تباعة ( بالكسر ) وهى التبعة والظلامة .

Marfat.com

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أى هكذا كان قولهم وإيمانهم :

ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهّره منهم ، فقال ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إذ همّوا منك بما همّوا ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى وعمّا اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبرًا غيره ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ ﴾ فاستمع ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أى ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ أى قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمترينّ فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحمًا ودمًا ، وشعرًا وبشرًا ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى ﴿ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ من أمره ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فدعاهم إلى النّصف ، وقطع عنهم الحجّة .



Marfat.com

فلما أتى رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم الخبرُ من الله عنه ، والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أُمر به من مُلاعنتهم إن ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : ياأبا القاسم ! دَعْنا ننظُر فى أمرنا ، ثم نأْتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتَنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خلَوْا بالعاقبِ ، وكان ذا رَأْيهم ، فقالوا : ياعبدَ المسيح ! ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرَفتم أن محمدًا لنبيٌّ مُرْسل ، ولقد جاءكم بالفَصل من خبَر صاحبكم ، ولقد علِمتم ما لاعَن قومٌ نبيًّا قطُّ فبَقى كبيرُهم ، ولا نَبت صغيرُهم ، وإنه للاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم . فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ! قد رأينا ألاّ نُلاعِنَك وأن نَتْركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترْضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضاً .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائْتونى العشيَّةَ أبعثْ معكم القوىَّ الأمين .

قال عمرُ بن الخطاب :

ما أحببت الإمارةَ قطُّ حبِّى إياها يومئذٍ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّراً ، فلما صلّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلّم ، ثم نظر عن يمينه وعن يَساره ، فجعلت أتَطاول له ليَرانى ، فلم يزَلْ يلتمس ببَصره حتى رأى أبا عُبيدة ابن الجرّاح ، فدعاه فقال : اُخرُج معهم ، فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه ، فذهب بها أبو عُبيدة .

## نبذ من ذكر المنافقين

وقَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينَة ، وسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أُبىّ ابن سَلول العَوْفى ، لا يختلف عليه فى شرَفه من قومه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ، ومعه فى الأوس

Marfat.com

رجلٌ، هو فى قومه من الأوس شريفٌ مُطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفى ، وكان قد ترهّب فى الجاهليّة ولَبِس المُسوح ، وكان يُقال له الراهب . فشَقِيا بشَرفهما وضَرَّهما .

فأما عبد الله بنُ أُبىّ فكان قومُه قد نَظَموا له الخرز ليتوّجوه ثم يملّكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما انصرف قومُه عنه إلى الإسلام ضَغِن ، ورأى أنّ رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم قد استَلبه مُلْكاً ، فلما رأى قومَه قد أبَوْا إلا الإسلام دخلَ فيه كارهاً مُصِرًّا على نفاق وضِغْن .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفْر والفراقَ لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببِضْعة عشر رجلا مفارقًا للإسلام ولرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَّ : لا تقولوا الرّاهب ، ولكن قولوا الفاسق .

وقيل إن أبا عامر أتى رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم حين قَدِم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ما هذا الدّين الذى جِئْتَ به ؟ فقال : جئتُ بالحنيفية دينِ إبراهيم ، قال : فأنا عليها ؛ فقال له رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ : إنك لستَ عليها ، قال : بلى ! إنك أدخلتَ يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها ؛ قال : ما فعلتُ ؛ ولكنى جئت بها بيضاء نقيّة ؛ قال : الكاذبُ أماته اللهُ طريداً غريباً وحيداً ، يعرّض برسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم ، أى أنك جئتَ بها كذلك ، قال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ : أجل ! فمن كذب فَفعل الله تعالى ذلك به ، فكان هو ذلك عدوّ الله خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم مكة ، خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهلُ الطائف لحق بالشام ، فمات بها طريداً غريبًا وحيداً .

وأما عبدُ الله بن أبىّ فأقام على شرفه فى قومه متردّداً ، حتى غلبه الإسلامُ فدخل فيه كارهًا .

Marfat.com

حدّث أُسامة بن زَيد بن حارثة ، حِبّ[1] رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، قال : ركب رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى سَعْد بن عُبادة يعوده من شَكْوٍ أصابَه ، على حمار عليه إكاف[2] ، فوقه قَطِيفة فَدَكِيّة[3] مُخْتَطِمة[4] بحبل من ليف ، وأَرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَه ، فمرّ بعبد الله بن أُبىّ ، وهو فى ظِلّ أُطُمِ[5] بنى مزاحم وحوله رجالٌ من قومه ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَذَمَّمَ[6] من أن يُجَاوِزَه حتى ينزل ، فنزل فسلّم ثم جلس قليلا ، فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجل ، وذكّر بالله ، وحذّر ، وبشّر وأَنْذَر ، وهو زامٌّ[7] لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ من مَقالته ، قال : يا هذا ! إنه لا أحْسَن من حديثك هذا إن كان حقا ، فاجلس فى بَيْتك فمن جاءك له فحدّثه إياه ، ومن لم يأتك فلا تَغُتّه[8] به ، ولا تَأْته فى مجلسه بما يَكره منه .

فقال عبدُ الله بن رَواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلَى ! فاغشَنا به وائتنا فى مجالسنا ودُورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نحبّ ، ومما أكرمنا الله به ، وهدانا له .

فقال عبدُ الله بن أُبىّ ، حين رأى من خلافِ قومه ما رأى :

متى ما يَكُنْ مَوْلاك خَصْمُك لا تزل تَذِلّ وَيَصْرَعْك الذين تُصَارِعُ
وهل يَنْهض البازى بغير جَناحه وإن جُذّ يومًا ريشُه فهو واقع[9]

---

(١) الحب : المحبوب .

(٢) الإكاف : البرذعة بأداتها .

(٣) فدكية : منسوبة إلى فدك ، وهى قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

(٤) الاختطام : أن يجعل على رأس الدابة وأنفها حبل تمسك به .

(٥) الأطم : الحصن .

(٦) تذمم : استنكف واستحيا .

(٧) زام : ساكت .

(٨) لاتغته : أى لا تثقل عليه ولا تكده .

(٩) يقال إن هذين البيتين لخفاف بن ندبة ، وقالهما ابن أبى مستشهدا .

Marfat.com

وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سَعْد بن عُبادة ، وفى وجهه ما قال عدوّ الله ابن أُبيّ ، فقال : والله يا رسول الله إنى لأرى فى وَجْهك شيئاً ، لكأنك سَمِعْتَ شيئا تكرهه ؛ قال : أجل ، ثم أخبره بما قال ابنُ أُبيّ : فقال سعدٌ : يا رسولَ الله ! ارفقْ به . فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنْظِمُ له الخرز لنتوّجه ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكا .

## تاريخ الهجرة

قَدِم رسُول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، حين اشتدّ الضحاء ، وكادت الشمسُ تَعْتَدل ، لِاثْنَتى عشرة ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأول ، وهو التاريخ .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابنُ ثلاث وخَمْسِين سنة ، وذلك بعد أن بَعثه الله عزّ وجلّ بثلاثَ عشرة سنةً ، فأقام بها بقيّة شهر ربيع الأوّل ، وشهرَ ربيع الآخر ، وجمادَيَيْنِ ، ورجبا ، وشعبان ، وشهرَ رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ــ وولى تلك الحجّةَ المشركون ــ والمحرّمَ ، ثم خرج غازيًا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مَقدمه المدينة .

واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة .

## ذكر من اعتلّ من أصحاب رسول الله
## صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضى الله عنها :

لما قَدم رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم المدينة ، قدِمها وهى أَوْبَأ أرضِ الله من الحُمّى ، فأصاب أصحابَه منها بلاءٌ وسُقْم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه صلى اللهُ عليه وسلم .

فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وبلال، مَوليا أبي بكر مع أبي بكر، في بيت واحد، فأصابتهم الحمّى، فدخلتُ عليهم أعُودهم، وذلك قبل أن يُضرب علينا الحِجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدّة الوَعْك[1]، فدنوتُ من أبي بكر، فقلتُ له: كيف تجِدُك يا أبت؟ فقال:

كلُّ امرىءٍ مُصَبَّحٌ في أهْله    والموتُ أدْنى من شِرَاكِ نَعْلِه[2]

فقلت: والله ما يدرى أبي ما يقول. ثم دنوتُ إلى عامر بن فُهَيْرَةَ، فقلت له: كيف تجِدُك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقه    إن الجَبان حتفُه من فَوْقه
كل امرىءٍ مجاهد بطَوْقه    كالثور يَحْمى جِلْده بِرَوْقه[3]

فقلت: والله ما يدرى عامر ما يقول، وكان بِلَال إذا تركَتْه الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عَقيرته فقال:

ألا ليت شِعْرى هل أبيتَنَّ ليلةً    بفخٍ وحَوْلى إذخِرٌ وجليل[4]
وهل أرِدَنْ يومًا مياه مَجَنَّةٍ    وهل يَبْدُوَنْ لِي شامةٌ وطَفِيل[5]

فذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعتُ منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُون وما يَعْقِلون من شدّة الحمّى، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبتَ إلينا مكة أو أشدّ، وبارك لنا في مُدّها وصاعها[6]، وانقُل وباءها إلى مَهْيَعة[7].

---

(١) الوعك: شدة ألم المرض.

(٢) هذا البيت لعمرو بن مامة.

(٣) الروق: القرن.

(٤) فخ: موضع خارج مكة. والإذخر: نبات طيب الرائحة. والجليل: الثمام.

(٥) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية، وهي بأسفل مكة. شامة وطفيل: جبلان بمكة.

(٦) يعني الطعام الذي يكال بالمد وبالصاع.

(٧) مهيعة: قريب من الجحفة، وهي ميقات أهل الشام.

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاصى :

أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما قَدِم المدينة هو وأصحابُه ، أصابتهم حمّى المدينة ، حتى جَهدوا مرضًا ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا مايُصلون إلا وهُم قعود ، فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك ، فقال لهم : اعلموا أن صلاةَ القاعد على النِّصف من صلاة القائم ، فتجشّم المسلمون القيامَ عَلَى مابهم من الضُّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل .

• • •

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تهيّأ لحربه ، قام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه ، وقتال مَنْ أمَره الله به ممّن يَليه من المشركين ـ مُشْركى العرب ـ وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

## غزوة ودان

### وهى أول غزواته عليه السلام

ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة حتى بلغ وَدّانَ[١] وهى غزوة الأبْواء[٢] ، يريد قريشاً وبنى ضَمْرة ، فوادَعته فيها بنو ضَمْرة . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقيةَ صفر وصدرا من شهر ربيع الأوّل وهى أوّل غَزْوة غزاها ؛

---

(١) ودان : قرية جامعة من أمهات القرىّ يقطعها المصعدون من حجاج المدينة .

(٢) الأبواء : قرية بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .

Marfat.com

## سرية عبيدة بن الحارث

## وهى أول راية عقدها عليه السلام

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى مُقامه ذلك بالمدينة ، عُبَيْدَةَ بن الحارث فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ، بأسفل ثنية المُرّة ، فلقى بها جمعاً عظيما من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقّاص قد رُمى يومئذ بسَهم ، فكان أوّلَ سهم رُمى به فى الإسلام .

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفرّ من المُشركين إلى المسلمين المِقْدَادُ بن عمرو البَهْرَانى ، وعُتْبَة بن غَزْوان ، وكانا مُسْلِمين ، ولكنهما خرجا ليتوصّلا بالكفّار[1] ، وكان على القوم عِكْرِمةُ بن أبى جَهْل .

فكانت رايةُ عُبيدة بن الحارث أولَ راية عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام لأحد من المسلمين . وبعضُ العلماء يزعُم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء ، قبل أن يَصِل إلى المدينة .

## سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث فى مَقامه ذلك ، حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سِيف البَحْر من ناحية العِيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل ابن هِشام بذلك الساحل فى ثلاث مائة راكبٍ من أهل مكة . فحجز بينهم مَجْدِىّ

---

(١) ليتوصلا بالكفار : أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

ابن عمرو الجُهَنِىّ ، وكان مُوادِعا للفريقين جميعاً ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتالٌ .

## غزوة بواط

ثم غزا رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة السائبَ بن عُثمان بن مَظعون ، حتى بلغ بُوَاط[1] ، من ناحية رَضْوى ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يَلق كيداً ، فلبِث بها بقيةَ شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى .

## غزوة العشيرة

ثم غزا قريشاً ، فاستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد ، وسار إلى أن نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع فأقام بها جُمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة ، ووَادع فيها بنى مُدْلِج وحُلفاءهم من بنى ضَمْرة ، ثم رَجَع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً .

عن عمّار بن ياسر ، قال :

كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غَزْوة العُشَيْرة ، فلما نزلها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناساً من بنى مُدْلج يَعملون فى عين لهم وفى نخل ، فقال لى علىّ بن أبى طالب : يا أبا اليقظان ! هل لك فى أن نَأْتى هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قلت : إن شئت ، فجئناهم ، فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً ، ثم غَشِيَنا النومُ ، فانطلقتُ أنا وعلىّ حتى اضطجعنا فى صُور[2] من النخل ، وفى دَقْعاء[3] من التراب فنمنا ، فوالله ما أَهَبَّنا[4] إلا رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم

(١) بواط ( بفتح الموحدة وضمها ) : جبل من جبال جهينة ، بقرب ينبع .

(٢) صور النخل : صغاره .

(٣) الدقعاء : التراب اللين .

(٤) أهبنا : أيقظنا .

Marfat.com

يُحرِّكنا برِجْله ، وقد تَترّبنا من تلك الدّقْعاء التى نِمْنا فيها ، فيومئذ قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : ما لَكَ يا أبا تُراب ! لما يرى عليه من التراب ثم قال : ألا أحدّثـكما بأشقى الناس رَجُلَيْن ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : أُحَيْمر ثمود[١] الذى عقَر الناقة ، والذى يَضْربك يا علىّ عَلَى هذه ـ ووضع يده عَلَى قَرْنه ـ حتى يَبُلّ منها هذه ، وأخذ بِلحيته .

وقيل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما سمّى عليًّا أبا تراب أنهُ كان إذا عتب عَلَى فاطمة فى شىء لم يكلّمها ، ولم يَقُل لها شيئا تـكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه ، فـكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب ، عرف أنه عاتبٌ على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟

## سرية سعد بن أبى وقاص

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَعْد بن أبى وقّاص فى ثمـانية رَهْط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً[٢] .

## غزوة سفوان

### وهى غزوة بدر الأولى

ولم يُقِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قَدِم من غَزْوة الْعُشَيْرة إلا ليالى قلائل ، لاتبلُغ العشر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفهْرى على سَرْح[٣] المدينة ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة . حتى بلغ

(١) أحيمر ثمود : هو الذى عقر ناقة صالح .

(٢) ذكر بعض المؤرخين أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة .

(٣) السرح : الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة .

وادياً ، يقال له سَفْوان ، من ناحية بدر ، وفاته كُرْزُ بن جابر فلم يُدْركه ، وهى غزوةُ بدر الأولى . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقيةَ جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

## سرية عبد الله بن جحش

## ونزول ( يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ )

وبعثَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم عبدَ الله بن جَحْش فى رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعثَ معه ثمانية رَهْط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسيرَ يومين ثم ينظر فيه ، فيَمْضى لما أمره به ، ولا يَسْتكره من أصحابه أحداً .

فلما سار عبدُ الله بن جَحْش يومين فتح الكتاب فنظر فيه ، فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخْلة بين مكة والطائف ، فترصّدْ بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جَحْش فى الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخْلة ، أرصُد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلْينْطلق ، ومن كره ذلك فليَرْجع ، فأمّا أنا فماضٍ لأمرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابهُ ، لم يتخلّف عنه منهم أحد .

وسَلكَ على الحجاز ، حتى إذا كان بموضع يقال له : بحران ، أضلّ سعدُ بن أبى وقاص ، وعُتْبة بن غزْوان بعيرًا لهما ، كان يَعْتقبانه ، فتخلّفا عليه فى طلبه ، ومَضى عبدُ الله بن جحش وبقيةُ أصحابه حتى نزلَ بنخلْة ، فمرّت به عيرٌ لقريش تحْمِل زبيباً وأدَمًا[1] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمى .

---

(١) الأدم : الجلد .

Marfat.com

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن مِحْصَن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عُمَّار !! لا بأس عليكم منهم .

وتشاور المسلمون فيهم — وذلك فى آخر يوم من رجب — فقال القومُ : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلةَ ليدخُلنَّ الحرم ، فليمتنعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم فى الشهر الحرام .

فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدَروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم . فرمى واقدُ بن عبد الله التميمى عمرو بنَ الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمانَ بن عبد الله ، والحكَم بن كَيْسان ، وأفلتَ القومَ نوفلُ بنُ عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبدُ الله بنُ جَحش وأصحابُه بالعِير وبالأسيرين ، حتى قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ بعد أن عزل لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خمس العير[1] ، وقسّم سائرها بين أصحابه .

فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قال : ما أمرتُكم بقِتال فى الشهر الحرام ، فوقّف العِير والأسيرين ، وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئاً .

فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سُقِطَ فى أيدى القوم ، وظنّوا أنهم قد هلكوا ؛ وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال ، فقال من يردّ عليهم من المسلمين ، ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود — تفاءلُ بذلك على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم — عمرو بن الحضرمى ،

(١) حدث هذا قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم لله ورسوله ، وأربعة أخماسه لمن أفاءه الله .

Marfat.com

قتله واقدُ بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحربُ ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب ، فجعل الله ذلك عليهم لالهم .

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، قِتَالٍ فِيهِ ؟ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ[1]) أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منه (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أى قد كانوا يفتنون المُسلم فى دينه ، حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبرُ عند الله من القتل (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غيرَ تائبين ولا نازعين .

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق[2] ، قبض رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم العِيرَ والأسيرَين .

وبعثت إليه قريشٌ فى فِداء عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا نُفْديكموهما حتى يقدَم صاحبانا — يعنى سعدَ بن أبى وقاص وعُتبة ابن غزْوان — فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتلْ صاحبَيكم ، فقدِمَ سعد وعُتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر مَعونة شهيدًا ، وأما عثمان بن عبد الله فلحِق بمكة ، فمات بها كافرًا .

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمِعوا

---

(١) سورة البقرة : من آية ٢١٧ .

(٢) الشفق : الخوف .

Marfat.com

فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله ! أنطمع ، أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فى سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[1] ) فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء .

## صرف القبلة إلى الكعبة

وفى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صرفت القبلة ، إذ كان صلى اللهُ عليه وسلم يصلى إلى صخرة بيت المقدس قبل أن تحوّل إلى الكعبة .

## غزوة بدر الكبرى

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حَرْبٍ مقبلا من الشأم فى عِير لقُريش عظيمةٍ ، فيها أموال لقريش ، وتجارةٌ من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، فندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عِيرُ قُريش ، فيها أموالهم ، فاخْرُجوا إليها لعلّ الله يُنفِلُكموها .

فانتدب الناسُ ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنّوا أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يلْقى حَرْبًا ؛ وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبارَ ، ويسأل مَنْ لَقِى من الرُّكبان ، تخوُّفًا على أمْر الناس ، حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان أن محمدًا قد استَنفر أصحابه لك ولعِيرك ، فحذِر عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَم ابن عَمْرو الغِفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أنْ يأتِىَ قُرَيشًا فيستنفرَهم إلى أموالهم ،

---

(٣) سورة البقرة : آية ٢١٨ .

Marfat.com

ويُخبرهم أنّ محمّدًا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضَمْضَم بن عَمرو سريعاً إلى مكة إلى أن وصلها فأخذ يصْرخ ببَطْن الوادى واقفاً على بعيره ، وقد جدّع أنفه وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يامعشر قُريش ، اللّطيمة !! اللّطيمةَ[1] !! أموالُكم مع أبي سفيان قد عرَضَ لها محمد في أصحابه ، لاأرى أن تُدْركوها ، الغَوْثَ الغوْثَ !!

فتجهّز الناسُ سراعًا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعِير ابن الحضْرَمِي ؟ ! كلاّ وَالله ليعلمنّ غيرَ ذلك .

فكانوا بين رجلَيْن ، إما خارجٍ وإما باعثٍ مكانه رجلاً ، وأوْعَبت[2] قريشٌ ، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، وبعث مكانه العاصيَ بن هشام بن المُغيرة ، وكان قد لاط[3] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأْجره بها ، على أن يُجْزِئ عنه ، بعثَه فخرج عنه ، وتخلّف أبو لهب .

وكذلك أُمية بن خَلَف كان أجمع القُعودَ ، وكان شيخاً جليلاً جَسِيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبي مُعَيط ، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومه ، بِمِجْمَرة يحملها ، فيها نار وَمِجْمَر[4] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ! استَجْمر ، فإنما أنت من النساء ! قال : قبّحَك الله وقبّح ما جِئْتَ به ، ثم تجهّز فخرج مع الناس .

ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسيرَ ، ذكروا ما كان بينهم وبين بَني بَكر من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا ، وكاد ذلك يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن مالك ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جارٌ من أن تأتيَكم كِنانةُ من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

---

(١) اللطيمة : الإبل التي تحمل البر والطيب .

(٢) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو .

(٣) لاط : احتبس وامتسك .

(٤) المجمر : العود يتبخر به .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَ في ليال مضت من شهر رمضان[1]، في أصحابه ، واستعمل عمرو بن أم مَكتوم على الصلاة بالناس ، ثم ردَّ أبا لُبابة من الرَّوحاء ، واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمير .

وكان أمامَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم رايتان سَوْداوان ؛ إحداهما مع علىّ بن أبي طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

وكانت إبل أصحاب رَسُول اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلمَ يومئذ سبعين بعيرا ، فاعتقبوها ، فكان رسولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، وعلىّ بن أبي طالب ، ومَرْثَد بن أبي مَرْثد الغَنَوى يَعْتَقِبون بعيراً ، وكان حمزةُ بن عبد المطلب ، وزَيْد بن حارثة ، وأبو كَبْشَة ، وأنَسَة ، مواليا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَعْتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمرُ ، وعبد الرحمن بن عَوْف يَعْتَقبون بعيرًا .

وجعل على السّاقة قَيْسَ بنَ أبي صَعْصعة ، وكانت رايةُ الأنصار معَ سَعْد بن مُعاذ ، فسلك طريقَه من المدينة إلى مكة ، حتى إذا كانوا بموضع يقال له عرق الظَّبْيَة ـ لقُوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبرًا ، فقال له الناس : سلّمْ على رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أوَفيكم رسولُ الله ؟ قالوا : نعم ! فسلَّمَ عليه ، فقال : إن كنتَ رسولَ الله فأخبرنى عمّا فى بَطْن ناقتى هذه ؛ قال له سَلَمة بن سلامة : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبِل علىّ فأنا أُخبرك عن ذلك ، نزوتَ عليها ، ففى بطْنها منك سَخْلة[2] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ ! أفحشت على الرجل ، ثم أعرض عن سَلَمة .

وأتاه الخبرُ عن قُريش بمَسيرهم ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار الناسَ ، وأخْبَرهم عن قريش ،

---

(١) وقيل إن خروجه صلى الله عليه وسلم كان لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان ؛ كما قيل إن خروجه كان يوم السبت .

(٢) السخلة . الصغيرة من الضأن .

فقام أبو بكر الصدّيق ، فقال وأحسن . ثم قام عمرُ بن الخطّاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المِقْداد بن عمرو فقال : يارسول الله ! امض لمـا أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ( اذْهَبْ أنتَ وربُّكَ فقَاتِلاَ إنَّا هَاهُنا قَاعِدُونَ ) ولـكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرْت بنا إلى بَرْك الغِماد(١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلُغه ، فقال له رسُول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ، ودعا له به .

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أشِيروا علىّ أيّها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عددُ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعَقبة ، قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذِمامك حتى تَصِل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا ، فأنت فى ذمّتنا ، نمنعك ممّا نمنع منـه أبناءنا ونساءنا .

فـكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يتخوّف ألا تـكون الأنصار ترى عليها نَصْرَه إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدوّ من بلادهم . فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعدُ بن مُعاذ : والله لـكأنك تريدُنا يا رسولَ الله ؟ قال : أجل ؛ قال فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشَهِدنا أن ما جئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودَنا ومَواثيقنا ، على السّمع والطاعة ، فامضِ يا رسول الله لمـا أردتَ ، فنحن معك ، فوالذى بَعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنـا عدوّنا غدًا ، إنا لَصُبُرٌ فى الحَرْب ، صُدُق فى اللقاء ، لعل الله يُريك منّا ماتقرُّ به عيْنُك . فسِرْ بنا على بَرَكة الله . فسُرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقول سَعْد ، ونَشّطه ذلك ، ثم قال : سيرُوا وأبْشروا ، فإن الله تعالى قد وَعدنى إحدى الطائفتين ، والله لـكأنى الآن أنظرُ إلى مَصارع القوم

(١) برك الغماد : موضع بناحية اليمن ؛ وقيل : هو أقصى حجر .



Marfat.com

ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل قريباً من بَدْر ، فركب هو ورجل من أصحابه(١) ، حتى وقف على شَيْخ من العَرب ، فسأله عن قُريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تُخبرانى ممن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ؛ قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صَدَق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى فيه قُريش ؛ فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه ، والشيخ يقول : ما من ماء ! أمن ماء العراق ؟

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعثَ علىَّ بن أبى طالب ، والزبيرَ بن العوّام ، وسعدَ بن أبى وقّاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبرَ له عليه ، فأصابوا راويةً(٢) لقُريش فيها أسْلَم ، غلامُ بنى الحجّاج ، وعَريضٌ أبو يَسار ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما فسألوهما ، ورسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلّى ، فقالا : نحن سُقاة قُريش ، بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكَرِه القومُ خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان ، فضَربوهما . فلما أذْلَقوهُما(٣) قالا : نحن لأبى سفيان ؛ فتركوهما . ورَكع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجَد سَجْدتيه ، ثم سلّم ، وقال : إذا صدقا كم ضَرَبْتُموهما ، وإذا كذبا كم تَركتُموهما ، صَدَقا والله إنهما لقريش ! أخبرانى عن قُريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة

---

(١) يروى أن هذا الرجل هو أبو بكر الصديق .

(٢) الراوية : الإبل التى يستق عليها الماء .

(٣) أذلقوهما : بالغوا فى ضربهما .

القصْوى ، فقال لهما رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال ما عِدّتُهم ؟ قالا : لا نَدْرى ؛ قال : كَمْ يَنحرون كلَّ يوم ؟ قالا : يوما تسعاً ، ويوما عشرا ؛ فقال رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : القومُ فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمَنْ فيهم من أشراف قُريش ؟ فذكرا له خمسة عشر اسما ، فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكةُ قد ألقت إليكم أفلاذَ[1] كَبِدها . ١

وأقبل أبو سفيان بن حَرْب ، حتى تقدّم العِير حذرًا ، حتى ورد الماء ، فقال لقائده: هل أحسست أحداً ؟ فقال : مارأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيتُ راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما ، فأخذ من أبْعار بعيريهما ، ففتّه ، فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرب ! فرجَع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وَجْهَ عِيره عن الطريقِ ، فساحَل[2] بها ، وترك بدرًا بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قُريش : إنكم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيرَكم ورِجالَكم وأموالَكم ، فقدْ نجّاها الله ، فارجِعوا ؛ فقال أبو جهل بن هِشام : والله لا نَرْجع حتى نَرِد بدراً - وكان بدر موسِما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سُوق كلَّ عام - فنقيم عليه ثلاثًا ، فننحَرُ الجُزُر ، ونُطْعم الطعام ، ونُسْقَى الخمر ، وتَعْزف علينا القيان ، وتسمع بنا العربُ وبمَسيرِنا وجَمْعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا .

ومضت قريش ، حتى نزلوا الكثيب الذى خلفه قُريش ، والقُلُب[3] ببدر فى العُدْوة الدنيا من بَطْن يَليل إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسًا[4] ، فأصاب

(١) الأفلاذ : القطع ، الواحدة : فلذة .
(٢) ساحل بها ، أى أخذ بها جهة الساحل .
(٣) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .
(٤) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .

Marfat.com

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم من السير، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقدِروا عَلَى أن يرتحلوا معه . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بَدْر نزل به .

فسأله الُحباب بن الُمنذر بن الجموح : يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ! فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالنّاس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فَننزله ، ثم نُغَوِّر(١) ما وراءه من القُلُب ثم نبنى عليه حوضاً فَنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فَنَشْرَب ولا يشربون ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى .

فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نَزَل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغوِّرت ، وبنى حَوْضا على القَليب الذى نزل عليه ، فمُلِىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وعند ما انتهوا من عملهم قال له سعد بنُ معاذ : يا نبى الله ! ألا نَبنى لك عريشًا(٢) تكُون فيه ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقى عدوّنا ؟ فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى ، جلستَ على رَكائبك ، فَلحِقتَ بمَنْ وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ، يا نبىّ الله ، ما نحنُ بأشدّ لك حبًا منهم ، ولو ظَنُّوا أنك تلقى حربًا ما تخلَّفوا عنك ، يمنَعُك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك . فأثنى عليه رسولُ الله صلى الله عليه سلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم بُنِىَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم عَريش ، فكان فيه .

هذا ، وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ فأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه

(١) التغوير : الدفن والطمس والإفساد .
(٢) العريش : شبه الخيمة يستظل به .

Marfat.com

وسلم تصوّب من العقنقل ـ وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى ـ قال : اللهم هذه قريشٌ قد أقبلت بخُيلائها[١] وفخرها ، تُحادّك[٢] وتكذّبُ رسولَك ، اللهم فنصرَك الذى وعدتنى ، اللهم أحِنهم[٣] الغداةَ .

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر ـ إن يكن فى أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعُوه يرْشُدُوا .

وقد كان خُفاف بن أيْماء ، بعث إلى قريش ، حين مرُّوا به أبنا له بجزائر[٤] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نُمدكم بسلاح ورجال فعلنا ، فأرسَلُوا إليه مع ابنه : إن وَصَلَتك رحِم ، قد قضيتَ الذى عليك ، فلَعَمْرى لئن كنا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم ، ولئن كنّا إنما نُقاتل الله ، كما يزعم محمدٌ ، فما لأحد بالله من طاقة .

ولما اطمأنّ القوم ، بعثوا عُمير بن وهب الجُمَحِيّ فقالوا : احزُر[٥] لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجالَ بفرسه حولَ العَسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثُ مئة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقُصون ، ولكن أمهِلونى حتى أنظرَ أللقوم كمينٌ أو مَدَد ؟ ثم ضرب فى الوادى حتى أبعد ، فلم يرَ شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئا ، ولكنى قد رأيتُ ، يا معشرَ قُريش ، البَلايا[٦] تحمل المَنايا ، نواضحُ[٧] يثرب تحمل الموت الناقع[٨] ، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرَى أن يُقتل

(١) الخيلاء : الكبر والإعجاب .

(٢) تحادك : تماديك .

(٣) أحنهم ، أى أهلكهم .

(٤) الجزائر : الذبائح ؛ الواحدة : جزور .

(٥) الحزر : التقدير بالحدس والظن .

(٦) البلايا : جمع بلية ، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .

(٧) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء .

(٨) الناقع : الثابت البالغ فى الإفناء .

Marfat.com

رجلٌ منهم ، حتى يَقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فرَوْا رأيَكم .

فلما سمع حَكيم بن حِزَام ذلك مَشى فى الناس ، فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ! إنك كبيرُ قُرَيش وسيدُها ، والمُطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكيم ؟ قال : تَرْجع بالنّاس ، وتَحْمل أمر حليفك عَمْرو بنِ الحَضْرَمى ؛ قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفى ، فعلىّ عَقْلُه وما أُصِيبَ من ماله ، فأتِ ابن الحَنْظَلِيّة[١] . فإنى لا أخشى أن يَشْجُر أمرَ الناس[٢] غيرُه .

ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطِيبًا ، فقال : يامعشرَ قريش ! إنكم والله ما تَصْنعون بأن تَلقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر فى وجه رجل يَكْرَه النظر إليه ، قتل ابن عَمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ؛ وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعرّضوا منه ما تريدون .

ثم إن حكيما انطلق حتى لحق بأبى جهل ، فوجدهُ قد نَثَل[٣] دِرْعًا له من جِرابها ، فهو يَهْنِئُها[٤] فقال له : يا أبا الحكم ! إنّ عُتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال ، فقال : انتفَخ والله سَحْرُه[٥] حين رأى محمدا وأصحابه ، كلاّ والله لا نَرْجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أَكَلَةُ جَزُور وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمى ، فقال : هذا حليفك

---

(١) يقصد أبا جهل بن هشام ، والحنظلية اسم أمه .

(٢) يشجر أمر الناس : أى يخالف بينهم ، من المشاجرة ، وهى المخالفة والمخاصمة .

(٣) نثل : أخرج .

(٤) يهنئها : يطليها بعكر الزيت ، ويتفقدها .

(٥) انتفاخ السحر : كناية عن الجبن .

Marfat.com

يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينك ، فقم فانشد خُفْرَتَك[1] ، ومَقْتَل أخيك .

فقام عامر بن الحضرَمىّ فاكتشف ثم صرخ : واعَمْرَاه ! واعَمْرَاه ! فحميت الحربُ ، وحَقِب[2] أمرُ الناس ، واستَوْسقوا[3] على ماهم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأىُ الذى دعاهم إليه عُتبةُ .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل « انتفخ والله سَحْرُه[4] » ، قال : سيعلم مُصَفِّرُ[5] أستِه من انتفخ سَحْره ، أنا أم هو ؟

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدْخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تَسَعُه من عِظَم هامَتِه ، فلما رأى ذلك اعتجَر[6] على رأسه ببُرْد له .

ثم خرج الأسودُ بن عبد الأسد المَخزومى ، وكان رجلا شَرِساً سَيِّء الخُلُق ، فقال : أعاهد الله لأشْرَبَنّ من حَوْضهم أو لأهدِمنّه أو لأموتَنّ دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فأطَنّ[7] قدَمه بنِصْف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُبُ[8] رجله دمًا نحو أصحابه ، ثم حَبا إلى

(١) انشد خفرتك ، أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم وجارا .

(٢) حقب : اشتد .

(٣) استوسقوا : اجتمعوا .

(٤) السحر : الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة .

(٥) مصفر استه ، يريدون صفرة الخلوق والطيب لمن كان لايغزو فى الحرب . وسادة العرب لا تـ[illegible] الخلوق والطيب إلا فى الدعة والخفض ، وتعيبه فى الحرب أشد العيب .

وقوله « مصفر استه » إنما أراد مصفر بدنه ، ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر مايسوءه أن يذكر .

(٦) اعتجر : تعمم بغير تلح ، أى لم يجعل تحت لحيته منها شيئا .

(٧) أطن : أطار .

(٨) تشخب : تسيل بصوت .

Marfat.com

الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن يُبِرَّ يمينه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فَصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتية من الأنصار ثلاثة فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رَهْط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادَى مناديهم : يامحمد ! أخرِج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : قُم ياعُبيدة بن الحارث ، وَقُم ياحمزة ، وقُمْ ياعليّ . فلما قاموا وَدَنَوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عُبيدة : عُبيدةَ ، وقال حمزةُ : حمزةَ ، وقال عليّ : عليّ ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام ، فبارَزَ عُبيدة ـ وكان أسنّ القوم ـ عُتبةَ بن رَبيعة ، وبارز حَمْزَةُ شيبةَ ابن ربيعة ، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتبة ، فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله ، وأما عليّ فلم يُمْهِل الوليدَ أن قتله ، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبَه[١] ، وكرّ حمزة وَعليٌّ بأسيافهما على عُتبة فذَفَّفا[٢] عليه ، واحتملا صاحبَهما فحازاه إلى أصحابه .

ثم تزاحف الناس وَدنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه أن لايَحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفَكم القوم فانضحُوهم[٣] عنكم بالنَّبْل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العَرِيش معه أبو بكرٍ الصّديق .

فكانت وَقْعة بدر يوم الجمعة صَبيحة سبعَ عشرةَ من شهر رمضان .

وحدث أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدّل صُفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح[٤] يُعدّل به القومَ ، فمرّ بسَوادبن غَزِية ـ وهومُسْتَنْتِل[٥] من الصف ـ قال فطعن في بطنه

(١) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٢) ذففا عليه : أسرعا قتله .

(٣) النضح والنضخ بمعنى .. يقال : نضحه بالنبل ونضخه ، إذا رماه به .

(٤) القدح : السهم .

(٥) مستنتل : متقدم وخارج .

بالقِدْح ، وقال : أَستوِ ياسَواد ! فقال : يا رسول الله ، أَوْجَعْتنى ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، قال : فأَقِدْنى[1] . فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استَقِد فاعتنقه سواد فقبّل بطنه، فقال: ماحملك على هذا ياسَواد ؟ قال : يارسولَ الله، حضَر ماترَى ، فأردتُ أن يكون آخرُ العهد بك أن يمسّ جلدى جلدَك . فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقاله له .

ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفوفَ ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق ، ليس معه فيه غيرُه ، ورسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يُناشد ربه[2] ماوَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تَهْلِك هذه العِصابةُ اليومَ لا تُعبد ، وأبو بكر يقول : يانبىّ الله ! بعضَ مُناشدتك ربّك ، فإن الله مُنْجِزٌ لك ماوعَدك . وقد خفَق[3] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبْشِر يا أبا بكر ! أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذٌ بعِنان فرس يقوده، على ثَناياه النَّقْع[4] .

وقد رُمِى مِهْجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل، فكان أولَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِى حارثةُ بن سُراقة ، وهو يشرب من الحوض بسهم ، فأصاب نحرَه ، فقُتل .

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم ، وقال : والذى نفسُ محمد بيده ، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتل صابراً مُحتسِبا ، مُقْبلا غيرَ مُدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عُمَير بن الحُمَام ، وفى يده تمرات يأكلهنّ : بَخٍ بَخٍ !! أفما بينى و بين أن أدخلَ الجنةَ إلا أن يَقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه ، فقاتل القومَ حتى قُتل .

---

(١) أقدنى ، أى اقتص لى من نفسك .

(٢) يناشد ربه : يسأله ويرغب إليه .

(٣) خفق : نام نوما يسيرا .

(٤) النقع : الغبار .

وقال عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء : يارسولَ الله ! ما يُضْحِكُ[1] الرَّب من عبده ؟ قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسراً ، فنزَع درعًا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ .

ولما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبوجهل بن هشام : اللهم أقطَعُنا للرحم، وآتانا بما لايُعْرَف فأحِنْه[2] الغداةَ ' فكان هو المُسْتفتِح[3] :

ثم إن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم أخذ حَفْنة من الحصْباء ، فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ! ثم نَفَحهم بها ، وأمر أصحابَه فقال : شدُّوا !!

فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى مَنْ قَتَل من صَناديد قريش ، وأسَر من أسر من أشرافهم ، فلما وضع القومُ أيديهم يأسِرون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَرِيش ، وسعدُ بن مُعاذ قائم على باب العريش ، الذى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، متوشِّح السيف ، فى نفر من الأنصارِ يحرُسون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرّة العدو ، رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فى وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناسُ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعدُ تكره مايصنع القوم ، قال : أجل والله يارسول الله ، كانت أوّلَ وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان فى القتل بأهل الشّرك أحبَّ إلىّ من استبقاء الرجال .

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كَرْهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتُله ، ومن لقى أبا البَخْتَرِىّ بن هشام فلا يقتله ، ومن لقى

(١) يضحك الرب ، أى يرضيه غاية الرضا .
(٢) أحنه : أهلكه .
(٣) المستفتح : الحاكم على نفسه بهذا الدعاء .

العبّاس بن عبد المطلب ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فإنه إنما أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا .

فقال أبو حُذيفة : أنقتُل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لأُلْجِمَنَّه[1] السيفَ .

فبلغت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطّاب : يا أبا حفص[2] أيُضرب وجهُ عمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسولَ الله ! دعني فلأَضْرِب عُنقَه بالسيف ، فوالله لقد نافق .

فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفّرها عنى الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

وإنما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قَتل أبى البَخْتَرِىّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلُغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممّن قام فى نَقْض الصّحيفة التى كتبت قريشٌ على بنى هاشم وبنى المُطلب .

فلقيه المُجذَّر بن ذِيَاد البَلوِىّ ، فقال لأبى البَخْتَرِىّ : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قَتْلِك ، ومع أبى البَخْترى زَميل[3] له ، قد خرج معه من مكة ، فقال : وزميلى ؟ فقال له المُجذَّر : لا والله ! ما نحن بتاركى زَميلك ، ما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدَك ، فقال : لا والله ! إذن لأموتن أنا وهو جميعا ، لا تتحدَّث عنى نساء مكة أنى تركت زَميلى حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البَخْتَرِىّ حين نازله المجذّر وأبى إلاّ القتال ، يرتجز :

---

(١) لألجمنه ، أى لأطعنن لحمه بالسيف ، ولأخالطنه به .

(٢) قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص .

(٣) الزميل : الذى يركب معه على بعير واحد .

Marfat.com

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّة زميلَه حتى يموتَ أو يرى سَبِيله

فاقتتلا ، فقتَله المجذَّرُ بن ذياد .

ثم إن المجذَّر أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يَسْتأسر فآتيكَ به ، فأبى إلا أن يُقاتلنى، فقاتلتُه فقتلتُه .

وحدث عبد الرحمن بن عوف ، قال :

كان أمية بن خَلَف لى صديقاً بمكة ، وكان أسمى عبدَ عمرو ، فتسمّيت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يَلْقانى إذ نحن بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أرغبْتَ عن اسم سمّاكهُ أبواك ؟ فأقول : نعم ! فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبنى باسمك الأوّل ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف !

فكان إذا دعانى : ياعبد عمرو ، لم أُجبه . فقلت لهُ : يا أبا على ! اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبدُ الإله ، فقلت : نعم ! فكنت إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله ، فأُجيبه ، فأتحدّث معه .

حتى إذا كان يومَ بدر ، مررتُ به وهو واقِفٌ مع ابنه علىّ بن أميّة ، آخذ بيده ومعى أدراع ، قد استلبتُها ، فأنا أحملها ، فلما رآنى قال لى : ياعبد عمرو ! فلم أُجبْه ، فقال : ياعبد الإله ! فقلت : نعم ، قال : هل لك فىّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدرع التى معك ؟ قلت نعم ، ها الله ذا[1] . فطرحتُ الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ، ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ ، أما لكم حاجةٌ فى اللبن[2] ثم خرجتُ أمشى بهما .

فقال لى أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما : ياعبد الإله !

---

(١) أى هذا قسمى .

(٢) يريد باللبن ، أى من أسرنى افتديت منه بابل كثيرة اللبن .

من الرجل منكم المُعْلَم بريشة نعامة فى صدره ؟ قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى ـ وكان هو الذى يعذِّب بلالاً بمكة على ترك الاسلام ، فيُخرجه إلى رَمْضاء[1] مكة إذا حَميت . فيُضْجِعه على ظهره ، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتُوضع على صَدْره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا أو تُفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحَدٌ أحَد ـ فلما رآه ، قال : رأس الكُفْر أمية بن خَلَف ! ! لانجوتُ إن نجا . قلت : أى بلال ! أبأسيرىَ ! قال : لانجوت إن نجا . قلت : أتسمع ياابن السّوْداء ! قال : لا نجوت إن نجا . ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ! رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكَة[2] ، وأنا أذبُّ عنه . فأخلف[3] رجلٌ السيفَ ، فضرب رِجْلَ أبنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعتُ مثلَها قط . فقلت : أنْجُ بنفسك ، ولا نجاء بك ، فوالله ما أُغنى عنك شيئاً .

فهبرُوهما[4] بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما ، فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً ! ! ذهبت أدْراعى وفجعنى بأسيرىَ .

عن ابن عباس ، قال :

ولم تُقاتل الملائكةُ فى يومٍ سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَددًا ومَددا لا يَضربون .

وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتجز ، وهو يقاتل ويقول :

---

(١) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .
(٢) فى مثل المسكة ، أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .
(٣) يقال : أخلف الرجل السيف : إذا سله من غمده .
(٤) هبروهما : قطعوهما .

Marfat.com

ما تَنقِم الحربُ العَوانُ منِّى    بازلُ عامَيْن حديثٌ سنِّى
لمثل هذا وَلَدَتْنى أُمِّى[1]

وكان شعارُ[2] أصحاب رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلّم يوم بدر . أحَدٌ أحَدٌ .

• • •

فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، أمر بأبى جَهْل أن يُلْتَمَس فى القَتْلى .

وكان أبو جهل أثناء القتال فى مثل الحَرَجة[3] وهم يقولون : أبو الحكم لايُخْلَص إليه . فلما سمعها معاذ بن عمرو جعله من شأنه ، فَصَمَد[4] نحوه ، فلما أمْكنه حمل عليه فضربهُ ضربة أطنّت[5] قدمه بنصف ساقه فكانت حين طاحت كالنواة تطيح[6] من تحت مِرْضخة[7] النَّوى حين يُضرب بها . وضرب معاذ ابنُه عِكْرمة على عاتقه فَطَرح يده فتعلّقتْ بجِلْدة من جَنْبه ، وأجْهضَه[8] القتالُ عنه ، فلقد قاتل عامّةَ يومه ، فلما آذته وضع عليها قَدمه ثم تمطى بها عليها حتى طرحها[9] .

ثم مر بأبى جَهْل وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذ بن عَفْراء ، فضربه حتى أثْبَته ، فتركه وبه رَمَقٌ . وقاتل مُعَوِّذ حتى قُتل ، فمر عبد الله بن مَسْعود بأبى جهل ، حين أمرَ رسولُ الله

---

(١) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرّة بعد مرة ، فهى لذلك أشد الحروب . والبازل من الإبل : الذى خرج نابه ، وهو فى ذلك السن تكمل قوته . وهذا الرجز ليس لأبى جهل وإنما تمثل به .

(٢) الشعار : العلامة .

(٣) الحرجة : الشجر الملتف لايوصل إليها .

(٤) صمد : قصد .

(٥) أطنت قدمه : أطارتها .

(٦) تطيح : تذهب .

(٧) المرضخة : التى يدق بها النوى للعلف .

(٨) أجهضنى : غلبنى واشتد على .

(٩) عاش معاذ حتى أدرك زمان عثمان .

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القَتْلى ، وقد قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : انظروا ، إن خَفِى عليكم فى القتلى ، إلى أثر جرْح فى رُكْبته ، فإنى ازدحمتُ يوماً أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غلامان ، وكنتُ أشفَّ منه بيَسير ، فدفعتهُ فوقع على رُكْبتيه ، فجُحِش[١] فى إحداهُما جَحْشا لم يزل أثرُه به .

قال عبدُ الله بن مَسْعود : فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه ، فوضعتُ رِجْلى على عُنقه ، وقد كان ضَبَث[٢] بى مرّةً بمكة فآذانى ولكزنى ، ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ! أعْمَدُ من رجل قتلتموه[٣] ! أخْبِرْنى لمن الدائرةُ اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله . فقال لى : لقد ارتقيتَ مُرْتَقًى صَعْبًا يا رُوَيْعِىَ الغنم ! !

ثم احتززتُ رأسَه ، ثم جئتُ به رسولَ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رَسُولَ الله ! هذا رأسُ عدوّ الله أبى جهل ؛ فقال رَسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم : آللهِ الذى لا إله غيره[٤] ؟ قلت : نعم والله ، الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فحمِد الله .

وقاتَل عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَن ، يومَ بدر بسَيْفه حتى انقطع فى يده ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِذْلا[٥] من حَطب ، فقال : قاتِلْ بهذا يا عُكَّاشَةُ فلما أخذه من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هزّه ، فعاد سيفاً فى يده طويلَ القامة ، شديد المَتْن ، أبيض الحَديدة ، فقاتَل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ؛ وكان ذلك السيف

---

(١) جحش : خدش .

(٢) ضبث : قبض عليه ولزمه .

(٣) أعمد من رجل قتله قومه : أى هل فوق رجل قتله قومه ، أى ليس عليه عار . يريد : أكبر من رجل قتلتموه ، على سبيل التحقير منه لفعلهم به .

(٤) كانت هذه العبارة يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الجذل : أصل الشجرة .

Marfat.com

يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل فى الرِّدة ، وهو عنده .

وعُكاشة بن مِحْصَن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنةَ سبعون ألفا من أمتى على صورة القَمر ليلةَ البَدْر ، قال : يا رسول الله ! ادعُ الله أن يجعلنى منهم ؛ قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ؛ فقام رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله ! ادعُ الله أن يَجعلنى منهم ؛ فقال : سبقك بها عُكاشة و بردَتِ الدعوةُ[(١)] .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منّا خيرُ فارس فى العرب ، قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : عُكاشة بن مِحْصَن ، فقال ضرار بن الأَزْور الأسدى : ذاك رجل منا يا رسول الله ، قال : ليس منكم ولكنّه منّا للحِلْف .

ونادى أبو بكر الصديق ابنَه عبدَ الرحمن ، وهو يومئذ مع المُشركين فقال : أين مالى يا خَبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يَبْقَ غيرُ شِكّةٍ ويعبوب وصَارِمٌ يَقْتل ضُلّالَ الشِّيبْ[(٢)]

ولما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالقَتْلى أن يُطرَحوا فى القَليب[(٣)] ، طُرِحوا فيه إلا ما كان مِن أُميّة بن خَلَف ، فإنه انتفخ فى دِرْعه فملأها ، فذَهبوا ليحرِّكوه ، فتزايل[(٤)] لحمُه ، فأقرّوه ، وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلمّا ألقاهم فى القَليب ، وقف عليهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال : يا أهل القَليب ! هل وجدتُم ما وَعدكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا ؟ فقال له

(١) بردت الدعوة ، أى ثبتت . ويقال : برد لى حق على فلان ، أى ثبت .
(٢) الشكة : السلاح . واليعبوب : الفرس الكثير الجرى . والصارم : السيف القاطع .
(٣) القليب : البئر .
(٤) تزايل : تفرق .

Marfat.com

أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قومًا موتى ! فقال لهم : لقد علموا أن ما وَعدهم ربُّهم حقٌّ !

وسمع أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : يا أهل القليب ! يا عُتْبَةُ بن ربيعة ، ويا شَيْبةُ بن ربيعة ، ويا أُميةُ ابن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ـ فعدّد من كان منهم فى القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا ، فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا ؟ فقال المسلمون : يا رسولَ الله أتُنادى قومًا قد جَيَّفوا[1] : قال : ما أنتم بأسمع لمَا أقولُ منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبونى .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم هذه المقالة : ياأهل القَلِيب ، بئس عشيرةُ النبى كنتم لنبيّكم ! كذّبتمونى وصدّقنى الناس، وأَخْرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتُمونى ونَصرنى الناس ، ثم قال : هل وجدتُم ما وَعدكم ربُّكم حقًّا ؟

وقال حسّان بن ثابت فى ذلك من قصيدة :

يُناديهم رسولُ الله لما ... قذفناهُم كَباكِبَ فى القَليب[2]
ألم تَجِدُوا كلامى كان حقًّا ... وأمرُ الله يأخذُ بالقُلوب ؟
فما نطقُوا ، ولو نطقُوا لقالُوا ... صدقتَ وكنتَ ذارأى مُصيب!

ولما أمر رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بهم أنْ يُلقَوا فى القليب ، أُخِذ عُتبة بن ربيعة ، فسُحِب إلى القليب ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى وجه أبى حُذَيفة ابن عتبة ، فإذا هو كَئيب قد تَغيرلونه ، فقال : يا أبا حُذَيفة ! لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شىء ؟ فقال : لا والله يارسولَ الله ، ماشككتُ فى أبى ولا فى مَصرعه ، ولكنّنى كنتُ أعرف من أبى رأيًا وحِلمًا وفضلاً ، فكنتُ أرجو أن يَهديه ذلك إلى

(١) جيفوا : أى صاروا جيفا .
(٢) كباكب : جماعات .



Marfat.com

الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك ، فدعا له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بخَيْر ، وقال له خيرًا .

وكان الفتية الذين قُتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[(١)] ) فتية مُسمّين.

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسلم إلى المدينة ، حَبَسهم آباؤهم وعَشائرهم بمكة وفَتنوهم فافتتَنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بَدْر فأُصيبوا به جميعا .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر بمـا فى العَسْكر ، مما جمع الناسُ ، فجُمع فاختلف المُسلمون فيه ، فقال من جَمَعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويَطْلبونه : والله لولا نحن ما أَصَبْتموه ، لنحن شَغَلْنا عنكم القوم حتى أصبتُم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مخافة أن يُخالِفَ إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقّ به منا ، والله لقد رأينا أن نَقتل العدوّ إذ مَنحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المَتاع حين لم يكن دونه من يَمْنعهُ ، ولكنّا خِفْنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرّة العدوّ ، فقُمْنا دونه ، فما أنتم بأحقّ به منا .

لذلك نزلت الأنفال فى أصحاب بدر ، حين اختلفوا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقهم ، فنزعه الله من أيديهم ، فجعله إلى رسوله ، فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء[(٢)] .

قال مالك بن ربيعة :

أصبتُ سيفَ بنى عائذ المُخزوميين ، الذى يسمّى المَرْزُبان يوم بدر ، فلما أمر رسولُ

---

(١) سورة النساء : آية ٩٦ .

(٢) عن بواء : على السواء .

Marfat.com

الله صلى اللهُ عليه وسلم الناس أن يردّوا مافى أيديهم من النّفَل ، أقبلتُ حتى ألقيته فى النّفَل وكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم لا يَمنع شيئاً سُئِله ، فعرَفه الأرقمُ بن أبى الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياه .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتْح عبدَ الله بن رَواحة بشيراً إلى أهل العالية ، بما فتح الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، و بعث زيدَ ابن حارثة إلى أهل السّافلة .

قال أُسامة بن زيد :

فأتانا الخبرُ - حين سوّينا التراب على رُقَيّة ابنة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، التى كانت عند عُثمان بن عفان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّفنى عليها مع عُثمان - أن زيدَ بن حارثة قد قَدِم .

فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غَشِيَه الناس ، وهو يقول : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة ابن ربيعة ، وأبوجهل بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وأبو البَخْتَرِىّ العاصُ بن هشام ، وأُمية بن خَلف ونبيه ومنبهٌ ابنا الحجّاج . قلت : ياأبت ! أحقّ هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بُنى .

ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، ومعه الأُسارى من المشركين ، وفيهم عُقْبَة بن أبى مُعَيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه النَفَل الذى أُصِيب من المشركين ، وجعل على النَّفَل عبدَ الله ابن كعب .

حتى إذا خرج من مَضيق الصّفراء نزل على كثيب يقال له : سَيَرَ - إلى سَرْحة به فقسّم هنالك النّفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء ، لَقِيَه المسلمون يهنئونه بمافتح الله عليه ومن معه من المسلمين ؛ فقال لهم سَلَمة بن سلامة : ما الذى تُهنئوننا به ؟ فوالله

Marfat.com

إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالبُدْن المعقلة فنحرناها فتبسم رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ثم قال : أى ابن أخى ! أولئك الملأ(١) .

حتى إذا كان رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم بالصَّفْراء قتل النَّضرَ بن الحارث ، قتله علىٌّ بن أبى طالب .

ثم خرج حتى إذا كان بِعرْق الظَّبْية قتل عُقبة بن أبى مُعَيط .

والذى أَسَرَ عُقْبة عبد الله بن سَلِمة أحد بنى العَجْلان .

فقال عُقْبة حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتْله : فمن للصِّبْية يا محمد ؟ قال : النار ، فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلح الأنصارى .

ولقى رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلّم بذلك الموضع أبو هِنْد ، مولى فَرْوة بن عَمْرو البيَاضى بحَميت مملوء حَيْسًا(٢) . وكان قد تخلّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رَسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، وهو كان حَجّام رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤ من الأنصار فأنـكحوه ، وأنـكحوا إليه ، ففعلوا .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينةَ قبل الأُسارى بيوم .

قدِم بالأُسارَى حين قُدِم بهم ، وَسوْدَةُ بنت زَمعة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم عند آل عَفْراء ، فى مَناحتهم على عَوْف ومُعوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب .

تقول سَوْدة :

والله إنى لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأُسارى ، قد أُتِى بهم ! ! فرجعت إلى بيتى ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الُحجْرة

---

(١) الملأ : الأشراف والرؤساء .

(٢) الحميت : الزق . والحيس : السمن يخلط بالتمر والأقط .

مجْمُوعة يداه إلى عُنقه بحَبْل ، فلا والله ما ملـكتُ نفسى حين رأيت أبا يَزيد كذلك أن قُلتِ : أى أبا يزيد ! أعطيتُم بأيديكم ، ألا مُتّم كراما ؟ فو الله ماأنبهنى إلا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ! أعلى الله ورسوله تحرّضين ؟ قلت : يارسول الله ! والذى بعثك بالحقّ ، ما ملـكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلت .

وفرّق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأسارى حين أقبل بهم بين أصحابه ، وقال : استوْصُوا بالأسارى خيراً .

وكان أبو عَزيز بن عُمَير بن هاشم ، أخو مُصْعب بن عُمير لأبيه وأمه فى الأسارى .

فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مُصْعب بن عُمير ورجلٌ من الأنصار يَأْسِرنى ، فقال : شُدّ يديك به فإن أمّه ذاتُ مَتاع ، لعلّها تَفْديه منك ! وكنتُ فى رَهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بَدْر ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعَشاءهم خصّونى بالُخبز ، وأكلوا التمر ، لوصيّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقَع فى يدِ رجل منهم كِسْرة خُبز إلا نفَحنى بها ، فأستحيِي فأردّها على أحدهم ، فيردّها علىّ مايمسّها .

وكان أبو عَزِيز صاحبَ لواء المشركين ببدر بعد النضْر بن الحارث ، فلما قال أخوه مُصْعب بن عُمير لأبى اليَسَر ، وهو الذى أسره ، ماقال ، قال له أبو عَزِيز : ياأخى ! هذه وَصاتُك بى ! فقال له مُصْعب : إنه أخى دونك ، فسألتْ أمّه عن أغلى مافُدِى به قُرشىّ فقيل لها : أربعةُ آلاف درهم ، فبعثتْ بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

وكان أول من قدم مكةَ بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخزاعىّ ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قُتل عُتْبةُ بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُمَيّة ابن خَلَف ، وزَمَعة بن الأسود ، ونُبَيه ومنبه ابنا الحجّاج ، وأبو البَخترىّ بن هشام ، فلما جعل يُعَدّد أشراف قريش ، قال صَفْوان بن أمَية ، وهو قاعد فى الحِجْر : والله إن

يَعْقِل هذا فاسئلوه عنّى . فقالوا : ومافعل صَفْوَانُ بن أُمية ؟ قال : هاهو ذاك جالساً فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

قال أبو رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دخلَنا أهل البيت ، فأسلمَ العبّاس ، وأسلمتْ أمُّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهاب قومَه ، ويكره خِلافهم وكان يكتُم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلا بَعثَ مكانه رجلاً ، فلما جاءه الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته[1] الله وأخزاه ، ووجَدْنا فى أنفسنا قوةً وعزّا .

وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح أنحتُها فى حُجْرَة زَمْزَم ، فو الله إنّى لجالسٌ فيها أنحتُ أَقْداحى ، وعِنْدى أمُّ الفَضْل جالسةٌ ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بِشَرٍّ ، حتى جلس على طُنُب[2] الُحجْرة ، فكان ظهرُه إلى ظهرى ؛ فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ : هذاْ أبو سفيان بن الحارث قد قدم ، فقال له أبولَهب : هلمّ إلىّ ، فعندك لعمرى الخبرُ ، فجلس إليه والناسُ قِيَامٌ عليه ، فقال: يابن أخى! أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ماهو إلا أن لَقِينا القوم ، فمَنَحْناهم أكتافَنا يقتُلوننا كيف شاءوا ، ويأسِرُوننا كيف شاءوا ، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيْل بُلْق ، بين السماء والأرض ، والله ما تُليق[3] شيئاً ، ولا يقوم لها شىء .

فرفعتُ طُنُب الُحجرة بيدى ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ! ! فرفع أبو لهب يدَه

---

(١) كبته الله : أذله .

(٢) طنب الحجرة : طرفها .

(٣) ماتليق : ماتبق .

فضرَب بها وجهي ضربةً شديدة فثاورْتهُ[1] فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يَضْربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربتهُ به ضربةً ، فلعَت[2] في رأسهِ شجّةً مُنْكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده !! فقام مولّياً ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[3] فقتلتْه .

وناحت قريشٌ على قتْلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلُغَ محمداً وأصحابه ، فيَشْمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسرا كم حتى تَسْتَأْنوا[4] بهم لاَ يَأْرَب[5] عليكم محمدا وأصحابُه في الفداء .

وكان الأسود بن المطلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده ، وكان يحب أن يبكيَ على بَنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلام له : وقد ذهب بصره انظُر هل أحلّ النّحْبُ ؛ هل بكتْ قُريش على قتلاها؟ لعلّي أبْكي على ولدي يعني زمعة فإن جوفي قد احترق .

فلما رجع إليه الغلامُ قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّتهُ ، فقال حينذاك الأسود :

أتبكي أن يَضِلّ لها بعيرٌ ويَمْنعها من النوم السُّهُودُ
فلا تَبْكي على بَكْرٍ ولكن على بَدْرٍ تقاصَرَت الجدودُ[6]

---

(١) ثاورته : وثبت إليه .
(٢) فلعت : شقت .
(٣) العدسة : قرحه قاتلة كالطاعون . وقد عدس الرجل : إذا أصابه ذلك .
(٤) حتى تستأنوا بهم ، أي تؤخروا فداءهم .
(٥) لا يأرب : لا يشتد .
(٦) البكر : الفتى من الإبل .

ثم بعثتْ قريشٌ فى فِداء الأسارى ، فقدِم مكرز بن حَفص بن الأخيف فى فداء سُهَيل بن عمرو .

فقال عمر بنُ الخطاب لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دَعْنى أنزِعْ ثَنِيَّتَىْ سُهيل بن عمرو ، ويَدْلعُ(١) لسانُه ، فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبدًا ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا أُمثِّلُ به فيُمثِّلُ اللهُ بى ؛ وإن كنتُ نبيًّا .

وقيل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث: إنه عسَى أن يقوم مقاماً لا تذمُّه .

وكان عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب ، أسيراً فى يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرَى بَدْر . فقيل لأبى سفيان : افْدِ عمرًا ابنك ؛ قال : أيُجْمع علىّ دَمِى ومالى ! قتلوا حَنظلة ، وأفدِى عمرًا ! دعوه فى أيديهم يُمسكوه مابدا لهم .

فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خرج سعد بن النعمان معتمراً ومعه مُرَيَّة(٢) له ، وكان شيخاً مسلماً فى غَنم له بالنَّقيع(٣) ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يَخشى الذى صُنع به ؛ لم يظنّ أنه يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً . وقد كان عَهِد قريشاً لا يَعرِضون لأحدٍ جاء حاجًّا ، أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدَا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبَسَه بابنه عمرو .

ومشى بنو عَمرو بن عَوف إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبرَه ، وسألوه أن يُعطيهم عمرو بن أبى سُفيان فيَفُكُّوا به صاحبَهم ، ففعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبى سُفيان ، فخلّى سبيلَ سعد

---

(١) يدلع : يخرج .
(٢) مرية : تصغير امرأة .
(٣) النقيع : موضع قرب المدينة .

. وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع خَتَن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته زينب .

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين : مالاً ، وأمانةً ، وتجارةً ، وكان لهالةَ بنت خُوَيلد ، وكانت خديجةُ خالَته ، فسألت خديجةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوِّجه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لايُخالفها ، وذلك قبل أن يَنزل عليه الوحى ، فزوّجه ، وكانت تعدُّه بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسولَه صلى الله عليه وسلم بنُبوّته آمنت به خديجةُ وبناتُهُ ، فصدّقنه ، وشَهِدْن أنّ ما جاء به الحق ، ودِنّ بدِينه ، وثبت أبو العاص على شِرْكه .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد زوّج عُتبةَ بن أبى لهب رُقَيّة أوأمّ كُلثوم[1] فلما بادَى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمدا من همّه ، فرُدُّوا عليه بنَاتِه ، فاشغَلوه بهنّ . فمشَوْا إلى أبى العاص فقالوا له : فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوّجك أى امرأة من قريش شِئتَ . قال : لا والله ، إنى لا أفارق صاحبتى ، وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأةً من قريش ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صِهره خيرًا .

ثم مشَوْا إلى عُتبة بن أبى لهب . فقالوا له : طلّق بنتَ محمد ونحن نُنكحك أىّ امرأة من قريش شِئْتَ . فقال : إن زوّجتمونى بنت أبان بن سَعيد بن العاص ، أو بنت سَعيد بن العاص فارقتُها ، فزوّجوه بنت سَعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دَخل بها ؛ فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهوانًا له ، وخلَفَ عليها عثمانُ بن عفّان بعده .

وكان رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم لايُحِلّ بمكة ولا يحرِّم ، مغلوبًا على أمره ، وكان

(١) قال السهيلى : « كانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبى لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت : « تبت يدا أبى لهب » . فأما عتيبة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه ، فافترسه الأسد من بين أصحابه وهم نيام حوله وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب فأسلما ، ولهما عقب » .

Marfat.com

الإسلام قد فرّق بين زَينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمتْ وبين أبى العاص بن الربيع ، إلا أنّ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم كان لايقدِرُ أن يفرّق بينهما فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه ، حتى هاجر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب فى الأسارَى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم .

ولما بعث أهلُ مكة فى فِدَاء أسرائهم ، بعثتْ زينبُ بنت رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فى فِداء أبى العاص بن الربيع بمالٍ ، وبعثت فيه بقِلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبى العاص حين بنَى عليها ، فلما رآها رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم رقّ لها رقةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرَها ، وتردّوا عليها مالَهاَ ، فافعلوا ، فقالوا : نعم يارسولَ الله ، فأطْلقوه ، وردّوا عليها الذى لها .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه أن يخلّى سبيل زينب إليه ، فلما خرج أبوالعاص إلى مكة وخُلِّى سبيلُه ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كُونا ببِطْن ياجَج[1] حتى تمرّ بكما زينبُ ، فتصْحَباها حتى تأتيانى بها ، فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بَدْر بشهر أوشَيْمِه[2] فلما قَدِم أبو العاص مكةَ أمرها باللّحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قالت زينب :

بينا أنا أتجهّز بمكة للُّحوق بأَبى لقيتْنى هندُ بنت عُتبة ، فقالت : يابنت محمد ! ألم يبلغنى أنك تُريدينَ اللحوقَ بأبيك ؟ فقلت : ما أردتُ ذلك ، فقالت : أى أبنة عمّى !

---

(١) ياجج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٢) شيمه : قريب منه .

Marfat.com

لاتفعلى ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع مما يَرْفُق بك فى سفرك ، أو بمـال تَتَبلَّغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجتك ، فلا تَضطَنى[1] منى ، فإنه لا يدخـــل بين النساء ما بين الرجال .

فلما فرغت بنتُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم من جهازها ، قَدّم لها حَمُوها كنانةُ ابن الرّبيع أخو زَوْجها بعيراً فرَكِبَته ، وأخذ قوسَه وكِنانَته ، ثم خرج بها نهاراً يقُود بها ، وهى فى هَوْدج لها . وتحدّث بذلك رجالٌ من قريش ، فخَرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوى ، فـكان أولَ من سبق إليها هَبّار بن الأسود ، والفِهْرِىّ ، فروّعها هبّار بالرمح وهى فى هَوْدجها ، وكانت المرأةُ حاملا فلما رِيعتْ طَرحتْ ذا بَطْنها[2] ، وبَرَكَ حموها كنانةُ ، ونثر كِنانَتَه ، ثم قال : والله لا يدنو منّى رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهماً ، فتَـكَرْكر[3] الناسُ عنه . وأتى أبو سفيان فى جلّة من قُريش ، فقال : أيها الرجل ! كفّ عنّا نَبْلك حتى نـكلّمك ، فـكَفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصيبتنا ونَـكْبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس من بين أظهُرنا ، أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منا ضَعْف ووَهْن ، ولعمرى مالنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤْرة[4] ، ولـكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأتِ الأصوات ، وتحدّث الناسُ أن قد ردَدْناها ، فسُلّها سرّا وألحِقها بأبيها .

---

(١) لا تضطنى : لا تستحى .

(٢) وذكر أن هبارا نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة وهى حامل ، فهلك جنينها ، ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بعلها أبى العاص .

(٣) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٤) الثؤرة : طلب الثأر .

ففعل . فأقامت ليالى ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدِما بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتْهم هندُ بنت عتبة ، فقالت لهم :

أفى السِّلْم أعْيارٌ جَفاء وغلْظةً ... وفى الحَرْب أشباهُ النِّساء العَوارِكِ[1]

قال أبو هُريرة :

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً أنا فيها ، فقال لنا : إن ظَفِرتُم بهبّار بن الأسْود ، أو الرجل الآخر الذى سبق معه إلى زينب فحرِّقوهما بالنار ، فلمّا كان الغدُ بعث إلينا ، فقال : إنى كنتُ أمرْتُكم بتحْريق هذين الرجلَيْن إن أخذْتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغى لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله ، فإن ظفرْتم بهما فاقتلوهما .

## إسلام أبى العاص بن الربيع

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زَيْنب عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قُبيل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم ، وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال الرجال من قريش ، أبْضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً ، لقيتْه سرية لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابُوا ما معه ، وأعْجَزهم هارباً ، فلما قَدِمَتْ السّرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دَخل على زَيْنب بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها فأجارته ، وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح فكبّر وَكبّر الناس معه ، صرختْ زينب من صُفّة النساء[2] : أيها الناس ! إنى أجرتُ أبا العاص بن الرّبيع .

---

(١) السلم ( بفتح السين وكسرها ) : الصلح . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . والنساء العوارك الحيض ؛ يقال عركت المرأة : إذا حاضت .

(٢) الصفة : السقيفة .

Marfat.com

فلما سلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، أقبل على الناس، فقال: أيها الناس! هل سَمِعتم ماسمعتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال: أما والذى نفسُ محمد بيده ماعلمتُ بشىء من ذلك حتى سمعتُ ماسمعتم ، إنه يُجير على المسلمين أدناهم .

ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بُنية ! أكرمى مثواه ، ولا يَخلُصَنّ إليك ، فإنك لا تَحلّين له .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تُحسِنوا وتردّوا عليه الذى له ، فإنّا نحب ذلك ، و إن أبيتم فهو فَىْء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به فقالوا : يا رسول الله ! بل نردّه عليه .

فردّوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدّلو ويأتى الرجل بالشَّنَّة[1] وبالإداوة[2] ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشّظاظ[3] ، حتى ردّوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئا .

ثم احتمل أبو العاص إلى مكة ، فأدّى إلى كل ذى مال من قُريش ماله ، ومن كان أبضَع معه ، ثم قال : يا معشر قريش ! هل بَقِى لأحدٍ منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ؛ فجزاك اللهُ خيراً ! فقد وجدْناك وفيّاً كريماً ، قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما مَنعنى من الاسلام عنده إلا تخوّف أن تظنّوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمتُ ؛ ثم خرج حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الشنة : السقاء البالى .

(٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروق الجوالق : والجمع : أشظة .

Marfat.com

فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ على النّكاح الأول لم يُحْدِث شيئاً[١] بعد ستّ سنين .

وكان أبو العاص بن الرّبيع لمّا قدِم من الشام ومعه أموالُ المُشركين ، قيل له : هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموالَ ، فإنها أموالُ المُشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأُ به إسلامى أنْ أخُون أمانتى .

وكان فداء المُشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم إلا من لا شىءَ له ، فمنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه .

## إسلام عمير بن وهب

وجلس عُمير بن وهب الُجمحى مع صَفْوان بن أُمية ، بعد مُصاب أهل بدر من قُريش فى الحِجْر بيَسير ، وكان عُمَير بن وَهْب شيطانا من شياطين قُريش ، وممّن كان يُؤذى رسُولَ الله صلى الله عليه وَسلم وأصحابه ، ويَلْقون منه عَناء وهو بمكة ، وكان ابنه وَهْب بن عُمير فى أسارى بدر ، فذكر أصحابَ القَلِيب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش بعدهم خيرٌ ، قال له عُمير : صدقت والله ، أمَا والله لولا دَيْنٌ علىّ ليس له عندى قضاء ، وعيالٌ أخشى عليهم الضّيعة بعدى ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله . فإنّ لى قبلهم علّةً : ابنى أسيرٌ فى أيديهم .

فاغتَنمَها صفوان وقال : علىّ دينُك ، أنا أقْضيه عنك ، وعيالُك مع عيالى أُواسيهم

---

(١) قال السهيل : ويعارض هذا الحديث مارواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم : ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث . ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما قال الله تعالى : لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن . ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أى على مثل النكاح الأول فى الصداق والحباء ، لم يحدث على ذلك من شرط ولا غيره .

ما بقوا ، لا يسعنى شىء ، ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم شأنى وشأنك ، قال : أفعل .

ثم أمر عميرٌ بسيفه ، فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة ؛ فبينا عمرُ بن الخطّاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهب ، والله ماجاء إلا لشرّ ، وهو الذى حرّش[١] بيننا ، وحزرنا[٢] للقوم يوم بَدْر .

ثم دخل عمرُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبىّ الله ! هذا عدوُّ الله عُمير ابن وهب قد جاء متوشّحا سيفَه ، قال : فأدْخله عَلَىّ ، فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمالة سيفه فى عُنقه فلبّبه بها ، وقال لرجال ممّن كان معه من الأنصار : ادخُلوا على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غيرُ مأمون ، ثم دخل به على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرُ آخذ بحمالة سيفه فى عُنقه قال : أرْسله ياعمر ، أدْنُ ياعُمير ؛ فدنا ثم قال : أنْعِمُوا صباحًا — وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيتك ياعُمير ، بالسّلام ، تحيّة أهل الجنّة ، فقال : أما والله يامحمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد ، قال : فما جاء بك ياعُمير ؟ قال : جئتُ لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحْسِنوا فيه ، قال : فما بالُ السيف فى عُنقك ؟ قال : قبّحها الله من سُيوف ! وهل أغنت عنا شيئا ! قال : اصْدُقْنى ، ما الذى جئتَ له ؟ قال : ما جئتُ إلا لذلك ، قال : بل قعدت أنتَ وصفوانُ بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قُريش ، ثم قلت : لولا دَيْنٌ علىّ وعيالٌ عندى

---

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحزر : تقدير العدد تخمينا .

لحرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمّل لك صفوان بد ينْك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك و بين ذلك .

قال عُمير : أشهد أنك رسولُ الله ، قد كنّا يا رسولَ الله نـكذّبك بمـا كنت تأتينا به من خبرالسماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا وصَفْوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلاّ الله ، فالحمدُ لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المَساق ، ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه ، ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ! إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أنْ تأذن لى فأقدَم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعلّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهُم فى دينهم كما كنت أوذِى أصحابك فى دينهم ؟ فأذن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلَحِق بمكة .

وكان صفوانُ بن أمية حين خرج عُمير بن وهب ، يقول : أبْشروا بوَقْعة تأتيكم الآن فى أيام ، تُنْسيكم وقعةَ بدر ، وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكبان ، حتى قدِم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحلَف أن لا يكلّمه أبدا ، ولا ينفعه بنفع أبدا .

فلما قَدِم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويُؤْذى مَنْ خالفه أذًى شديدا ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

وعُمير بن وَهْب، هذا هو الذى رأى إبليسَ حين نَـكَص على عَقِبيه يوم بدر ، فقال : أينَ ؟ أىْ سُراق! ومَثَلَ[1] عدوُّ الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه ( وَ إِذْ زَيَّنَ لَهمُ الشَّيطَانُ أعمَالَهمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَـكمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّى جَارٌ لَـكمْ ) . فذكر استدراج

(١) مثل ، أى لطئ بالأرض واختفى ، وهو من الأضداد ، يكون الماثل : القائم ، ويكون الماثل ( أيضا ) اللاطئ بالأرض .

إبليس إيام ، وتَشبّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشم لهم ، حين ذكروا ما بينهم و بين بَنى بَكْر فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى ( فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ) ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيّد الله بهم رسولَه صَلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوّهم ( نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ ) وصدق عدو الله رأى مالم يرَوْا ، وَقَالَ ( إِنِّى أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ[1] ) وذلك أنهم كانوا يرَوْنه فى كل منزل فى صُورة سُراقة لا يُنكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوْردهم ثم أسْلمهم .

وفى ذلك يقول حسان بن ثابت من قصيدة له :

دلاّهمُ بغُرور ثم أسْلمهم ... إنّ الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدَهم ... شرَّ الموارد فيه الخزْى والعار
ثم التقينا فولَّوْا عن سَراتِهم ... مِنْ مُنْجدين ومنهم فِرْقة غارُوا[2]

## نزول سورة الأنفال

فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجل فيه من القرآن الأنفال[3] بأسرها ، فكان مما نَزَل منها فى اختلافهم فى النَّفل حين اختلفوا فيه ( يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) :

فكان عُبادة بن الصّامت إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فينا معشرَ أهل بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ، فردّه

(١) سورة الأنفال : آية ٤٨ .

(٢) سراة القوم: خيارهم . وغاروا : قصدوا الغور ، وهوما انخفض من الأرض ، يريد تشتتوا .

(٣) راجع ص ٢٩٠ .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقسمه بيننا عن بَواء[1] وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم، وصلاحُ ذات البَين .

ثم ذكر القومَ ومسيرهم مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القومُ أنّ قريشا قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يُريدون العير طمعاً فى الغنيمة، فقال ( كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ) أى كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش، حين ذُكِروا لهم (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ) أى الغنيمة دون الحرب ( وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ) أى بالوَقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ( إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ) أى لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوّهم، وقلة عددهم ( فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ) بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم (أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ - إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) أى أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لاتخافون (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) للمطر الذى أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركين أن يَسْبِقوا إلى الماء، وخلى سبيل المسلمين إليه (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ) أى ليذهب عنكم شكّ الشيطان، لتخويفه إياهم عدوّهم، واستجلاد[2] الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبقوا إليه عدوّهم .

ثم قال تعالى ( إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ) أى آزروا الذين آمنوا ( سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ

(١) عن بواء : على السواء .
(٢) استجلاد الأرض : شدتها .

وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ثم قال (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أى تحريضاً لهم على عدوّهم ، لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم .

ثم قال تعالى فى رَمْيِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده ، حين رماهم (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى) أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نَصْرك ، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً) أى ليُعرّف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوّهم وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقّه ، ويشكروا بذلك نعمته .

ثم قال (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) أى لِقَوْل أبى جهل : اللهم أقطعُنا للرحم ، وآتانا بما لايُعْرف ، فأحِنْه الغداة !! والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

يقول الله جل ثناؤه (وَإِنْ تَنْتَهُوا) أى لقريش (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) أى بمثل الوَقْعة التى أصبناكم بها يوم بدر (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) أى أن عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تُغنى عنكم شيئاً ، وإنى مع المؤمنين أنصرهم على من خالفهم .

ثم قال تعالى (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) أى لاتخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) أى كالمنافقين الذين يُظهرون له الطاعة ، ويُسِرّون له المعصية (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أى المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بُكْمٌ عن الخير ، صُمٌّ عن الحق ،

Marfat.com

لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النِّقمة والتِّباعة[1] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ أى لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم ﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ما وفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أى للحرب التى أعزّكم الله بها بعد الذل ، وقوّاكم بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى لا تُظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فإن ذلك هلاكٌ لأماناتكم ، وخيانةٌ لأنفسكم ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ أى فصلا بين الحق والباطل، ليُظهر الله به حقكم ، ويُطفىء به باطل من خالفكم .

ثم ذكّر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مكر به القومُ ليقتلوه أو يُثبتوه أو يُخرجوه ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ أى فمكرتُ بهم بكيدى المتين حتى خلّصتك منهم .

ثم ذكر غِرّة قُريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أى ما جاء به محمد ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى بعض ما عذبت به الأمم قبلنا .

وكانوا يقولون : إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذّب أمةً ونبيّها معها حتى

---

(١) التباعة : التبعة .

Marfat.com

يُخرجه عنها ، وذلك من قولهم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيّه صلى اللهُ عَليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم حين نعى عليهم سُوء أعمالهم (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا ، ثم قال (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى مَن آمن بالله وعبَدَه ؛ أى أنت ومن اتبعك ، (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إلاَّ الْمُتَّقُونَ) الذين يحرّمون حُرمته ، ويُقيمون الصلاة عنده ، أى أنت ومن آمن بك (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ . وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) التى يزعمون أنه يُدْفَع بها عنهم (إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً[1]) .

وذلك مالا يُرْضى الله عزّ وجلّ ولا يحبّه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل[2] .

ثم قال الله عزّ وجلّ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) يعنى النفر الذين مَشَوْا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قُريش فى تلك التجارة ، فسألوهم أنْ يُقوّوهم بها على حربِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا .

ثم قال (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا) لحربك (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) أى من قُتل منهم يوم بَدْر .

---

(١) المكاء : الصفير . التصدية : التصفيق .

(٢) عن عائشة قالت : ماكان بين نزول : « يأيها المزمل » وقول الله تعالى فيها « وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا . إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما » إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر .

Marfat.com

ثم قال تعالى ( وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ) أى حتى لا يُفتَن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ، ليس له فيه شريك ، ويُخلع ما دونه من الأنداد ( فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وإِنْ تَوَلَّوْا ) عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ( فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاَكُمْ ) الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم ، وقلة عددكم ( نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) .

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال ( وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) أى يوم فرقتُ فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ( إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ) من الوادى ( وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ) من الوادى إلى مكة ( وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ) أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها ، وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ( وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ) أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرةُ عددهم وقلةُ عددكم ما لقيتموهم ( وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ) أى ليقضى ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الكفر وأهله ، عن غير بلاء منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال ( لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ) أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك .

ثم ذكر لطفه به وكيده له ، ثم قال ( إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) فكان ما أراه الله من ذلك نعمةً من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكفَّ بها عنهم ما تُخُوِّف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم .

Marfat.com

( وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ) أى ليؤلّف بينهم على الحرب للنّقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على مَنْ أراد إتمام النّعمة عليه ؟ من أهل ولايته .

ثم وَعظهم وفهّمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يَسيروا به فى حَرْبهم ، فقال تعالى ( يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ) تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل ( فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا ) الذى له بذلتُم أنفسكم والوفاء له بما أعْطيتموه من بَيْعتكم ( لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ) أى لا تختلفوا فيتفرّق أمرُكم ( وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ) أى وتذهب حدّتكم ( وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ) أى إنى معكم إذا فعلتُم ذلك ( وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ) أى لا تكونوا كأبى جَهْل وأصحابه الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدراً فننحرَ بها الجُزر ونُسْقى بها الخمر ، وتَعزِف علينا فيه القِيان ، وتسمع العربُ ؛ أى لا يكون أمرُكم رياءً ، ولا سُمعة ، ولا التماسَ ما عند الناس ، وأخلِصوا لله النّية والحِسبة فى نَصر دينكم ، ومُؤازرة نبيّكم ، لا تعملوا إلا لذلك ، ولا تَطلبوا غيرَه .

ثم قال تعالى ( وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ ) .

ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر ، وما يَلقَوْن عند موتهم ، ووَصَفهم بصفتهم ، وأخبر نبيّه صلى اللهُ عليهِ وسلم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال ( فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ) أى فنكّل بهم مَن وراءهم لعلّهم يَعقلون ( وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ) إلى قوله تعالى ( وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ) أى لا يَضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجلُ خلفه فى الدنيا ، ثم قال تعالى ( وَإِنْ

Marfat.com

جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ) أى إن دعوك إلى السّلم على الإسلام فصالحهم عليه ( وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ) إن الله كافيك ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) .

( وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ) هو من وراء ذلك ( هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ) بعد الضّعف ( وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ) على الهدى الذى بعثك الله به إليهم ( لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ) بدينه الذى جمعهم عليه ( إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .

ثم قال تعالى ( يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ) أى لا يُقاتلون على نيّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شر .

عن عبد الله بن عباس ، قال :

لمـا نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين ، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفا ، فخفف الله عنهم فنسخها الآية الأخرى ، فقال ( الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) قال : فكانوا إذا كانوا على الشّطر من عدوّهم لم ينبغِ لهم أن يفرّوا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .

ثم عاتبه الله تعالى فى الأسارى، وأخذِ المغانم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكلُ مَغنما من عدوّ له[1] .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلت لى المغانم ولم تحلّ لنبى كان قبلى ، وأعطيت الشفاعة ؛ خمس لم يؤتهن نبى قبلى » .

Marfat.com

فقال ( مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ) أى قبلك ( أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ) من عدوه ( حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ) أى يثخن[1] عدوّه ، حتى يَنفيه من الأرض ( تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ) أى المتاع ، الفِداء بأخذ الرجال ( وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ) أى قَتْلَهم لظُهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تُدْرك به الآخرة ( لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ) أى من الأسارى والمَغانم ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) أى لولا أنه سبق منى أنّى لا أُعذّب إلا بعْد النهْى ولم يَكُ نهاهم ، لعذّبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلّها له ولهم رحمةً منه ، وعائدةً من الرحمن الرحيم ، فقال ( فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) ثم قال ( يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

وحض المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهلَ ولاية فى الدين ، دون مَنْ سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال ( إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ) أى إلاّ يُوَالِ المؤمن المؤمن من دون الكافر وإن كان ذا رحم به ( تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ ) أى شُبهة فى الحقّ والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولّى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم ردّ المواريثَ إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونَهم إلى الأرحام التى بَيْنهمْ ، فقال ( وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ) أى بالميراث ( إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .

وكان فراغ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم من بدر ، فى عقب شهر رمضان .

---

(١) الإثخان : التضييق على العدو .

## غزوة بنى سليم بالكدر

فلما قدِم رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يُقِم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سُلَيم . واستعملَ على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغِفارىّ .

فبلغ ماءً من مِياههم ؛ يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْق كيداً ، فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارَى من قُرَيش .

## غزوة السويق

ثم غزَا أبو سفيان بن حَرْب غَزْوة السَّويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة .

فكان أبو سفيان ، حين رجع إلى مكة ، ورجَع فَلُّ[1] قُرَيش من بدر ، نذَرَ أن لا يمسّ رأسَه ماء من جَنابة[2] حتى يَغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مِئَتَىْ راكب من قُرَيش ، ليَبرّ يمينَه ، حتى أتى بنى النَّضير تحت الليل فأتى حُيَيّ بن أخْطب ، فضرب عليه بابَه ، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سَلّام بن مِشْكم ، وكان سيّد بنى النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحبَ كَنْزهم[3] ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَراه[4] وسَقاه ، وبطَن له[5] من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابَه ،

(١) الفل : القوم المنهزمون .

(٢) قال السهيلى : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقى معهم الحج والنكاح » .

(٣) يريد « بالكنز » : المال الذى كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٤) قراه : أى صنع له القرى ، وهو طعام الضيف .

(٥) بطن له ، أى أعلمه من سرهم .

Marfat.com

فبعث رجالاً من قُرَيش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرقوا فى أصْوار[١] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له فى حَرْث لهما، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِر بهم الناسُ[٢] . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى طَلبهم ، واستعملَ على المدينة بَشير بنَ عبد المُنذر ، حتى بلغ قَرْقَرَة الكُدْر[٣] ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأَوْا أزوادا من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحَرْث يتخفّفون منها للنجاء[٤] ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ! أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

وإنما سُمِّيت غزوة السَّويق[٥] ، أنّ أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّويقُ ، فَهجم المسلمون على سَويق كثير فسُمِّيت غزوة السويق .

## غزوة ذى أمر

فلمّا رجع رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم من غَزْوة السَّويق أقام بالمدينة بقيةَ ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غَطَفان ، وهى غزوة ذى أَمَرَ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان .

فأقام بنَجْد صَفراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا . فلَبث بها شهر ربيع الأول كلّه ، أو إلا قليلاً منه .

---

(١) الأصوار : جمع صور ، وهو جماعة النخل .

(٢) نذر بهم الناس : علموا بهم .

(٣) قرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن ، بينها وبين المدينة ثمانية برد .

(٤) النجاء : السرعة .

(٥) السويق : هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تطحن ، ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت ، فإن لم يكن شىء من ذلك مزجت بالماء .

Marfat.com

## غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، حتى بلغ بَحْرَانَ ، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع[1] ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

## أمر بنى قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك ، مِن غَزْو رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، أمرُ بنى قَيْنُقاع .

وكان من حديث بنى قَيْنقاع أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسُوق بنى قَيْنقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ! احذروا من الله مثلَ ما نزل بقُريش من النّقمة ، وأسلِموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبيّ مرْسل ، تجدون ذلك فى كِتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ! إنك ترى أنّا قومُك ! لاَ يغرّنك أنك لقيتَ قوماً لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبتَ منهم فُرصةً ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس .

عن ابن عباس ، قال :

ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا[2] ) أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش (فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ) .

---

(١) الفرع : قرية من ناحية المدينة .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٢ وما بعدها .

Marfat.com

وكان بنو قَيْنُقاع أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد .

وكان السبب فى ذلك أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب[1] لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنُقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها فأبَت ، فعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظَهْرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءتها ، فضَحِكوا بها ، فصاحتْ ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديّا ، وشدَّت اليهود على المسلم فقتَلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقَع الشرّ بينهم وبين بنى قَيْنُقاع .

فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله ابن أُبَىّ ابن سَلُول ، حين أمْكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ! أحسنْ فى مَوالىّ ؛ وكانوا حُلفاء الخزْرج ، فأبطأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ! أحْسنْ فى موالىّ ، فأعرض عنه ، فأدْخل يدَه فى جَيْب دِرْع رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم .

فقال له رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وَسلم : أرْسلنى ! وغَضِب رسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسَلم حتى رأوا لوجهه ظُللا[2] ، ثم قال : ويحك ! أرْسلنى ، قال : لا والله لا أُرسلك حتى تُحْسن فى موالىّ ، أربع مئة حاسر[3] وثلاث مئة دارع[4] قد مَنعونى من الأحمر والأسود ، تحْصدهم فى غَداة واحدة ؟ ! إنى والله امرؤٌ أخشى الدّوائر ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : هم لك .

---

(١) الجلب ( بتحريك اللام ) : كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها .

(٢) الظلل : جمع ظلة ، وهى السحابة فى الأصل ، فاستعاره هنا لتغير الوجه إلى السواد إذا اشتد غضبه .

(٣) الحاسر : الذى لا درع له .

(٤) الدارع : الذى عليه الدرع .

Marfat.com

واستعمل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على المدينة فى مُحاصرته إياهم بَشير بن عبدالمُنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرَة ليلة .

وكان لما حاربتْ بنو قَينْقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتشبّث بأمرهم عبدُ الله ابن أُبىّ ابن سَلُول ، وقام دونهم ، مشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لهم من حِلْفِه مثلُ الذى لهم من عبد الله بن أُبىّ ، فَخَلعهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ من حِلْفهم ، وقال : يا رسولَ الله ! أتولّى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلف هؤلاء الكُفّار وولايتهم . ففيه وفى عَبد الله بن أُبىّ نزلت هذه القصّة من المائدة : ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ[1] ) أى كعبد الله بن أُبىّ وقوله إنى أخشى الدّوائر ( يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ) ثم القصة إلى قوله تعالى : ( إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ) وذكر لتولّى عُبادة بن الصّامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قَيْنقاع وحِلفهم وولايتهم ( وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ) .

(١) سورة المائدة آية ٥١ وما بعدها .

Marfat.com

## سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وكان من حديثها : أنّ قريشاً خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريقَ العِراق ، فخرج منهم تُجَّار ، فيهم أبو سفيانَ بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بنى بكر يدُلهم فى ذلك على الطريق .

وبعث رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم زيد بن حارثة فلَقِيهم على القَرَدة ، وهى ماء من مياه نجد ، فأصاب تلك العِير وما فيها ، وأعجزه الرجالُ فقَدِم بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسّان بن ثابت يؤنب قريشاً لأخْذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشام قد حال دونها جِلادٌ كأفْواه المَخاضِ الأوارِكِ (١)
بأيْدِى رجال هاجروا نحو ربّهم وأنصارِه حقًّا وأيْدِى الملائك
إذا سَلَكَتْ للغَوْر من بَطْن عالجٍ فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ (٢)

## مقتل كعب بن الأشرف

وكان من حديث كَعْب بن الأشرف أنه لما أُصيبَ أصحاب بدر ، وقدم زيدٌ ابن حارثة إلى أهل السّافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشِيرَيْن ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه ، وقَتْل مَنْ قُتِل من المشركين .

---

(١) الفلجات : جمع فلجة ، وهى العين الجارية . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر .

(٢) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : موضع به رمل كثير .

قال كعب بن الأشرف حين بلغه الخبرُ : أحقٌّ هذا ؟ أترَوْن محمّدا قتل هؤلاء الذين يُسمِّى هذان الرجلان ! ! فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ النَاس !! والله لئن كان محمّد أصابَ هؤلاء القوم ، لبَطْنُ الأرضِ خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتى قدِم مكة فنزل على المطّلب بن أبى وَداعة ، وجعل يحرّض على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُنْشِد الأشعار ، ويبكى أصحاب القَليب من قُريش الذين أُصيبُوا ببدر .

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشَبّب(١) بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمدُ بن مَسْلمة : أنا لك به يا رسول الله ، أناأقتُله ؛ قال : فافعل إن قدرتَ على ذلك(٢) . فرجع محمد ابن مَسْلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا مايُعْلق به نفسه ، فذُكر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركتَ الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسولَ الله ! قلتُ لك قولاً لا أدرى هل أَفِين لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسول الله ! إنه لابد لنا من أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حلّ من ذلك .

فاجتمع فى قتله محمد بن مَسْلمة ، وسِلْكان بن سلامة وكان أخا كَعْب بن الأشْرف من الرّضاعة ، وعبّاد بن بِشْر ، والحارث بن أوس ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، ثم قدّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأشرف ، قبل أن يَأتوه ، سِلْكان بن سلامة ، فجاءه ، فتحدّث معه ساعة ، وتناشدُوا شعراً ، وكان سِلكان يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يابن الأشرف !

---

(١) يروى أنه شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، فقال :

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة ... وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات له .

(٢) قال السهيلى : فى هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبى صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا .

إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى ؛ قال : أفعلُ ؛ قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العربُ ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السُّبل حتى ضاع العيال ، وجُهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجهد عيالُنا ؛ فقال كعب : أنا ابنُ الأشرف ! أما والله لقد كنتُ أخبرك يا بن سلامة أنّ الأمر سيصير إلى ما أقول ، فقال له سِلْكَان : إنى قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك ، وتُحسِن فى ذلك ، فقال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تفضحنا ، إنّ معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتُحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحَلْقة[1] مافيه وفاء ، وأراد سلكان أن لاينكر السِّلاح إذا جاءوا بها ، قال : إن فى الحَلْقة لوفاء .

فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعُوا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن تشاوروا مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعِنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مُقْمِرة .

وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به سِلْكان ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب فى مِلْحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه السّاعة ، قال : إنه سِلْكان لو وجدنى نائما لما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرّ ، قال : لو يُدْعى الفتى لطعْنة لأجاب .

فنزل فتحدّث معهم ساعةً ، وتحدّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن نتماشى إلى شِعْب العجوز[2] ، فنتحدّث به بقيّة ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشَوْن ،

---

(١) يريد بالحلقة : السلاح كله ، وأصلها فى الدروع .

(٢) شعب العجوز : بظاهر المدينة .



Marfat.com

فمشوا ساعة ، ثم إن سلكان شامَ(١) يده فى فَوْد رأسه ، ثم شمّ يده فقال : ما رأيت كالليلة طِيبًا أعطرَ قطُّ ؛ ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوَّ الله فضربوه ؛ فاختلفت عليه أسيافُهم ، فلم تُغن شيئًا .

قال محمد بن مَسْلَمة : فذكرتُ مِغْولاً(٢) فى سيْفى ، حين رأيتُ أسيافَنا لاتُغْنى شيئًا ، فأخذتُه ، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلاّ وقد أُوقِدَتْ عليه نارٌ ، فوضعته فى ثُنَّته(٣) ، ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانتَه ، فوقع عدوُّ الله ، وقد أُصِيب الحارث بنُ أوس ، فجرح فى رجله ، أصابه بعضُ أسْيافنا فخرجنا حتى سَلَكنا على بنى أُمية بن زيد ، ثم على بنى قُرَيظة ، ثم على بُعاث ، حتى أَسْنَدْنا(٤) فى حَرَّة(٥) العُرَيْض(٦) ، وقد أَبْطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أَوْس ، ونَزَفه(٧) الدمُ ، فوَقَفْنا له ساعة ؛ ثم أتانا يَتبَع آثارَنا . فاحتملناه فجِئْنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ الليل ، وهو قائم يُصلّى ، فسلمْنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرْناه بقَتْل عدوّ الله ، وتفَل على جُرح صاحِبنا ، فرَجَع ورَجَعنا إلى أهلنا ، فأصْبحنا وقد خافتْ يهود لوَقْعتِنا بعدُو الله ، فليس بها يهودىٌّ إلا وهو يخاف على نفسه .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منْ ظفرتمْ بهِ منْ رِجَال يهُود فَاقْتلُوهُ .

وكانت إقامةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قُدومه من بَحْران ،

---

(١) شام يده : أدخلها .

(٢) المغول : السكين التى تكون فى السوط .

(٣) الثنة : ما بين السرة والعانة .

(٤) أسندنا : ارتفعنا .

(٥) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(٦) العريض : وادى المدينة .

(٧) نزفه : أضعفه بكثرة سيلانه .

Marfat.com

جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريشٌ غزوة أحُد فى شوال سنة ثلاث .

## غزوة أحد

وكان من حديث أحُد ، أنه لما اصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب . ورجع فَلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سُفيان بن حَرْب بعيره ، مَشَى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمةُ بن أبى جهل ، وصَفْوان بن أمية ، فى رجال من قُريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سُفيان بن حَرْب ، ومن كانت له فى تلك العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يامَعْشَر قُرَيش ! إن محمداً قد وَتَركم ، وقَتَل خِيارَكم ، فأعِينُونا بهذا المال على حَرْبه ، فلعلّنا نُدْرِك منه ثأرنا بمن أصاب منّا ، ففعلوا .

ففيهم أنزل الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ[1]) .

فاجتمعت قريش لحرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سُفيان ابن حرْب ، وأصحابُ العِير بأحابيشها[2] ، ومَنْ أطاعها من قبائل كِنانة ، وأهل تِهامة .

ودعا جُبَير بن مُطْعِم غلامًا له حَبَشيًّا يقال له : وَحْشى ، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحبشة ، قلّما يُخطىء بها ، فقال له : اخرُج مع الناس ، فإن أنت قَتلت حمزة عمّ محمد بعمّى طُعَيمة بن عَدِيّ ، فأنت عَتيق .

فخرجت قريش بحَدّها وجَدّها وحَديدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى كِنانة ،

---

(١) سورة الأنفال : آية ٣٦ .

(٢) يعنى بأحابيشها : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[1] التماسَ الحَفِيظة ، وألاّ يفرّوا . فخرج أبو سُفيان ابنُ حَرْب ، وهو قائدُ الناس بهنْد ، وخرج عِكرمة بن أبى جهل بأمّ حكيم ، وخرج الحارث بن هشام بن المُغيرة بفاطمة ، وخرج صَفْوان بن أمية ببرزة ، وخرج عمرو بن العاص بريْطة ، وكلهم فعل مثلهم . وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلّما مرّت بوَحْشىّ أومرّ بها ، قالت : ويْها أبا دَسْمة ! اشفِ واستَشْف ، وكان وَحْشىّ يُكْنى بأبى دَسْمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين ، بجَبَل ببطن السَّبْخة ، من قَناة على شَفِير الوادى ، مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيراً ، رأيتُ بقرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفى ثَلْمًا ، ورأيتُ أنى أدْخَلتُ يدِى فى دِرْع حَصِينة ، فأوّلتُها المدينة ، فأما البقر ، فهى ناسٌ من أصحابى يُقتلون ، وأما الثلم الذى رأيتُ فى ذُباب سَيْفى ، فهو رَجُلٌ من أهل بَيْتى يُقتل، فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينةِ وتَدَعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأىُ عبد الله بن أُبىّ بن سَلول مع رَأْى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، يَرَى رأيَه فى ذلك ، وألاّ يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يكرَهُ الخُرُوج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرمَ الله بالشهادة يوم أُحُد وغيره ، ممّن كان فاته بدرٌ : يارسول الله ! اخرُج بنا إلى أعدائنا ، لا يَرَوْن أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا ؟ فقال عبدُ الله ابن أُبىّ بن سَلول : يارسول الله ! أقِمْ بالمدينة لا تَخْرُجْ إليهم ، فوالله ما خَرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلا أصاب مِناً ، ولا دخَلها علينا إلا أصبْنا منه ، فَدَعْهم يارسولَ الله ، فإن أقامُوا أقامُوا بشرّ مَحْبِس ، وإنْ دخلوا قاتلهم الرجالُ فى وجههم ، ورماهم النّساء والصِّبيان بالحِجارة من فَوْقهم ، وإن رجَعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

فلم يَزَل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حبُّ لِقاء القوم

(١) يريد بالظعن : النساء فى الهوادج .

حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فَلَبِس لَأْمته ، وذلك يومَ الجمعة حينَ فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، قالوا : يارسولَ الله ! استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئتَ فاقعُد صلّى الله عليك ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : ماينبغي لنبيٍ إذا لَبِس لَأْمته أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ألفٍ من أصحابه .

واستعمل ابنَ أمّ مَكتوم على الصلاة بالناس . حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد ، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعَصانى ، ماندْرى علامَ نَقتُلُ أنفسَنا هاهنا أيها الناس ! فرَجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيْب ، واتبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بَنى سلمة ، يقول : ياقوم ! أذكِّركم الله ألاّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عند ما حَضَر من عدوِّهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لَمَا أسلمناكم ، ولكنا لا نَرَى أنه يكون قتالٌ . فلما استعْصَوا عليه وأبَوْا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغْنى الله عنكم نبيَّه .

ويقال إن الأنصار يوم أُحُد قالوا لرسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : يارسول الله ! ألا نَستعين بحُلفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحَاجة لنا فيهم .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سَلك في حرّة بنى حارثة ، فذَبَّ[1] فرس بذنبه ، فأصاب كلاّبَ سيفٍ[2] فاستلّه .

---

(١) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وكان يحبّ الفَأْل ولا يَعْتاف[1] ، لصاحب السيف : شِم[2] سيفك ، فإنى أرى السُّيوف ستُسل اليوم .

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب[3] من طريق لا يمُرّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة : أنا يارسول الله ، فنَفَذ به فى حَرّة بَنى حارثة ، و بين أموالهم ، حتى سَلك فى مال لِمرْبَع بن قَيْظىّ ، وكان رجلاً منافقاً ضَرِير البَصر ، فلمّا سمعَ حِسّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ معه من المسلمين ، قام يَحْثى فى وُجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أُحلّ لك أن تدخل حائطى ! وأخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّى لا أُصيب بها غيرك يامحمد لضربتُ بها وجهك ، فابتدره القَوْمُ لِيقتلوه ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القَلْبِ ، أعمى البَصَر ، وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، قَبْل نَهْى رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم عنه ، فضرَبه بالقوس فى رأسه ، فشجّه .

ومضى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم حتى نزل الشِّعب من أُحد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظَهْره وعسكره إلى أُحد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سرّحت قريش الظَّهر والكُراع[4] فى زروع كانت بالصَّمغة[5] ، من قَناة للمُسلمين ؛ فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم عن القِتال : أتُرعى زُروع بنى قَيْلة[6] ولما نُضارب ! ؟

وتعبّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقِتال ، وهو فى سَبْع مِئة رجل ، وأمّر على

---

(١) لا يعتاف : لا يتطير .

(٢) شم سيفك : أى أغمده . وهذا الفعل من الأضداد .

(٣) من كثب : من قرب .

(٤) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٥) الصمغة : أرض قرب أحد .

(٦) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج ،وقيلة : أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها .

Marfat.com

الرُّماة عبدَ الله بن جبير ، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثياب بيض ، والرُّماة خمسون رجلاً ، فقال : انضحِ[1] الخيل عنّا بالنَّبل ، لايأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبُت مكانك لانُؤْتَيَنّ مِن قِبَلك . وظاهرَ[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين ، ودفع اللّواء إلى مُصْعب بن عُمير .

وأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب ، ورافع بن خَديج ، وهما أبنا خمس عَشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل له : يارسول الله ! إن رافعًا رامٍ ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعًا ، قِيل له : يارسول الله ! فإن سَمُرة يَصْرع رافعًا ، فأجازه . وردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد ، وعبدَ الله بن عمر بن الخطّاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازِب ، وعمرو بن حَزم ، وأسيد بن ظهَير ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وتعبّأتْ قريشٌ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَبوها[3] ، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبى جهل .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة ، فقال : وما حقّه يارسولَ الله ؟ قال : أن تضرب به العدوّ حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يارسولَ الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أُعلِم بعِصابة له حمراء فاعتصب بها ، عَلِم الناسُ أنه سيُقاتل . فلما أخذ السيفَ من يدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عِصابته تِلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفّين .

(١) انضح الخيل ، أى ادفعهم .
(٢) ظاهر بين درعين ، أى لبس درعا فوق درع .
(٣) جنبوها : قادوها إلى جنوبهم .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمِشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

فلما التقى الناسُ كان أولَ من لقيهم أبو عامر[1] فى الأحابيش وعُبْدان أهل مكة ، فنادى : يامعشرَ الأوس ! أنا أبو عامر ! قالوا : فلا أنْعم الله بك عيناً يا فاسق — وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم الفاسق — فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرٌّ ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضَخهم[2] بالحجارة .

وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدار ، يُحرّضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدار ، إنكم قد وَلِيتم لِواءنا يوم بدر ، فأصابنا ماقد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم ! إذا زالت زالُوا ، فإما أن تَكفُونا لِواءنا ، وإما أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكْفِيكموه ، فهمُّوا به وتواعدُوه ، وقالوا : نحن نُسْلم إليك لواءنا ، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نَصْنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودَنا بعضُهم من بعض ، قامت هِندُ بنت عُتبة فى النِّسْوة اللاتى معها ، وأخذْن الدفوف يَضْربن بها خلف الرجال ويُحرّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْها بَنِى عبد الدارْ ويْها حُماةَ الأدبار[3]
ضَرْبًا بكل بتَّار[4]

---

(١) أبو عامر هذا هو الذى كان خرج إلى مكة مع رجال من الأوس مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم اثنان .

(٢) راضخهم : راماهم .

(٣) حماة الأدبار ، أى الذين يحمون أعقاب الناس .

(٤) البتار : القاطع .

Marfat.com

وتقول :

إن تقْبِلوا نُعانِقْ ونَفْرش النّمارِق[١]

أو تُدْبروا نُفارِق فِراقَ غيرَ وامِق[٢]

وكان شِعار[٣] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمِتْ ! أمِتْ !

فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس .

حدث الزّبير بن العوّام ، قال :

وَجدْتُ في نفسي حين سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنَعَنيه وأعطاه أبا دُجانة ، وقلت : أنا ابنُ صفيّة عمّته ، ومن قُريش ، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قَبْله ، فأعطاه إياه وتركني ! ! والله لأنظرنّ ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها . فخرَج وهو يقول :

أنا الذى عاهَــدنى خَليلى ونحنُ بالسَّفح لَدَى النَّخيلِ

ألا أقوم الدهرَ فى الـكَيُّول اضرب بسيف الله والرسول[٤]

فجعل لا يَلْقى أحداً إلا قتله ، وكان في المُشركين رجلٌ لا يَدَع لنا جريحًا إلا ذفّف عليه ، فجَعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يَجْمع بينهما ، فالتَقيا ، فاختَلفا ضَربتين ، فضَرب المُشْرك أبا دُجانة ، فاتّقاه بدَرقته ، فعَضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتَله ، ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفرِق رأس هِند بنت عُتبة ، ثم عدل السيفَ عنها .

---

(١) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٢) الوامق : المحب .

(٣) الشعار : علامة ينادون بها فى الحرب ، ليعرف بعضهم بعضا .

(٤) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب .

وقال فى ذلك أبو دُجانة : رأيت إنسانًا يَخمِش[1] الناس خَمْشا شديدا ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السيفَ وَلْوَل ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمت سيفَ رسولِ صلى الله عليه وسلمَ أن أضرب به أمرأة .

وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أرْطاة بن عبد شُرَحْبيل ، وكان أحد النفر الذين يَحْملون اللواء ؛ ثم مرّ به سِباع بن عبد العُزّى ، فقال له حَمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقطّعة البُظور ــ وكانت أمّه ختّانَةً بمكة ــ فلما التقيا ضَربه حمزةُ فقتله .

قال وَحْشِىّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعم : والله إنى لأنظر إلى حَمزة يَهُدُّ[2] الناس بسيفه ما يُليق[3] به شيئًا ، مثل الجمل الأوْرق[4] إذ تقدّمنى إليه سِباعُ بن عبد العزّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلى يابن مُقطّعة البُظور ! فضرَبه ضَربة ، وهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضيتُ منها دفعتُها عليه ! فوقعتْ فى ثُنَّته[5] حتى خرجتْ من بين رِجْليه ، فأقبل نحْوى ، فغُلِب فوقع ، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئْت فأخذتِ حَرْبتى ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

وقاتل مُصْعبُ بن عُمَير دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قُريش فقال: قتلتُ محمداً ! فلما قُتِل مُصْعب بن عُمير أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ علىَّ ابنَ أبى طالب ، وقاتل علىٌّ بن أبى طالِب ورجال من المسلمين .

ولما اشتدّ القِتال يومَ أُحد ، جلَس رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم تحت راية الأنصار، وأرْسل رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه أنْ

(١) خمش : خدش ولطم .
(٢) يهد : يرديهم ويهلكهم .
(٣) ما يليق : ما يبقى .
(٤) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .
(٥) الثنة : مابين أسفل البطن إلى العانة .

Marfat.com

قَدِّم الرايةَ . فتقدّم علىّ ، فقال : أنا أبو القُصَم[١] ! فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البِرَاز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبَرزا بين الصّفين ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضرَبه علىٌّ فصرَعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِز عليه ، فقال له أصحابُه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقْبلنى بعَوْرته ، فعطَفَتْنِى عنه الرّحم[٢] وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

ويقال إنّ أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصّفّين ، فنادى : أنا قاصمٌ[٣] مَنْ يُبارز برازاً ، فلم يخرجُ إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ! زعمتم أن قتْلا كم فى الجنّة ، وأن قتلانا فى النار ، كذبتْم واللات ! لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إلىّ بعضُكم ، فخرج إليه علىّ بن أبى طالب ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضَربه علىٌّ ، فقتله .

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلح ، فقَتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الُجلاس ابن طلحة كلاهما يُشْعِره[٤] سَهمًا ، فيأتى أُمّه سُلافَة ، فيَضع رأسَه فى حِجْرِها ، فتقول : يا بُنىّ ! من أصابَك ؟ فيقول سمعتُ رجلاً حين رَمانى وهو يقول ، خُذْها وأنا ابن أبى الأقْلح ، فنذرتْ إن أمْكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشرِكاً ، أبدا ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن علَى أهـلِ اللواء حقًّا    أن يَخضِبوا الصّعْدة أو تَندَقّا[٥]

---

(١) القصم : كسر بغير بينونة ، ككسر القضيب الرطب ونحوه .

(٢) وقد فعل على رضى الله عنه هذه مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بسر بن أرطاة ، ... بسر أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه ؛ ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على رضى الله عنه يوم صفين .

(٣) القصم : كسر ببينونة .

(٤) يشعره سهما ، أى يصيبه به فى جسده ، فيصير له مثل الشعار . والشعار : ما ولى الجسد من الثياب .

(٥) الصعدة : القناة .

Marfat.com

فقتله حمزةُ بن عبد المطلب :

والتقى حَنْظلة بن أبي عامر الغَسِيل وأبو سفيان ، فلما استعْلاه حَنْظلة بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود ، قد علا أبا سفيان . فضَرَبه شدّاد فقتَله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم – يعني حنظلة – لتُغسّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأنه ؟ فقالت : خرَج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة[1] .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسّلته الملائكة .

ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحسُّوهم[2] بالسيوف حتى كَشفوهم عن العسْكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

حدّث الزبير قال :

والله لقد رأيتُني أنظُر إلى خدَم هِند بنت عُتبة وصَواحبها مشمّرات هوارب ، ما دون أخْذهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماةُ إلى العسكر حين كَشَفنا القومَ عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خَلْفنا ، وصَرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ! فانكفأنا[3] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللواء حتى ما يَدْنو منه أحدٌ من القوم .

وكان من أمر لواء المشركين أنه لم يزل صَريعًا حتى أخَذته عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثيّة ، فرفعته لقُريش ، فلاثوا به[4] . وكان اللواء مع صؤاب ، غلامٌ لبني أبي طَلْحة حبشيّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتَل به حتى قُطِعت يداه ، ثم بَرك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعُنقه حتى قُتل عليه .

وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص ، أكرم الله

---

(١) الهاتفة : الصيحة . ويقال الهائعة . وجاء في الحديث : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها .

(٢) حسوهم بالسيوف : قتلوهم واستأصلوهم .

(٣) انكفأنا : رجعنا .

(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله والتفوا .

فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. فدُثَ(١) بالحجارة حتى وقع لشقّه(٢) ، فأصيبت رَباعيته ، وشُجَّ(٣) في وجهه وكُلِمت(٤) شفته ، وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقّاص .

عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رَباعية النّبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشُجَّ فى وجهه ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربّهم ! فأنزل الله عز وجل فى ذلك ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ(٥) ) .

عن أبى سعيد الخدرى : أن عُتبة بن أبى وقّاص رمَي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكَسر رَباعِيتَه اليُمنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجّه فى جَبْهته ، وأن ابن قَمِئة جَرح وَجْنته(٦) ، فدخلت حَلقتان من حَلَق المِغفر(٧) فى وجنته ، ووقع رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فى حُفْرة من الحُفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون ، وهم لا يعلمون ، فأخذ علىّ بن أبى طالب بيد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ورَفعه طَلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائما ، ومصّ مالك بن سِنان ، أبو أبى سعيد الُخدرى ، الدمَ عن وجه رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، ثم ازدرده(٨) ،

---

(١) فدث : رمى حتى التوى ببعض جسده .
(٢) الشق : الجانب .
(٣) شج : أصابته شجة .
(٤) كلم : جرح .
(٥) سورة آل عمران : آية ١٢٨ .
(٦) الوجنة : أعلى الخد .
(٧) المغفر : شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتق به فى الحرب .
(٨) ازدرده : ابتلعه .

Marfat.com

فقالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : من مَسّ دمى دمَه لم تُصبه النار . ومن أحبّ أن يَنظرُ إلى شَهيد يَمْشى على وجه الأرض ، فليَنْظر إلى طلْحة بن عُبيد الله .

عن عائشة عن أبى بكر الصديق :

أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحلْقتين من وجه رَسُولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فسقطت ثَنيّته ، ثم نزَع الأخرى ، فسَقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقطَ الثنيّتين .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين غَشيه القومُ : مَن رجلٌ يَشْرى لنا نفسَه ؟ فقام زياد بن السَّكَن فى نفر خمْسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ ، رجلاً ثم رجلا ، يُقتَلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد ، فقاتل حتى أَثْبتته الجراحة ، ثم فاءت فِئَةٌ من المُسلمين ، فأَجْهضَوهم[1] عنه ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : أدْنُوه منّى ، فأدنَوْه منه ، فوسّده قدَمه ، فمات وخدُّه على قَدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبل ابن قمئة ، لما ولّى الناسُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : دلُّونى على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ! فاعترضَتْ له نسيبة بنت كعب ، ومُصعب بن عُمير ، وأناس ممن ثبَت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب نسيبة ضربة أحدثت بعاتقها جُرْحا أجوف له غَوْر .

وترّس دون رسولِ الله صلى اللهُ عَليه وسلم أبو دُجانة بنفسه ، يقع النبلُ فى ظهره وهو مُنحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النبلُ ، ورمى سعدُ بن أبى وقّاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال سعد :

فلقد رأيتُه يُناولنى النبل وهو يقول : ارمِ ، فِداكَ أبى وأمى ، حتى إنه ليُناولنى السّهم ماله نَصْل ، فيقول : ارمِ به .

---

(١) اجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .

وذكروا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رمَى عن قوْسه حتى اندقَّت سِيَتُها[١] ، فأخَذها قتَادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينُ قتَادة بن النُّعمان ، حتى وقعت على وَجنَتِه .

ولكنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ردَّها بيده ، فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّها .

وانتهى أنسُ بن النَّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ؛ قال : فماذا تَصْنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتِل .

ووجد به يومئذ سبعون ضربة ، فما عَرَفه إلا أختُه ، عرفته ببَنانه .

أما عبد الرحمن بن عوف فقد أُصيب فُوه يومئذ فهُتِم[٢] ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضُها في رِجْله فعرج .

وكان أول من عَرَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقولِ الناس : قتل رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم ، كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تَزْهران[٣] من تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صَوتي : يا معشر المسلمين ! أبشرُوا هذا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ فأشار إلىّ رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أن أنْصِت .

فلما عرف المُسلمون رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ نَهضوا به ، ونَهض معهم نحو الشِّعب ، ومعه أبو بكر الصِّدّيق ، وعُمر بن الخطّاب ، وعلىّ بن أبي طالب وطلحة ابن عبيد الله ، والزُّبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصِّمَّة ، ورهط من المسلمين .

---

(١) السية : طرف القوس .

(٢) هتم : كسرت ثنيته .

(٣) تزهران : تضيئان .

Marfat.com

فلما أسند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب أدركه أُبَىّ بن خلف ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوتُ إن نجوتَ ؛ فقال القوم : يا رسول الله ! أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوه . فلمّا دنا تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحرْبةَ من الحارث بن الصِّمة . فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة ، تطايرَ القوم عنه تطايرَ الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطَعَنه فى عُنقه طَعنةً تدأدأ[2] منها عن فرسه مرارا .

وكان أُبَىّ بن خلف هذا يَلْقى رسولَ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ بمكة ، فيقول : يا محمد ! إن عندى العَوْذ ، فرساً أعلفه كل يوم فَرْقاً[3] من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتُلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدَشه فى عُنقه خدْشا غيرَ كبير فاحتَقن الدم ، قال : قتَلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بَصَق علىّ لقتَلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف[4] وهم قافلون به إلى مكة .

فلماَ انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إلى فَم الشِّعب خرَج علىٌّ بن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماء من المِهْراس[5] ، فجاء به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوَجد له ريحاً ، فعافه[6] ، فلم يَشرب منه وغَسل عن وَجهه الدمَ ، وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتد غَضبُ الله على من دمّى وجهَ نبيّه .

---

(١) الشعراء : ذباب له لدغ .

(٢) تدأدأ : تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

(٣) الفرق : مكيال يسع اثنى عشر رطلا .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها وهناك توفيت .

(٥) المهراس : ماء بأحد . أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس .

(٦) عافه : كرهه .

Marfat.com

فبينا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم بالشِّعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علَت عالية من قريش الجبلَ ، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ! فقاتل عُمر بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

ونهض رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى صَخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدَّن[1] رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وظاهر بين دِرعين ، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أوجَب[2] طلحة .

وصلى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلمَ الظهرَ يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المُسلمون خلفه قعودا ، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمَ حتى انتهى بعضُهم إلى المُنقى ، دون الأعوص[3] .

وحدث أنه لما خرج رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى أُحد ، رفع حُسَيلَ بن جابر ، وثابت بن وَقش فى الآطام مع النساء والصِّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : لا أبا لك !! ما تنتظر ؟ فوالله ما بقي لواحد منّا من عمره إلا ظِمء[4] حمار ، إنما نحن هامةُ[5] اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى

(١) بدن : أسن وضعف .

(٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٤) الظمء : مقدار مايكون بين الشربتين . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يقصر عن الماء ، فضرب مثلا لقرب الأجل .

(٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل فلا يزال يصيح : اسقونى اسقونى ! حتى يؤخذ بثأره ، فضربته العرب مثلا للموت .



Marfat.com

دخَلا فى الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وَقْش فقتله المُشركون ، وأما حُسَيل ابن جابر ، فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ؟ فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حُذيفة : أَبِى ! ! فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا ؛ قال حُذَيفة : يَغفِر الله لكم وهو أرحم الراحمين ؛ فأراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ، فتصدّق حُذيفة بدِيته على المُسلمين . فزاده ذلك عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

ويقال إن رجلا منهم كان يُدْعى حاطب بن أُميّة ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد ، أصابتْه جراحة يوم أُحد ، فأُتى به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجعل المُسلمون يقولون له : أبْشر يابن حاطب بالجنّة ، فقال أبوه ، وكانَ شيخاً قد عسا فى الجاهلية ، فنجَمَ يومئذ نِفاقُه : بأىّ شىء تبشرونه ؟ بجنّة من حَرْمل(١) ! ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

وكان فى المسلمين رجلٌ أتِىّ(٢) لايُدرى ممّن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم يقول إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ؛ فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالا شديدا ، فقتَل وحده ثمانية أوسبعة من المشركين ، وكان ذابأس ، فأثبتتْه الجراحة ، فاحتُمل إلى دار بنى ظَفَر . فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليتَ اليوم ياقُزْمان ، فأبشِر ! قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلتُ ؛ فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهْما من كِنانته فقتَل به نفسه .

وكان ممَن قُتل يوم أُحد مُخَيريق ؛ قال لما كان يوم أُحد : يامعشر يهود ! والله لقد علمتم أنّ نَصْر محمد عليكم لحقٌ ؛ قالوا : إنّ اليوم يوم السّبت ، قال : لا سَبْتَ لكم . فأخذ سيفَه وعُدّته ، وقال : إن أُصِبتُ فما لِى لمحمّد ، يَصْنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رَسولِ

---

(١) من حرمل : يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك .
(٢) أتى : غريب .

Marfat.com

الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيْرِيق خير يهود .

وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقاً ، فخرج يوم أُحد مع المسلمين ، فلما التقى الناسُ ، عَدا على المُجذّر بن ذِياد البَلَوى فقتله ، ثم لحق بمكة بقُريش ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمر عُمر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظَفِر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بَعث إلى أخيه الجُلَاس بنُ سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ( كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ البَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[1] ) إلى آخر القصة .

وكان أبو هريرة يقول :

حدِّثونى عن رجل دخَل الجنة لم يُصَلِّ قطُّ !؟ فإذا لم يَعرِفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرِم ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . وكان من شأنه أنه كان يأبى الإسلام على قومه ، فلمّا كان يوم خَرج رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم إلى أحد ، بدا له فى الإسلام فأسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فغدا حتى دخل فى عُرض الناس ، فقاتل حتى أثْبتته الجِراحة . فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يَلْتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرمُ ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ، فقالوا : ماجاء بك ياعمرو ؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة فى الإسلام ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سَيْفى ، فغدوتُ مع رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أنْ مات فى أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨٦ . ويقال إن سبب قتل الحارث للمجذر أنه كان يرى فيه قاتل أبيه سويد بن صامت . وقد سبق الكلام عن هذا الحادث .

Marfat.com

أما عمرو بن الجموح فكان رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ماعليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة . فخرج معه فقتل يوم أحد[1] .

ووقفت هند بنت عتبة ، والنسوة اللاتي معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن[2] الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدما[3] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطها وحشيا غلام جبير بن مطعم ، وبقرت[4] عن كبد حمزة ، فلا كتها[5] فلم تستطع أن تسيغها[6] فلفظتها[7] ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر ۞ والحرب بعد الحرب ذات سعر[8]
ما كان عن عتبة لي من صبر ۞ ولا أخي وعمه وبكري

(١) ذكر المؤرخون : أنه لما خرج قال : اللهم لا تردني ؛ فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ، ذكروا قوله : اللهم لا تردني إليها ، فدفنوه في مصرعه .

(٢) يجدعن : يقطعن .

(٣) الخدم جمع خدمة ، وهي الخلخال .

(٤) بقرت : شقت .

(٥) لاكتها : مضغتها .

(٦) أن تسيغها : أن تبتلعها .

(٧) لفظتها : طرحتها .

(٨) السعر : الالتهاب .

Marfat.com

شَفَيتُ نفسى ، وقَضَيتُ نَذْرى　　شَفَيتَ وَحْشِىُّ غَليل صَدْرى[١]

فشُكْرُ وَحْشِىٍّ علىَّ عُمْرى　　حتى تَرِمَّ أعظُمى فى قَبْرى[٢]

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المُطلب ، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بَدْر　　يا بنتَ وقّاعٍ عظيمِ الكُفْرِ[٣]

صَبَّحك الله غَداةَ الفَجْر　　مِلْهاشميّين الطِّوال الزُّهْرِ[٤]

بكلِّ قطّاعٍ حُسامٍ يَفْرِى　　حَمزةُ لَيْثى وعلىٌّ صَقْرى[٥]

إذ رام شَيْبٌ وأبوك غَدْرى　　فخَضَّبا منه ضواحى النَّحْرْ[٦]

وَنَذْرك السُّوء فشرُّ نَذْرِ

وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيتُ من حَمزة نَفسى بأُحد　　حتى بَقَرْتُ بطْنه عن الكَبِدْ

أَذْهَبَ عنِّى ذاك ما كنتُ أجِد　　من لَذْعة الحزن الشَّديد المُعتمِدِ[٧]

والحرب تَعلوكم بشُؤبوب بَرِد　　تُقدم إقداماً عليكم كالأسَد[٨]

---

(١) الغليل : العطش ، أو حرارة الجوف .

(٢) ترم : تبلى وتتفتت .

(٣) الوقاع : الكثير الوقوع فى الدنايا .

(٤) ملهاشمين ، أراد : من الهاشميين ، فحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا فى (من) وحدها لكثرة استعمالها . والزهر : البيض ، الواحد أزهر .

(٥) الحسام : السيف القاطع . ويفرى : يقطع .

(٦) شيب : أرادت شيبة . فرخمته فى غير النداء . وضواحى النحر : ماظهر من الصدر .

(٧) اللذعة : ألم النار ، أو ما يشبه بها . والمعتمد : القاصد المؤلم .

(٨) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة . وبرد ، أى ذو برد ، شبهت الحرب بها . وذكروا أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يابن الفريعة ! لو سمعت ماتقول هند ، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنى لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع — يعنى أطمه — فقلت : والله إن هذه لسلاح ماهى بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت ؛ فقال حسان بن ثابت :

أشرت لكاع وكان عادتها　　لؤما إذا أشرت مع الكفر

وقد كان الُحليس بن زَبّان ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبي سفيان ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بن عبد المطلب بزُجِّ الرمح ، ويقول : ذُق عُقَق[1] ؛ فقال الُحلَيس : يا بنى كِنانة ، هـذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ما تَرَون لحما[2] ؟ فقال : ويْحك ! اُكْتُمْها عنّى ، فإنها كانت زلّة .

ثم إن أبا سفيان بن حَرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صَرَخ بأعلى صوته ، فقال : أنعمْتَ فَعَالِ[3] ، إنّ الحرب سِجال[4] يوم بيوم ، أُعْلِ هُبَـل[5] فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عُمر فأجِبْه ، فقل: الله أعْلى وأجلّ ، لاسواء[6] ، قتلانا فى الجنّة ، وقتلاكم فى النار ؛ فلما أجاب عُمر أبا سُفيان ، قال له أبو سُفيان: هَلُمَّ إلىّ ياعمر ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر : ائته فانظر ماشأْنُه ؛ فجاءه ، فقال له أبوسفيان : أنشدكَ الله ياعمرُ ، أقَتَلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن ، قال : أنت أصدق عِندى من ابن قِمئة وأبر[7] .

ثم نادى أبو سُفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مُثَلٌ ، والله مارضيت ، وما سَخِطْتُ ، وما نهيتُ ، وما أمرت .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إنّ موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا و بينكم موعد .

ثم بعث رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، فقال : اخرُج فى آثار

(١) ذق عقق : أراد ياعاق .
(٢) لحما : أى ميتا لا يقدر على الانتصار .
(٣) أنعمت فعال : أى بالغت فارتفعت .
(٤) السجال : المكافأة فى الحرب وغيرها .
(٥) هبل : اسم صنم ، أى أظهر دينك .
(٦) لاسواء : أى لا نحن سواء .
(٧) وذلك لقول ابن قمئة لهم : إنى قتلت محمدا .

Marfat.com

القوم ، فانظُر ماذا يَصْنعون وما يُريدون ؟ فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيل[1] ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فإنهم يُريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنّهم . قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ، فجنّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ووَجّهوا إلى مكة .

وفرغ الناس لقَتْلاهم ، فقال رسولُ الله صَلّى اللهُ عليْهِ وَسَلّمَ : مَنْ رجل ينظر لى مافعل سَعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سَعد ؛ فنظرَ فوَجده جريحاً فى القتْلى وبه رَمق . فقال له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظُر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وَسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ماجزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغْ قومَك عنّى السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعُذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيّكم صَلى اللهُ عليهِ وَسلم ومنكم عينٌ تطرِف . ثم لم يبرح حتى مات ، فجاء إلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره[2] .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يَلتمس حمزةَ بن عبد المُطلب ، فوَجده ببَطْن الوادى قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فجُدِع أنفُه وأُذُناه ، فقال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزَن صَفيّة ، ويكون سُنّة من بعدى لتركْتُه ، حتى يكون فى بطون السّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قُرَيش فى مَوْطن من المَواطن ، لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم .

فلما رأى المسلمون حُزْن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَغَيظه على مَن فعل بعمه

---

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

(٢) يروى أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها ؛ فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرا ، واستشهد يوم أحد .

ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لن أُصاب بمثلك أبدا ! ما وقفتُ موقفًا قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأخبرنى إنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرْضَعتهم مولاة لأبى لهب .

وأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك ، من قول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه ( وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ[1] ) فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصَبَرَ ونهى عن المثلة .

عن سَمُرة بن جُنْدب ، قال :

ما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قطّ ففارقه ، حتى يأمرنا بالصّدقة ، وينهانا عن المثلة .

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّى[2] ببردة ، ثم صلى عليه فكبّر سبعَ تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٦ وما بعدها .

(٢) سجى : غطى .

وقد أقبلتْ فيما بَلغني ، صفيَّة بنت عبد المطلب لتنظُر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوام : القَها فارْجعها لاترَى مابأخيها ؛
فقال لها : ياأُمَّهْ ! إن رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسَلم يأمُرُكِ أن ترْجعي ، قَالت : ولم ؟
وقد بلغني أن قد مُثل بأخي وذلك في الله ، فماأرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن
إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسُولِ الله صلى الله عليه وَسلم فأخبره بذلك ؛ قال : خلِّ سبيلَها ،
فأتَته ، فنظرتْ إليه ، فصلّت عليه واسترْجعت(١) ، واستغفرَت له ، ثم أمر به رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم فدُفن .

وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلاهم إلى المَدينة فدَفنوهم بها ، ثم نَهَى رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

عن أبي هُريرة :

قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يُجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم
القيامة وجُرحه يَدْمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حين أمر بدَفن القتلى : انظروا إلى
عَمْرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام ، فإنهما كانا مُتصافِيين في الدنيا ، فاجعلوهما
في قبر واحد ، وانظروا أكثر هؤلاء جَمعًا للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر .

ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ، فلقِيته حَمْنة بنت جحش ،
فلما لقيت الناسَ ، نُعِي إليها أخُوها عبدُ الله بن جحش ، فاسترْجعت واستَغفرت له ، ثم
نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها زوجها مُصْعب

---

(١) استرجعت : قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

ابن عُمير ، فصاحت وَوَلولت ! فقال رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم : إن زَوْج المرأة منها لبمكان ! لِمَا رأى من تَثَبّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

ومرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبدالأشهل وظَفَر ، فَسمع البكاء والنَّوائح على قتْلاهم ، فذَرفت عينا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، ثم قال : لكنّ حمزة لا بواكى له ! فلما رجع سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيَبْكِين على عمّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ولما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكاءهن على حمزة خرج عليهن وهنّ على بابِ مَسْجده يبكين عليه ؛ فقال : ارجعن يرْحمكن الله ، فقد آسيتنّ[1] بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النَّوْح .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن : رحم الله الأنصار ! فإن المُواساة منهم ما عتمتْ لَقَديمة ، مُروهنّ فلْيَنْصرفن .

ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأةَ من بنى دِينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرُونيه حتى أنظرُ إليه ؟ فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل[2] !

فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيْفه ابنَته فاطمة ، فقال : أغسِلي عن هذا دَمه يا بُنيّة ، فوالله لقد صدَقنى اليومَ ؛ وناولها عليُّ بن أبى طالب سَيْفه ، فقال : وهذا أيضا ، فاغسِلى عنه دَمه ، فوالله لقد صدَقنى اليوم ، فقال رسولُ

(١) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال فى المعونة .

(٢) الجلل : يكون من القليل ومن الكثير ، وهو هنا من القليل .

الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنتَ صدقتَ القِتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

وكان يُقال لسَيْف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار[1] .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : لا يُصيب المشركون منّا مثلَها حتى يَفتح الله علينا .

وكان يوم أحد يوم السّبت للنّصف من شوّال .

فلما كان الغدُ من يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلة مضتْ من شوال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، فأذّنَ مؤذّنه : أن لا يخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضر يومَنا بالأمس .

فكلمه جابر بن عبد الله ، فقال : يارسول الله ! إنّ أبى كان خَلّفنى على أخوات لى سَبْع ، وقال : يابُنَيَّ ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نَترك هؤلاء النِّسوة لا رَجل فيهنّ ، ولست بالذى أُوثرك بالجِهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَفسى ، فتخلّفْ على أخواتك ، فتخلّفتُ عليهن ، فأذِن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرَج معه .

وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدوّ، وليبلغهم أنه خرج فى طَلبهم ليظنّوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوِّهم .

ويروى أن رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عَبد الأشهل ، كان شَهد أحدًا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدتُ أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرَجعنا جَرِيحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى وقال لى : أتفوتُنا غَزوةٌ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالَنا من دابّة نرْكبها ، وما منّا إلا جَريح ثَقيل ؛ فخرجنا مع

(١) وكان ذو الفقار سيف العاصى بن منبه ، فلما قتل كافرا يوم بدر صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء إلى على بن أبى طالب .

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسرَ جُرحًا ، فكان إذا غُلِب حملته عُقبةً[1] ، ومشى عُقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمْراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مَكْتوم ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

ومرّ به معبدُ بن أبى مَعْبد الخزاعىّ ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشركهم عَيْبةَ نُصح[2] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقتهم[3] معه ، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرِك ، فقال : يا محمد ! أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولودِدْنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرَّجْعة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكُرَّنّ على بقيتهم ، فلنفرُغنّ منهم .

فلما رأى أبو سُفيان معبداً ، قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يَطْلُبكم فى جَمْع لم أرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون[4] عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يَوْمكم ، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق[5] عليكم شىء لم أرَ مثله قطُّ ؛ قال : ويحك ! ماتقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيلِ ،

---

(١) عقبة : من الاعتقاب فى الركوب .

(٢) عيبة نصح رسول الله : أى موضع سره .

(٣) صفقتهم معه ، أى اتفاقهم معه .

(٤) يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

Marfat.com

قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ، لنَستأصل بقيّتهم ، قال : فإنى أنهاك عن ذلك .

ومرّ بأبى سفيان ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؛ قال : ولم ؟ قالوا : نُريد المِيرة ؛ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غدا زَبيباً بعُكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَستأصل بقيتهم . فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال : حَسْبُنا الله ونعم الوكيل .

ثم إنّ أبا سُفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرُّجوع إلى المدينة ليَستأصل بقيّة أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صَفْوان بن أميّة بن خَلَف : لا تَفعلوا ، فإنّ القوم قد حَرِبوا[1] ، وقد خَشينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجعُوا . فرجعوا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلغه أنهم هَموا بالرَّجعة : والذى نَفسى بيده ، لقد سُوِّمت[2] لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ ابن المُغيرة ، وهو جدّ عبد الملك بن مروان ، وأبا عَزّة الجُمحى ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسرَه ببدر ، ثم مَنّ عليه . فقال : يارسول الله ! أقِلْنى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خدعت محمداً مرّتين[3] ، اضربْ عنقه يازُبير . فضرب عُنقه .

---

(١) حربوا : غضبوا .

(٢) سومت ، أى جعلت ذا علامة يعرف بها أنها من عند الله .

(٣) عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

Marfat.com

ويقال إن زيدَ بن حارثة وعمّار بن ياسر قتلاَ مُعاوية بن المغيرة بعد حمْراء الأسد، وكان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى، فبعثهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

فلمّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان عبدُ الله بن أبيّ بن سَلول، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنكَر، شرفًا له فى نفسه وفى قومه ـ وكان فيهم شريفًا ـ إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزّكم به، فانصُروه وعزِّروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس.

حتى إذا صنع يوم أحد ما صَنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه، وقالوا: اجلس، أى عدوّ الله! لستَ لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعتَ. فخرج يتخطّى رقابَ الناس، وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرا[1] أن قمت أشدّد أمرَه. فلقِيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد فقال: مالك؟ ويلك! قال: قمتُ أشدّد أمره، فوثب علىّ رجالٌ من أصحابه يجذبوننى ويُعنّفوننى، لكأنما قلت بَجْرا أنْ قمتُ أشدّد أمره؛ قال: ويلك! ارجع يَستغفر لك رسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسلم؛ قال: والله ما أبتغِى أن يَستغفر لى.

(١) بجرا: أمرا عظيما.

# ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وَتمحيص، اختبر الله به المُؤمنين ، ومحن به المنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُستخف بالكفر فى قلبه ، ويومًا أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته .

فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستّون آية من آل عِمْران ، فيها صِفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم ( وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[1] ) . ( إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ) أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سَلَمة ابن جُشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النّبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى ( وَاللهُ وَلِيُّهُمَا ) أى المُدافع عنهما ما همّتا به من فَشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما ، غير شكّ فى دينهما ، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سَلِمتا من وهُونهما وضَعفهما ، ولَحِقتا بنبيّهما صلى الله عليه وسلم .

يقول الله تعالى ( وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ) أى من كان به ضَعف من المؤمنين فليتوكّل علىّ ، وليستعِنْ بى ، أُعِنْه على أمره ، وأُدافع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدفع عنه ، وأقوّيه على نيّته ( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) أى فاتقونى ، فإنه شُكر نعمتى ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ( إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى ! إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا ، يُمْدِدْكُمْ

(١) تبوئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل ـ سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ[(١)] ) أى إن تصبروا لعدوّى ، وتُطيعون أمرى ، ويأتوكم من وَجْههم هذا أُمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

( وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلاّ بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) أى ما سَمّيت لكم مَنْ سَمّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسُلطانى وقُدرتى ، وذلك أن العزّ والحكم إلىّ لا إلى أحد من خَلقى ، ثم قال ( لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ[(٢)] ) أى ليقطع طرفاً من المُشْركين بقَتْل يَنتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين ، أى ويَرْجِعَ مَنْ بَقِى منهم فَلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئًا مما كانوا يأملون .

ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ[(٣)] ) أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتُوب عليهم برحمتى ، فإن شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحَقّى ( فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ) أى قد استوْجبوا ذلك بمَعْصيتهم إيّاى ( وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) أى يغفر الذنب ويَرحم العباد على مافيهم .

ثم قال ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ) أى لا تأكلوا فى الإسلام إذ هدا كم الله به ما كُنتم تأكلون إذ أنتم على غَيْره ، مما لا يَحلّ لكم فى دينكم

---

(١) مسومين : معلمين . وقد ذكرت سيماهم فى الحديث عن غزوة بدر .

(٢) يكبتهم : يغمهم أشد الغم ويمنعهم ما أرادوا ويصرعهم لوجوههم .

(٣) وقال السهيلى ، عند ذكر قوله تعالى « ليس لك من الأمر شىء » : وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاص حتى أنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شىء » قال : فتابوا وأسلموا وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان ، خلافا لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيدا بالشام ، وأما عمرو بن العاص فقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : « أسلم الناس وآمن عمرو » .

( وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذّركم الله من عذابه ، وتدركون مارغّبكم الله فيه من ثوابه ( وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ) أى التى جُعلت دارا لمن كَفَر بى .

ثم قال ( وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) معاتبةً للذين عَصَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره ثم قال ( وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ) أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى ( الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ) أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحِبّ مَنْ عمل به ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نَهى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ( وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) أى لم يُقيموا على مَعصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلَوا به فى كفرهم وهم يعلمون ماحرّمتُ عليهم من عِبادة غيرى ( أُولٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ) أى ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المُصيبة التى نزلت بهم ، والبَلاء الذى أصابهم ، والتَّمْحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشُّهداء منهم ، فقال تعزيةً لهم ، وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم ( قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ) أى قد مَضت منّى وقائع نقْمة فى أهل التكذيب لرُسلى والشّرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مَثُلات قد مَضت منّى فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أمليت لهم ، أى لئلا يظنوا أنّ نقمتى انقطعتْ



Marfat.com

عن عدوّكم وعدوّى ، للدولة التى أدلتهم بها عليكم ، ليبتليكم بذلك ، ليعلم ما عندكم .

ثم قال تعالى ( هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ) أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ( وهُدًى ومَوْعِظَةٌ ) أى نور وأدب للمتقين ، أى لمن أطاعنى وعرف أمرى ( وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا ) أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ( وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ) أى لكم تكون العاقبة والظهور ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) أى إن كنتم صدقتم نبيّى بما جاءكم به عنّى ( إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ) أى جراح مثلها ( وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ) أى نصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص ( وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ) أى ليُميّز بين المؤمنين والمنافقين ، وليُكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ( وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ) أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ ، وقلوبهم مُصِرّة على المَعصية ( وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ) أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلّصهم بالبَلاء الذى نَزَل بهم وكيف صَبْرهم ويقينهم ( وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ) أى يُبطل من المنافقين قولَهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يُظهر منهم كُفرهم الذى يَستترون به .

ثم قال تعالى ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ) أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى خُروجه بهم إلى عدوّهم لما فاتهم من حُضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال ( وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ) يقول ( فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ

تنظُرُون ) أى الموت بالسّيوف فى أيدى الرجال قد خلّى بينكم و بينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم ( وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ) أى لقول الناس : قُتل محمد صلى اللهُ عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم ( أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ) رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوّكم ، وكتاب الله ؟ ؟ وما خلّف نبيّه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنّى أنه ميت ومُفارقكم ( وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ ) أى يرجع عن دينه ( فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا ) أى ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قُدرته ( وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ) أى مَنْ أطاعه وعمل بأمره .

ثم قال ( وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً ) أي أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلاً هو بالغه ، فإذا أذن الله عزّ وجل فى ذلك كان ( وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ ) أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نُؤْته منها ما قُسم له من رزق ، ولا يَعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظّ ، ومن يرد ثواب الآخرة نُؤْته منها ما وُعد به ، مع ما يُجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

ثم قال ( وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ) أى وكم من نبىّ أصابه القتل، ومعه رِبّيون كثير، أى جماعة ، فما وَهَنوا لفقد نبيهم، وماضعفوا عن عدوّهم، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحب

Marfat.com

الصابرين ( وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ) .

أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم ، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظّهور على عدوهم ، وحُسن ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ) أى عن عدوكم فتذهب دُنيا كم وآخرتكم ( بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ) فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه ( سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ) أي الذى به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصْر ولا ظُهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذُنوب قدّمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبىّ صلى الله عليه وسلم ( وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ[1] ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) أى وقد وفيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر

---

(١) قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، ولا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبتت معه طائفة ، فاستشهد واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو وكانت المصيبة .

على عدوّكم، إذ تحسُّونهم بالسيوف، أي القتل، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم، وكفِّى أيديهم عنكم.

حتى إذا فشلتم، أى تخاذلتم وتنازعتم في الأمر، أى اختلفتم فى أمْرى، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم، يعنى الرماة (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) أى الفتح، لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم، (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وتَرْك ما أُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة: (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) أى الذين جاهدوا فى الله، ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه، لِعَرض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة، أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم، ولكنى عُدت بفضلى عليكم، وكذلك من الله على المؤمنين أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبًا وموعظة، فإنه غيرُ مستأصل لكل مافيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من مَعْصيته، رحمةً لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

ثم أنبهم بالفرار عن نبيّهم صلى اللهُ عليهِ وسلم، وهم يُدعون لا يَعطفون عليه لدُعائه إيام، فقال (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) أى كرْبا بعد كرب، بقتل من قُتل من إخوانكم، وعلوّ عدوكم عليكم، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًّا بغم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم (وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وكان الذى فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم، أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة

Marfat.com

الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظُّهور عليهم ، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صرَفَ الله القتلَ عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ( ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَافِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ مَافِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) فأنزل الله النعاسَ أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يَخافون ، وأهلُ النّفاق قد أهمّتهم أنفسهم ، يَظنّون بالله غيرَ الحق ظنّ الجاهلية ، تخوفَ القتلَ ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم ، وحَسْرتهم على ما أصابهم .

ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى اللهُ عليه وسلم ( قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ) لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهرالله فيه منكم ماأظهرَ من سَرائركم ( لَبَرَزَ ) لأخرج ( الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ) إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به مافى صدورهم ( وَلِيُمَحِّصَ مَافِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) أى لايَخفى عليه مافى صُدُورهم ممّا استخفوا به منكم .

ثم قال ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرب فى الأرض فى طاعة الله عزّ وجل ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا

أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا ( لِيَجْعَلَ اللهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ) لقلة اليقين بربهم ( وَاللهُ يُحْيِى وَيُمِيتُ ) أى يُعجّل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقُدْرته ، ثم قال تعالى ( وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ) أى إن الموت لـكائن لابدّ منه ، فموتٌ فى سبيل الله أو قتل خير لو علموا وأيقنوا، مما يَجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتْل لما جمعوا من زَهْرة الدنيا زهادةً فى الآخرة ( وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ) أىّ ذلك كان ( لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ) أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرّنـكم الدنيا ، ولا تَغترُّوا بها ، وليـكن الجهادُ وما رغبـكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ) أى لتركوك ( فَاعْفُ عَنْهُمْ ) أى فتجاوز عنهم ( وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ) فذكر لنبيّه صلى اللهُ عليه وسلم لينه لهم ، وصَبْره عليهم لضَعْفهم، وقلّة صَبْرهم على الغِلْظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه ، مما افترض عليهم من طاعة نبيّهم صلى اللهُ عليهِ وسلم ثم قال تبارك وتعالى ( فَاعْفُ عَنْهُمْ ) أى تجاوز عنهم ( وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ) ذنوبهم من قارف[1] من أهل الإيمان منهم ( وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ) أى لتُرِيَهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت غنيًّا عنهم ، تألفا لهم بذلك على دينهم ( فَإِذَا عَزَمْتَ ) أى على أمرٍ جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أُمرتَ به ، على خلاف من خالفك ومُوافقة من وافقك ( فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ) أى ارض به من العباد ( إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ) أى لئلا تترك

---

(١) يقال : قارف الرجل الذنب إذا دخل فيه ولابسه .

أمرى للناس ، وارفُض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله ، لا على الناس ، فليتو كل المؤمنون .

ثم قال (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) أى ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ثم يُجزى بكسبه ، غير مظلوم ولا متعدًّى عليه ( أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ ) على ما أحبَّ الناسُ أو سخطوا ( كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ ) لرضا الناس أو لسخطهم ؟ يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله ، واستوجب سخطه فكان مأواه جهنم وبئس المصير ، أسواء المثلان ! فاعرفوا ( هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ) لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار ، أى أن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال ( لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) أى لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم ، فيعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشرّ فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته ، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته ( وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) ، أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لاتعرفون حسنة ، ولا تستغفرون من سيئة ، صمٌّ عن الخير ، بُكم عن الحق ، عُمىٌ عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )

Marfat.com

أى إن تلك قد أصابتكم مُصيبة فى إخوانكم بذُنوبكم ، فقد أصَبْتم مثليها قبلُ من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسراً ، ونسيتم معصيتكم وخِلافكم عما أمركم به نبيكم صلى اللهُ عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم (إن اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ) أى إن الله على ما أراد بعِبادِه من نِقمة أو عَفْو قدير (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ) أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم مافعلتم بعد أن جاءكم نَصْرى وصَدَقتكم وَعْدى ، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أى ليظهر مافيهم .

(وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا) يعنى عبدالله بن أُبَىّ وأصحابَه الذين رَجعوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد ، وقولهم لو نعلم أنكم تُقاتلون لسِرْنا معكم ، ولَدَفعنا عنكم ، ولكنا لا نظن أنه يكون قِتال . فأظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم . يقول الله عزّ وجل (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فى قُلُوبِهِمْ) أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) أى مايُخفون (الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ) الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم (لَوْ أَطَاعُونَا مَاقُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَءوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أى أنه لابدّ من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حِرْصًا على البقاء فى الدنيا ، وفرارا من الموت .

ثم قال لنبيه صلى اللهُ عليهِ وسلم ، يرغّب المؤمنين فى الجهاد ، ويهوّن عليهم القتل (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ) أى لا تظنّن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا . أى

قدأخبيتهم ، فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أى ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزن . يقول الله تعالى (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ) لمـا عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

عن ابن عباس :

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لمـا أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر ، ترِد أنهارَ الجنّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طِيبَ مَشربهم ومأكلهم وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزْهدوا فى الجهاد ، ولا ينْـكُلوا[1] عن الحرب . فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات (ولا تحسبنّ) .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، مامن مُؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار وأنّ له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يُردّ إلى الدنيا ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيُقتل مرةً أخرى » .

ثم قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ) أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد[2] على مابهم من ألم الجراح ( لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ) وكان من قول الناس لهم : إن أبا سفيان ومن معه

---

(١) لا ينكلوا : أى لا يرجعوا هائبين لعدوهم خائفين منه .

(٢) حمراء الأسد : موضع .

Marfat.com

راجعون إليكم . يقول الله عز وجل ( فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ) لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ( إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ ) أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ( يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ) أى يرهبكم بأوليائه ( فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ) أى المنافقون ( إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ) أى المنافقين ( وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ) أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا مايدخل عليكم فيه ( وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ) أى بعلمه ذلك ( فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ) أى ترجعوا وتتوبوا ( فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ) .

• • •

وكان عدد الذين استشهدوا من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسا وستين رجلا ، وجميع من قتل الله تبارك وتعالى من المشركين يوم أحد اثنان وعشرون رجلا .

Marfat.com

# ذكر يوم الرجيع

## فى سنة ثلاث

قَدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد رهطٌ من عَضَل والقارَة، فقالوا: يا رسولَ الله، إن فينا إسلاماً، فابعثْ معنا نفراً من أصحابك يُفقهوننا فى الدين، ويُقرئُوننا القرآن، ويعلّموننا شرائع الإسلام، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستة من أصحابه.

وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبى مرثدٍ الغَنوىّ، فخَرج مع القوم، حتى إذا كانوا على الرّجيع، ماء لِهُذيل بناحية الحجاز، على صدور الهَدْأة[1] غدرُوا بهم، فاستصرَخوا[2] عليهم هُذيلاً، فلم يَرُع القوم، وهم فى رِحالهم إلا الرّجال بأيديهم السيوف، قد غَشُوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نُريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لا نقتلكم.

فأما مَرْثَد بن أبى مرثد وخالد بن البُكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نَقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً.

ثم قاتلوا القومَ حتى قُتِلوا.

فلما قُتل عاصم، أرادت هُذيل أخذ رأسِه، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيد، وكانت قد نَذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحْفه الخمر، فمنعته الدّبر[3]، فلما حالت بَيْنه وبينهم الدّبْر، قالوا: دعُوه حتى يُمْسى

(١) الهدأة: هو موضع بين عسفان ومكة.

(٢) استصرخوا: استنصروا.

(٣) الدبر: الزنابير والنحل.

Marfat.com

فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادىَ ، فاحتمل عاصما ، فذهب به .

وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لايمسّه مشرك ، ولا يمسّ مُشركا أبداً ، تنجُّسًا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ، حين بلغه أن الدَّبْرَ منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نَذر أن لايمسّه مشركٌ ، ولا يمس مشركا أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته .

وأما زيد بن الدَّثِنَة وَخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خَرجوا بهم إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران[1] انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران[2] ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبْره ، رحمه الله ، بالظَّهْران ، وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَة فقدموا بهما مكة . فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة . فابتاع خُبيباً حُجيرُ بن أبى إهاب التميمىّ ليقتله بأبيه . وأما زيد بن الدَّثنة فابتاعه صَفْوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أُميَّة بن خلف ، وبعث به صفوان ابن أميـة مع مولًى له ، يقال له نِسطاس ، إلى التَّنْعيم[3] ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمعَ رهط من قُريش ، فيهم أبو سفيان بنُ حَرْب ، فقال له أبو سفيان حين قَدِم ليُقتل : أَنْشُدُكَ اللهَ يازيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نَضرِب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ماأحبّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكة تُؤذيه ، وأنّى جالس فى أهـلى . فقال أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يُحب أحدا كحبّ أصحاب محمدٍ محمدًا ، ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

---

(١) الظهران : واد قرب مكة .

(٢) القران : الحبل يربط به الأسير .

(٣) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة .

Marfat.com

وأما خُبيب بن عدىّ ، فحدّثنى عبدُ الله بن أبى نَجيح ، أنه حُدِّث عن ماويّة ، مولاة حُجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت :

كان خُبيب عِندى، حُبس فى بيتى ، فلقد اطّلعت عليه يومًا وإن فى يده لقِطفًا من عنب ، مِثل رأسِ الرَّجُل يأكل منه ، وما أعْلم فى أرض الله عنبًا يُؤكل .

وقال لى حين حضَره القتلُ : ابعثى إلىّ بحَديدة أتطهّر بها للقتل ، فأعطيتُ غلامًا من الحىّ المُوسى ، فقلت : ادخل بها على هـذا الرجل البَيت ، فوالله ماهو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل !! فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لَعمْرك ، ماخافت أمُّك غَدْرى حين بعثَتك بهذه الحديدة إلىّ ! ثم خلّى سبيلَه .

ثم خرجوا بخُبَيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليَصْلبوه ، قال لهم : إن رأيتمُ أن تَدعونى حتى أرْكعَ رَكْعتين فافعـلوا ، قالوا : دونك فاركع ؛ فركع ركعتين أتمهما وَأحْسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أنى إنمـا طوّلت جزعًا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة .

فكان خُبيب بنُ عدىّ أول من سنّ هاتين الرّكعتين عند القتل للمُسلمين ، ثم رَفعوه على خشبة ، فلما أوْثقوه ، قال : اللهم إنّا قد بلّغنا رسالةَ رسولك ، فبلِّغه الغداةَ مايُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحْصهم عددا ، واقتلهم بَدَدًا[1] ، ولا تغادر منهم أحـدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبى سفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضرَه مع أبى سفيان ، فلقد رأيتهُ يُلْقِينى إلى الأرض فَرَقًا من دعوة خُبيب . وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سَعيد بن عامر على بعض الشام ، فكانت

(١) بددا : متفرقين .

Marfat.com

تُصيبه غَشْيةٌ وهو بين ظَهرَى القوم، فذُكر ذلك لعُمر بن الخطاب، وقيل: إن الرجل مُصاب. فسأله عمَر فى قَدْمةٍ قَدِمها عليه، فقال: ياسَعيد، ماهذا الذى يصيبُك؟ فقال: والله ياأميرَ المؤمنين مابى من بَأس، ولكنّى كنتُ فيمَن حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتِل، وسمعتُ دعوتَه، فوالله ماخطرتْ على قلبى وأنا فى مَجلس قطُّ إلا غُشى علَىّ، فزادتْه عند عمر خيْرًا.

وقد أقام خُبيب فى أيديهم حتى انقضتِ الأشهرُ الحرم، ثم قتلوه.

ويروى أنه لما أصيبَتْ السَّريّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع، قال رجالٌ من المُنافقين: ياويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا هكذا!! لاهم قعدوا فى أهليهم، ولاهم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيَاةِ الدُّنيَا) أى لما يُظهر من الإسْلام بلسانه (وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَافِى قَلْبِهِ) وهو مخالفٌ لما يقول بلسانه (وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ[1]) أى ذو جِدال إذا كلمك وراجَعك.

قال تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى) أى خرج من عندك (سَعَى فى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ[2]) أى لا يحب عمله ولا يرضاه (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[3]) أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله، والقيام بحقّه، حتى هلكوا على ذلك، يعنى تلك السَّريّة.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٠٦ وما بعدها ويشرى نفسه: يبيعها.

Marfat.com

وقال حسان بن ثابت فى ذم المشركين الذين مثلوا بخبيب .

إنْ سرّكَ الغدْرُ صِرْفًا لامِزاجَ له ... فأت الرّجيع فسَلْ عن دار لِحيان[1]
قومٌ تواصَوْا بأكْل الجار بينهم ... فالكلْبُ والقِرْد والإنسان مِثْلان
لو ينطِقُ التّيسُ يومًا قام يخطُبهم ... وكان ذا شَرَف فيهم وذا شان

## حديث بئر معونة

### فى صفر سنة أربع

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيةَ شوال وذا القعدة وذا الحجة ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرم ، ثم بعث رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم أصحابَ بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد .

وكان من حديثهم أن أبا بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسنّة قدم على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم المدينةَ ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام ، وقال : يامحمد ! لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدَعَوْهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يَسْتجيبوا لك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشَى عليهم أهلَ نجد ، قال أبو بَراء : أنا لهم جار ، فابعَثْهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ المُنذر بن عَمرو ، أخا بنى ساعدة ، المُعنِق لِيَموت[2] فى أربعين رجلا من أصحابه ، من خِيار المسلمين . فساروا

(١) هو ابن هذيل بن مدركة ، القبيل الذى غدر برسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) المعنق ليموت : أى المسرع ، وإنما لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

Marfat.com

حتى نزلوا ببئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سُليم ، كِلا البَلدين منها قريب .

فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطُّفيل ، فلما أتاه لم ينظُر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتَله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِر[1] أبا بَراء ، وقد عقد لهم عقداً وجِواراً ! ! فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُلَيم فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القومْ ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، فإنهم تركوه و به رَمَق ، فارتُثَّ[2] من بين القَتْلى ، فعاش حتى قُتل يومَ الخَنْدَق شهيداً ، يرحمه الله .

وكان فى سَرْح القـــوم عَمرو بن أمية الضَّمْرى وآخر من الأنصار ، فلم ينْبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العَسْـكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دِمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فنُخبره الخبرَ ، فقال الأنصارى : لـكنّى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المُنذر بن عَمرو ، وما كنتُ لِتُخبرنى عنه الرجال ! ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطُّفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رَقَبة ، زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقَرْقرة[3] من صَدْر قَناة[4] ، أقبل رجلان

(١) نخفر : ننقض عهده .

(٢) ارتث : أى رفع وبه جراح .

(٣) القرقرة : موضع بينه وبين المدينة ثمانية برد .

(٤) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى القرقرة .



Marfat.com

من بنى عامر حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه ، وكان مع العامريّين عَقدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ؛ فأمهلهما ، حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرَى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرَةً(١) من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قَدِم عمرو بن أمية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : لقد قتلتَ قتيلين ، لأدِيَنَّهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى بَراء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفا . فبلغ أبا بَراء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أصاب أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجِواره ، وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة .

وكان عامر بن الطفيل يقول: مَنْ رجل مِنْهم لمّا قُتِل رأيته رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة .

وقال حسّان بن ثابت يحرّض بنى أبى بَراء على عامر بن الطُّفيل :

بَنى أمّ البنَين ألم يَرُعْكم ... وأنتمْ من ذَوائب أهل نَجْدِ(٢)
تَهكُّمُ عامر بأبى بَراء ... لِيُخْفِرَه وما خَطَأٌ كعَمْدِ
ألاَ أبْلِغْ رَبيعةَ ذا المَساعى ... فما أحدثتَ فى الحدَثان بعدِى(٣)
أبوك أبو الحُروب أبو بَراء ... وخالُك ماجدٌ حَكَمُ بنُ سَعْد

فحمل ربيعةُ بن عامر بن مالك على عامر بن الطُّفيل ، فطَعَنَه بالرمح ، فوقع

(١) الثؤرة : الثأر .

(٢) يريد قول لبيد : * نحن بنى أم البنين الأربعة * والذوائب : الأعالى .

(٣) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

فى فخذه ، فأشواه[١] ، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبى بَراء ، إن أَمُت فَدَمِي لعمّى ، فلا يُتبَعَنّ به ، وإن أَعِش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ .

# إجلاء بنى النضير

## فى سنة أربع

ثم خرج رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير[٢] يَستعينهم فى دِيةِ ذينك القَتيلين من بنى عامر ، اللذين قَتل عمرو بن أُمية الضَّمْري ، للجوار الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَقد لهما ، وكان بين بنى النَّضير ، وبين بنى عامر عَقْد وحلف .

فلما أتاهم رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَستعينهم فى دِيةِ ذَيْنك القتيلين ، قالوا : نعم ، ياأبا القاسم ، نُعينك على ما أحببت، مما استعَنت بنا عليه ، ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنب جِدار من بيوتهم قاعد — فمَنْ رَجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيُلقى عليه صخرةً ، فيُريحنا منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصَعِد ليُلقَى عليه صخرةً كما قال ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ ، رِضْوان الله عليهم .

فأتى رسولَ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة ؛ فلما استلبثَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه قاموا فى طلبه فلقوا رجلاً

(١) أشواه : أخطأ مقتله .

(٢) قال السهيلى : ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة فى هذا الموضع وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عقيل وغيره عن الزهرى قال : كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة شهور .

Marfat.com

مُقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبَر ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتّهيؤ لحرْبهم ، والسَّيْر إليهم.

واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم ، ثم سار بالنّاس حتى نزل بهم وذلك فى شهر رَبيع الأول ، فحاصرهم ستَّ ليالٍ ، ونزل تحريمُ الخمر .

فتحصّنوا منه فى الُحُصون ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِقَطْع النَّخِيل والتَّحْريقَ فيها ، فنادَوْه : أنْ يا محمد ، قد كنتَ تَنْهَى عن الفَساد ، وتَعِيبه على مَنْ صَنعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها ! .

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم عدُو الله عبدُ الله بن أُبَيّ بن سَلول قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ، فإنا لن نُسْلِمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخْرِجتم خرَجنا معكم . فتربّصوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يَفْعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهم ويكفَّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حَملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة[1] ، ففعل .

فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبلُ ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِمُ بيته عن نِجَاف[2] بابه ، فيَضعه على ظَهْر بعيره ، فيَنْطلق به . فخرجوا إلى خَيْبَرَ ، ومنهم مَنْ سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

وقد استقلّوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدُّفوف والمَزامير ، والقِيان يَعْزِفن خَلْفهم بزُهاء[3] وفخر ، ما رُئِىَ مثله من حى من الناس فى زمانهم .

وخلّوا الأموال لرسولِ الله صَلى اللهُ عليه وَسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه

(١) الحلقة : السلاح كله ، أو خاص بالدروع .

(٢) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٣) الزهاء : الإعجاب والتكبر .

وسلم خاصةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سَهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقرا فأعطاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان : يامينُ بن عُمير ، وأبو سعد بن وهب ، أسْلما على أموالهما فأحْرزاها .

ونزل فى بنى النَّضير سورةُ الحشْر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقْمته وما سلّط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى ( هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ[1] ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ، فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ) وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذ احتملوها ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ) وكان لهم من الله نقمة ( لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا ) أى بالسيف ( وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ) مع ذلك ( مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ) واللينة : ما خالف العجوة من النخل ( فَبِإِذْنِ اللهِ ) أى فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فسادا ولكن كان نقمة من الله ( وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ ) .

( وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ) يعنى من بنى النَّضير ( فَمَا أَوْجَفْتُمْ[2] عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ) أى له خاصة .

---

(١) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ؛ وقيل إنهم كانوا فى بسطة لم يصبهم جلاء قبلها . فلذلك قال : لأول الحشر ؛ والحشر : الجلاء .

(٢) أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير .

( مَا أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ ) ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفُتِح بالحرب عنوة فلله وللرسول ( وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) يقول : هذا قِسْم آخر فيما أُصيب بالحرب بين المسلمين على ماوضعه الله عليه .

ثم قال تعالى ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ) يعنى عبد الله بن أبىّ وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم ( يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ) يعنى بنى النَّضير، إلى قوله ( كَمَثَلِ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يعنى بنى قَيْنُقاع . ثم القصّة إلى قوله ( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ) .

## غزوة ذات الرقاع

### فى سنة أربع

ثم أقام رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادى ، ثم غزا نجداً يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعلبة من غَطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفارىّ حتى نزل نخلا[1] ، وهى غزوات ذات الرِّقاع .

وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقاع ، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم[2] .

فلقى بها جمعاً عظيماً من غَطفان ، فتقارب الناسُ ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد

---

(١) نخل : موضع بنجد من أرض غطفان .

(٢) وقيل أيضا : إنما قيل لها ذلك ، لأن الحجارة أوهنت أقدامهم ، فشدوا رقاعا ، فقيل لها : ذات الرقاع » .

Marfat.com

خاف الناس بعضُهم بعضًا ، حتى صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس .

صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلّم ، وطائفة مُقبلون على العدو . فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلّم .

ويقال إن رجلا من بنى مُحارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب: ألا أقتلُ لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ! وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجره ، فقال : يا محمد ! أنظرْ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان مُحَلّى بفضة — فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويَهم فيُكبِته[1] الله ؛ ثم قال : يا محمد ! أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يَمنعنى الله منك . ثم عمد إلى سيف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه ، فأنزل الله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ[2] ) .

عن جابر بن عبد الله ، قال :

خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرّقاع من نخل ، على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جعلتِ الرِّفاقُ تمضى ، وجعلتُ أتخلّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا جابر ؟ قلت يا رسول اللهِ ! أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أَنِخه ؛ فأنختُه ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصاً من شجرة ؛ ففعلت ، فأخذها

---

(١) يكبته الله : يذله ويقمعه .

(٢) سورة المائدة : آية ١١ .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنخسه بها نخسات، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحق ، يُواهق[1] ناقته مُواهقة .

وتحدّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : أتبيعنى جملك هـذا يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله ، بل أهَبه لك ؛ قال : لا ولـكن بِعْنيه ؛ قلت : فسُمْنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قلت : لا ، إذن ، تغبننى يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قلت : لا . فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقيّة . فقلت: أفقد رضيتَ يا رسولَ الله ! قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر ! هل تزوّجتَ بعد ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ، قال : أثيبا أم بكرا ؟ قلت : لا ، بل ثيّبا، قال : أفلا جارية تُلاعبها وتلاعبك ! قلت : يا رسول الله! إن أبى أصيب يوم أُحُد وترك بناتٍ له سَبْعاً ، فنكحتُ امرأة جامعةً ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ، قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما إنّا لو قد جئنا صِرارًا[2] أمَرْنا بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومَنا ذاك، وسمعت بنا فنفضتْ نمارقها[3] ؟! قلت: والله يارسول الله مالنا من نمارق ، قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيّسا .

فلما جئْنا صرارًا أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل ودَخَلنا ، فحدثتُ المرأة الحديث ، وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت: فدُونك ، فسمع وطاعة .

فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلستُ فى المسجد قريبا منه ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى

(١) يواهق ناقته : يعارضها فى المشى لسرعته .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٣) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

Marfat.com

الجمل ، فقال : ماهذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ؟ فدُعيتُ له ، فقال : يابن أخي ، خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودَعا بِلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية .

فذهبت معه ، فأعطاني أوقية ، وزادني شيئًا يَسِيرًا ، فوالله ما زال يَنْمِي عندي ، ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أُصيب أمسِ فيما أُصيبَ لنا ، يعني يوم الحَرّة[1] .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها ، وكان غائبًا ، فلما أُخبر الخبر حَلَف لا ينتهي حتى يُهَرِيق في أصحاب محمد صلى اللهُ عليه وسلّم دمًا .

فخرج يتبع أثَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلؤنا[2] ليلَتنا هـذه ؟ فانتَدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصارَ ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فـكونا بفَمِ الشِّعب . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادي ، وهما عمّار بن ياسر وعبّاد ابن بِشر .

(١) يريد وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى ، الذى يسميه أهل المدينة : مسرف بن عقبة . وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد . ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم .

وكان من أمر جابر هذا ، في هذا اليوم أنه أخذ يطوف في أزقة المدينة ، والبيوت تنتهب وهو أعمى ، وهو يعثر في القتلى ، ويقول : تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يريد حديثه صلى الله عليه وسلم : من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي . فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره مروان ، وأدخله بيته .

(٢) يكلؤنا : يحفظنا .

Marfat.com

فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصاريُّ للمهاجريّ : أيّ الليل تحب أن أكفيكه ، أوّلَه أم آخرَه ؟ قال : بل اكفنى أوّلَه ؛ فاضطجع المهاجريّ فنـام ، وقام الأنصارى يصلّى ، وأتى الرجل ، فلما رأى شخصَ الرجلِ عرَف أنه ربيئة[1] القوم . فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، فنزعه ووضعه ، فثبت قائما ، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيـه ، فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ[2] صاحبَه ، فقال : اجلس ، فقد أُثبِتُّ[3] فوثب فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نَذِرَا به[4] فهرب .

ولما رأى المهاجرىّ مابالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أول مارماك ؟ قال : كنت فى سُورة أقرؤها فلم أُحبَّ أن أقطعها حتى أُنفِدَها ، فلما تابع علىّ الرمىَ ركعتُ فأذِنتك ، وايم الله ، لولا أن أُضيِّعَ ثغراً أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسى قبل أن أقطَعها أوأُنفِدَها .

ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرِّقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبًا .

## غزوة بدر الآخرة

### فى شعبان سنة أربع

ثم خرج فى شعبان إلى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله ، واستعمل على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارى .

---

(١) الربيئة : الطليعة الذى يحرس القوم .

(٢) أهب : أيقظ .

(٣) أثبت : جرحت جرحا لا يمكن التحرك معه .

(٤) نذرا به : علما .

فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مَجَنّة ، من ناحية الظَّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ! إنه لايصلحكم إلا عام خَصيب ترْعون فيه الشّجر ، وتَشربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عام جدْب ، وإنى راجعٌ ،فارجِعوا ، فرجع الناس . فسمّاهم أهْل مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تشرَبون السويق .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدر ينتظر أبا سُفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِىُّ ابن عَمْرو الضمْرى ، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يامحمد ! أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ،قال : لاوالله يامحمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

## غزوة دومة الجندل

### فى شهر ربيع الأول سنة خمس

ثم انصرف رَسُولُ الله صَلى اللهُ عليهِ وَسلم إلى المدينة ، فأقام بها أشهرا ، حتى مضى ذو الحِجة ،وولى تلك الحِجّة المُشركون ، وهى سنة أربع من مَقدم رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ المدينة . ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَندل[1] فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفارى . ثم رجَع رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يَلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

(١) دومة ( بضم الدال وتفتح ) من أعمال المدينة ، وبينها وبينها خمس عشرة ليلة .

Marfat.com

# غزوة الخندق

## فى شوال سنة خمس

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس[١] .

وكان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود من بنى النضير ، ونفرا من بنى وائل ، وهمُ الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدِموا على قُريش مكةَ ، فدعوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله ؛ فقالت لهم قُريش : يا معشر يهود ! إنكم أهل الكِتاب الأول والعِلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً[٢] ) إلى قوله تعالى ( أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) أى النبوة ( فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ) .

فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشِطوا لما دعَوْهم إليه ، من حَرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلمَ ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له ، ثم خرج أولئك النَّفر من يهودَ ، حتى جاءوا غَطفان ، من قيس عيلان ، فدعَوهم إلى حرب رسول الله صلى اللهُ عليه

---

(١) قال الزرقانى : اختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة فى مغازيه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المغازى ، كانت سنة أربع . قال الحافظ : وتابعه على ذلك الإمام مالك .

(٢) سورة النساء : ٥١ وما بعدها . والجبت والطاغوت هو كل مايعبد من دون الله .

وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عُيَينة بن حِصْن (١) ، فى بنى فزارة ، والحارث بن عوف ، فى بنى مُرّة ، ومِسْعر بن رُخَيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضَرب الخَنْدَق عَلَى المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعَمِل معه المسلمون فيه ، فَدأب فيه ودَأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون (٢) بالضّعيف من العمل ، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسُول الله صلى الله عليه وَسلم ، ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبةً فى الخير ، واحتساباً له .

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين ( إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ . إنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣) ) . فنزلت هذه الآية

---

(١) كان اسم عيينة بن حصن : حذيفة ، وسمى عيينة لشتر كان بعينه . أسلم ثم ارتد وآمن [illegible] حين تنبأ وأخذ أسيرا ، فأتى به أبا بكر رضى الله عنه فمن عليه ، ولم يزل مظهرا الإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات . وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : الأحمق المطاع ، لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة .

(٢) يورون : يستترون .

(٣) سورة النور : آية ٦٢ .

فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقينَ الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم (لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا . فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[1]) .

(أَلاَ إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) من صدق أو كذب (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[2]) .

وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيل ، سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرًا ، فقالوا :

سَمّاه مِنْ بعد جُعَيل عَمْرًا ... وكان للبائس يومًا ظَهْرًا[3]

فإذا مروا « بعَمرو » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمرًا ، وإذا مروا « بظَهر » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ظهرا .

وكان فى حفر الخندق أحاديثُ ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوّته ، ولقد عاين ذلك المسلمون .

عن جابر بن عبد الله :

أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخندق كُدية ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعوَ به ، ثم نَضحَ ذلك

---

(١) سورة النور : آية ٦٣ . واللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب .

(٢) آخر سورة النور .

(٣) الظهر : القوة والمعونة .

Marfat.com

الماء على تلك الكُدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيًا ، لانهالت[1] حتى عادت كالكثيب ، لاترد فأساً ولا مِسحاة .

وعن سَعيد بن مِيتا :

أن ابنة لبَشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمّى عَمرة بنتُ رَوَاحة فأعطتنى حَفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بُنيَّة ! اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله ابن رَوَاحة بغَدائهما ، فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يابُنية ، ماهذا معك؟ فقلت: يارسول الله ، هذا تمر بعثتنى به أمى إلى أبى بَشِير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رَوَاحة يتغدّيانه . قال : هاتيه ، فصببته فى كفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دحا بالتمر عليه . فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق أن هَلُمّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعلَ يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقُط من أطراف الثوب .

وعن جابر بن عبد الله قال :

عملنا مع رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شُوَيهة غير جِدّ سَمينة[2] فقلت: والله لو صَنَعناها لرسُول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأمرتُ امرأتى ، فطحنت لنا شيئًا من شَعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذَبحت تلك الشاة ، فَشوَيناها لرسُول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أمْسَينا وأراد رسولُ الله صلى اللهُ عَليه وسلم الانصراف عن الخندق — وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهَالينا — قلت : يا رَسُولَ الله ! إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشّعير ، فأحب أن

(١) انهالت : تفتتت .

(٢) غير جد سمينة : غير كاملة السمن .

تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن يَنصرف معى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحدَه ، فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخًا فصرَخ : أن انصرفوا مع رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله؛ قلت : إنا لله و إنا إليه راجعون!! فأقبل رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وأقبل النَاس معه ؛ فجلس وأخرجناها إليه ، فبرك وسمّى الله ، ثم أكل ، وتواردَها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

وعن سَلْمان الفارسىّ قال :

ضربتِ فى ناحية من الخندق ، فغلُظتْ علىّ صخرةٌ ، ورَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىّ ، نزل فأخذ المِعْول من يدى ، فضرب به ضربةً لمَعت تحت المِعْول برقةٌ ؛ ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلَمعت تحته برقة أخرى ؛ ثم ضرب به الثالثة ، فلَمعتْ تحته برقة أخرى . قلت : بأبى وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيتُ لمَع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال : أَوَقَدْ رأيت ذلك يا سَلْمان ؟ قلت : نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فتَح علىّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح علىّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

• • •

ولمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزُغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومَنْ تَبعهم من بَنى كِنانة وأهل تِهامة ، وأقبلت غطَفان ومَنْ تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نَقْمَى ، إلى جانب أحد . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع[1] فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكَره ،

(١) سلع : جبل بالمدينة .

والخندق بينه و بين القوم ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، وأمر بالذّرارىّ والنساء فجعلوا فى الآطام(١) .

وخرج عدوّ الله حُيَىّ بن أخطب النَّضَرى ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرَظى ، صاحبِ عَقْد بنى قُرَيظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلم على قومه ، وعاقده عَلَى ذلك وعاهده ، فلما سمع كَعْبٍ بحُيي بن أخطب أغلق دونه باب حِصْنه فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فنَاداه حُيي : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك ياحُيي ! إنك امرؤٌ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلستُ بناقضٍ مابينى و بينه ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقا ، قال : ويحك ! افتح لى أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك(٢) أن آكل معك منها ، فأحفظ(٣) الرجلَ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتُك بعزّ الدهر و ببَحْر طام(٤) ، جئتك بقُرَيش عَلَى قادتها وسادتها ، حتى أنزلْتهم بمُجْتمع الأسيال من رُومة ، و بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنب نَقْمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى عَلَى أن لا يَبرحوا حتى نَستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، و بجَهام(٥) قد هرَاق ماءه ، فهو يَرْعد و يبرق ، ليس فيه شىء ، و يحك ياحُيي ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صدقًا ووفاء .

فلم يزل حُيي بكعب يَفتِله فى الذروة والغارب(٦) ، حتّى سَمح له ، عَلَى أن أعطاه

---

(١) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم .

(٢) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا ، وهو الذى تقول له العامة : « دشيش » بالدال ، والصواب الجيم .

(٣) أحفظه : أغضبه .

(٤) طام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال .

(٥) الجهام : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه .

(٦) هذا مثل ، وأصله فى البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القرادة من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة ، فيأنس عند ذلك . فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة .

عهداً من الله وميثاقًا : لئن رجعتْ قريش وَغطفان ولم يُصيبوا محمدا ، أن أدخل معك فى حِصنك حتى يُصيبنى ما أصابك . فنقض كعبُ بن أسد عهدَه ، وَبرِئ مما كان بينه و بين رسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسُولُ الله صلى الله عليه وَسلم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيّد الأوس ، وسعدَ بن عُبادة ابن دُلَيم ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، وخوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًا فالحنوا لى لحنا[1] أعرفه ، ولا تَفُتّوا فى أَعْضاد النّاس[2] ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا و بينهم فاجهرُوا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم ، فوَجدوهم على أَخْبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا و بين محمد ولا عقد . فشاتَمهم سعدُ بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بنُ عبادة : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا و بينهم أَرْبى[3] من المشاتمة .

ثم أقبل سَعدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقَارة ؛ أى كغدر عَضَل والقارة بأصْحاب الرجيع ، خُبَيب وأصحابه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهُ أَكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنّ المؤمنون كل ظَن ، ونَجَم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأَحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ! !

---

(١) اللحن : اللغز ، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه .
(٢) يقال فت فى عضده : إذا أضعفه وأوهنه .
(٣) أربى : أعظم .

Marfat.com

وحتى قال أوس بن قَيظِيّ : يا رسول الله ! إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ ــ وذلك عن ملأ من رجال قومه ــ فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة ، قريبًا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا(١) بالنبل والحِصار .

فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حِصْن ، وإلى الحارث بن عوف ، وهما قائدا غَطَفان ، فأعطاهما ثُلث ثِمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه و بينهما الصلح ، حتى كَتبوا الكِتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح ، إلا المُراوضة فى ذلك .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سَعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة ، فذكرذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ! أمرًا تُحبه فنَصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به ، لابد لنا من العمل به ، أم شيئًا تصنعه لنا ؟ قال: بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العَرب قد رَمتكم عن قَوْس واحدة ، وكالبوكم(٢) من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ ما .

فقال له سَعْد بن مُعاذ : يا رسول الله ! قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لايَطْمعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى(٣) أو بيعا ، أفحِين أكرمنا الله بالإسلام وهدَانا له وأعزّنا بك و به ، نُعْطِيهمْ أموالَنا ! والله مالنا بهذا مِنْ حاجة ، والله لا نُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا و بينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن مُعاذ الصَّحيفة فمحا ما فيها من الكِتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

(١) الرميا : المراماة .
(٢) كالبوكم : اشتدوا عليكم .
(٣) القرى : مايصنع للضيف من الطعام .

Marfat.com

فأقام رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خَيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بنى كِنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمونَ مَنِ الفُرسان اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِق[1] بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخَنْدق ، فلما رَأوه قالوا : والله إن هذه لَمكيدة ما كانت العربُ تَـكِيدها[2] .

ثم تيمموا مكاناً ضيّقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبخة بين الخندق وَسلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُّغرة[3] التى أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثْبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِما[4] ليرى مكانه . فلما وقف هو وخَيْله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب ، فقال له : يا عمرو ! إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلّتين إلا أخذتَها منه ، قال له : أجَل ، قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله ، و إلى رسوله ، و إلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ، فقال له : لِمَ يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علىّ : لـكنى والله أحبّ أن أقتلك ، فَحمِى[5] عمرو عند ذلك ، فاقتحَم عن فرسه ، فَعقره ، وضَرب وجْهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه . وخرجت خيلهم مُنْهزمة ، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً .

---

(١) تعنق : تسرع .

(٢) يقال إن سلمان الفارسى هو الذى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

(٣) الثغرة : الثلم الذى كان هناك فى الخندق .

(٤) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .

(٥) حمى : اشتد غضبه .

Marfat.com

وألقى عِكْرمة بن أبى جهل رُمْحَه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فرّ وألقَى لنا رُمْحَه لعَلّك عِكْرِمَ لَمْ تَفعلِ
ووليْتَ تعْدُو كعَدْو الظلــيــم ما إنْ تَجُور عن المَعْدِلِ[1]
ولم تلق ظهرَكَ مُسْتأنِسا كأن قَفاكَ قفا فُرْعُلِ[2]

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى اللهُ عليه وَسلم يوم الخندق و بنى قريظة : حمٓ ، لا يُنْصرون .

ويروى أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ، وكانت أم سعد بن مُعاذ معها فى الحصن ، وذلك قبل أن يُضرب على النساء الحجاب ، فمرّ سعد وعليه درع له مُقلّصة[3] ، قد خرجت منها ذراعه كلّها ، وفى يده حربته يرقد[4] بها، ويقول :

لَبِّثْ قَليلاَ يَشْهدِ الهَيْجا جَمَل لاَ بأْس بالمَوت إذا حانَ الأَجَل[5]

فقالت له أمه : الحق ، أى ابنى ، فقد والله أخرت ، قالت عائشة : يا أم سعد! والله لو دِدْت أن دِرْع سعد كانت أسبغ[6] ممّا هى ، فرُمى سعدُ بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[7] ، رماه حِبّان بن قيس ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العرقة ؛

---

(١) الظليم : ذكر النعام .

(٢) الفرعل : صغير الضباع .

(٣) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ، يقال : تقلص الشىء ، إذا ارتفع وانقبض .

(٤) يرقد : يسرع .

(٥) كذا فى الأصول . قال أبو ذر « جمل » : اسم رجل . وهذا الرجز قديم تمثل به سعد ، وفى الروض : « حمل » بالحاء المهملة ، ، قال السهيلى : هو بيت تمثل به ، حمل بن سعدانة بن حارثة .

(٦) أسبغ : أكمل .

(٧) الأكحل : عرق فى الذراع .

فقال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ قد وضعت الحربَ بيننا و بينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتنى حتى تقرّ عينى من بنى قُريظة .

وكانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارع ، حِصن حسّان بن ثابت ، وكان حسان ابن ثابت فيه ، مع النساء والصّبيان .

قالت صفية :

فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيفُ بالحِصن ، وقد حاربت بنو قُريظة ، وقطعت مابينها و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدفع عنا ، ورَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوّهم ، لايَستطيعون أن يَنصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ .

فقلت : ياحسان ! إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يَغفر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا .

فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت[1] ثم أخذت عَمودا ، ثم نزلت من الحِصنِ إليه فضربتُه بالعَمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت: يا حسان ! انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يَمْنعنى من سلبهِ إلا أنه رَجل ، قال : مالى بسَلَبه من حاجة يابنة عبد المطلب .

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم ،

---

(١) احتجزت : شددت وسطى .

ثم إن نُعيم بن مَسعود أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ! إنى قد أسلمتُ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فَخَذِّل عنا[1] إن استطعت ، فإن الحرب خُدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديمًا فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قُريظة ! قد عَرفتم ودّى إياكم ، وخاصّة ما بينى و بينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتّهم ، فقال لهم : إن قريشًا وغَطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغَطفان قد جاءوا لحرب محمدٌ وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، و بلدهُم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهزة[2] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلوْا بينكم و بين الرجل ببلدكم ، ولا طاقَة لكم به إن خَلَا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً ، حتى تُناجزوه ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لكم وفِراقى محمداً ، وإنه قد بَلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقًّا أن أبلغكموه ، نُصْحًا لكم ، فاكتموا عَنى ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلّموا أن معشر يهود قد نَدِموا ، عَلَى ماصنعوا فيما بينهم و بين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد نَدِمنا عَلَى ما فعلنا ، فهل يُرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين ، من قُريش وغَطفان ، رجالا من أشرافهم ، فنُعطيكَهم ، فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بَقِى منهم حتى نَستأصِلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم فلا تَدْفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

---

(١) خذل عنا : ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا .

(٢) النهزة : انتهاز الشىء واختلاسه .

ثم خرج حتى أتى غَطفان ، فقال : يامعشر غَطفان ، إنكم أصلى وعَشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أُراكم تتهمونى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، قال : فا كتموا عنى ، قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ماحذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرْب ورءوس غَطفان إلى بنى قُريظة ، عِكرمة ابن أبى جهل ، فى نَفر من قريش وغَطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدارِ مُقام ، قد هَلك الخفّ والحافر[1] ، فاغدُوا لِلقتال حتى نُناجز محمدا ، ونَفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدثَ فيه بعضُنا حدثاً ، فأصابه مالم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدا حتى تُعطونا رُهُنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضَرّستكم[2] الحرب ، واشتدّ عليكم القتال أن تَنْشمروا[3] إلى بلادكم وتَتْركونا ، والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرُّسُل بما قالت بنو قُريظة ، قالت قريش وغَطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسِلوا إلى بنى قُريظة إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قُريظة حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا : إن الذى ذِكر لكم نُعيم بن مَسْعود لحَقّ ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغَطفان إنا والله لا نُقاتل

---

(١) يريد بالخف : الإبل ، وبالحافر : الخيل .

(٢) ضرستكم الحرب : نالت منكم ، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .

(٣) أن تنشمروا : أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

Marfat.com

معكم محمدا حتى تُعطونا رُهنا ، فأبوا عليهم ، وخذّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الرِّيح فى ليـال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تَـكْفأُ[1] قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبعثه إليهم ، لينظر مافعل القوم ليلا .

* * *

قال رجل من أهل الـكُوفة لحُذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ! أرأيتم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وصَحِبتموه ؟ قال : نعم يابن أخى ، قال : فـكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهَد ، فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يابن أخى ! والله لقد رأيتُنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا[2] من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَن رَجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسألَ الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجُل من القوم من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دَعانى ، فقال : يا حذيفة ! اذهب فادخُل فى القوم فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحدِثَنّ شيئا حتى تأتينا . فذهبت فدخلت فى القوم والرِّيح وجُنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لاتقِرّ لهم قِدْرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ! لينظر امرؤ مَنْ جَليسه ؟ فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

---

(١) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلبها .

(٢) هويا من الليل : قطعة منه .

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ! إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكُراع[1] والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الرّيح ما ترون ، ما تطمئنّ لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أُطلق عِقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم إلىّ « أن لاتُحدث شيئا حتى تأتينى » ثم شئت ، لقتلتُه بسهم .

فرجعتُ إلى رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ وهو قائم يصلّى فى مِرْط[2] لبعض نسائه . فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه ، وطَرح علىّ طرَف المِرْط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة[3] والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

## غزوة بنى قريظة

### فى سنة خمس

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، معتجراً[4] بعمامة

---

(١) الكراع : الخيل .

(٢) المرط : الكساء .

(٣) كان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء ، يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة .

(٤) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لا يلق شيئا تحت لحيته .

من إستبرق[١] ، على بَغلة عليها رِحالة[٢] ، عليها قطيفةٌ من ديباج ، فقال : أوقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ! فقال جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد ، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإنى عامدٌ إليهم فمُزلزل بهم .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذِّنًا ، فأذن فى الناس : من كان سامعًا مُطيعًا فلا يصلينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة . واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم .

وقدّم رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لَقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق : فقال : يا رسول الله ! لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم ، يارسول الله ، قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم من حُصونهم قال : ياإخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نِقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

ومرّ رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وَسلم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن[٣] قبل أن يصل إلى بنى قريظة . فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرّ بنا دِحْية ابن خَليفة الكَلْبى ، على بَغلة بيضاء عليها رِحالة ، عليها قَطِيفة ديباج . فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قريظة يزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بنى قُريظة ، نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنَا .

---

(١) الإستبرق : ضرب من الديباج غليظ .

(٢) الرحالة : السرج .

(٣) الصورين : موضع قرب المدينة .

Marfat.com

وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلّوا العَصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحدُ العصر إلا ببنى قريظة ، فشغلهم ما لم يكن لهم منه بدٌّ فى حرْبهم ، وأبوا أن يصلّوا ، لقول رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم حتى تأتوا بنى قريظة . فصلّوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابَهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنّفهم به رَسُولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم .

وحاصرهم رسولُ الله صلى اللهُ عَليه وسلم خمسا وعشرينَ ليلة ، حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ الله فى قلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيىّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حِصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان ، وفاء لـكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ! قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثًا ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ قال : نُتابع هذا الرجلَ ونصدّقه ، فوالله لقد تبيّن لـكم أنه لنبىّ مُرْسَل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأْمنون على دمائـكم وأموالـكم وأبنائـكم ونسائـكم ، قالوا : لا نفارقُ حكْمَ التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذ أبيتم علىّ هذه ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتين السيوف لم نترك وراءنا ثَقَلا ، حتى يَحْـكم الله بيننا و بين محمد ، فإن نَهلك نَهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، و إنْ نَظهر فلعَمرى لنجدنَّ النساء والأبناء، قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىّ هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قدأمنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ، قالوا : نُفْسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يَخْف عليك من المَسخ ! قال : ما باتَ رجل منـكم منذ ولدَته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً ! !

ثم إنهم بعثوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المُنذر ، لِنَسْتَشِيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجَهَش إليه النساء والصبيان يَبْكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حُكم محمد ؟ قال : نعم ! وأشار بيده إلى حَلقه ، إنه الذبح .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه . ولم يأت رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عَمده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعتُ ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أُرى فى بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبدا .

وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(1) ) .

فلما بلغ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقهُ من مكانه حتى يَتُوب الله عليه .

قالت أم سلمة :

فسمعتُ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . فقلت : مِمّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنّك ، قال : تِيب على أبى لبابة ، قلت : أفلا أبشّره يا رسول الله ؟ قال : بلَى ! إن شئتِ .

---

(1) سورة الأنفال : آية ٢٧ .

فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب، فقالت : يا أبا لبابة! أبشِرْ فقد تاب الله عليك . فثار الناس إليه ليُطلقوه ، فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح ! أطلقه بعد أن أقام مُرتبطًا بالجذع ستّ ليال ، تأتيه امرأته فى كل وَقْت صَلاة ، فتحلّه للصلاة ، ثم يعود فيَرْتبط بالجِذع .

والآية التى نزلت فى توْبتــه قولُ الله عز وجل ( وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحا وَآخرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ[(١)] ) .

فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبتِ الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ! إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ماقد علمت ـ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبىّ ابن سـلول فوهَبهم له ـ فلما كلمته الأوس ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم : ألا ترْضون يامعشر الأوس أن يَحْكم فيهم رجل منـكم ؟ قالوا : بلى ! قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن مُعاذ .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بنَ معاذ فى خَيْمة لامرأة من أسْلَم يقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحى ، وتَحْتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهمُ بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أَعُوده من قريب .

فلما حكّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلاً جسيما جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صَلى الله

(١) سورة التوبة : آية ١٠٢ .

Marfat.com

عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ! أحسِن فى مواليك، فان رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم إنما ولاَّكَ ذلك لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أنَى لسَعد أن لا تأخذه فى الله لَوْمةُ لائم .

فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنَعى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصِل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلي سيِّدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ! إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد ولاَّك أمرَ مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنَّ الحكمَ فيهم لَمَا حكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ! قال : وَعَلَى مَنْ هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو مُعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسَم الأموال ، وتُسبَى الذَّرارى والنساء .

فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقعة[1] .

ويروى أن عليّ بن أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كتيبة الإيمان ! وتقدَّم هو والزُّبير بن العوَّام ، وقال : والله لأذوقنّ ماذاق حَمزة أو لأفتحَنّ حِصنهم ، فقالوا . يامحمد ! ننزل على حكم سَعد بن مُعاذ .

ثم استنزلوا، فحبسهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث ، ثم خرج رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى سوق المدينة فخَندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا[2] وفيهم عدوّ الله حُيَىّ

---

(١) الأرقعة : السموات ؛ الواحدة : رقيع .

(٢) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

Marfat.com

ابن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مائة أو سبع مائة ، والمُكَثِّر لهم يقول كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة .

وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ! ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لا تَعْقِلون ؟ ألا ترون الداعى لا يَنْزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأُتِى بحيىّ بن أخطَبَ عدو الله ، وعليه حُلّة له فُقّاحية(١) ، مجموعة يداه إلى عُنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله مالمتَ نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخذل الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ! إنه لاَ بأْس بأمر الله ، كِتاب وَقدر وَمَلْحمة كَتَبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جَلس فضُربتْ عنقه .

عن عائشة أم المؤمنين ، قالت :

لم يقتل من نسأئهم إلا امرأة واحدة . والله إنها لعندى تَحَدَّث معى ، وتَضحك ظَهْرًا وَبَطْنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السُّوق ، إذ هَتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قلت لها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أُقْتَل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عَجَبا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفَتْ أنها تُقتل .

وكانت هذه المرأة هى التى طرحت الرَّحا على خلاّد بن سُويد ، فقتلته .

وكان الزَّبير بن باطا القُرظى ، مَنَّ على ثابت بن قيس بن شمّاس فى الجاهلية ، فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلكَ؟ قال : إنى قدأردتُ أن أجْزيك بيدك عِنْدى ، قال : إن الكريم يَجْزى الكريم .

---

(١) فقاحية : تضرب إلى الحمرة .

ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إنه قد كانت للزبير علىّ منّة ، وقد أحببت أن أجْزِيه بها ، فهبْ لى دَمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمَك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟

فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فقال : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، هَبْ لى امرأته وولَده ، قال : هُمْ لك ، فأتاه ، فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَكَ وولدك ، فهم لك ، قال : أهلُ بَيت بالحجاز لا مَال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟

فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! مالَه ؟ قال : هو لك ، فأتاه ثابت ، فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَالَك ، فهو لك ، قال : أىْ ثابت ! ما فعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينية يتراءى فيها عذَارَى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادى حُيَيّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مُقدِّمتنا إذا شددنا ، وحامِيَتنا إذا فَررنا ، عَزّال بن سَمَوْأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو بن قريظة . قال : ذهبوا قُتلوا ، قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحَقْتَنِى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابرٍ لله فَتْلَة دَلْو ناضح[1] حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدًا فيها مخلّدًا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقَتْل كلّ من أنبت منهم .

وكانت سَلْمى بنت قيس ، إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد صلّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النساء ، سألته رفاعةَ بن سَموْأل القُرظى ، وكان رجلا قد بلغ ،

---

(١) الناضح : الحبل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية . وأراد بقوله « فتلة دلو ناضح » : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض ، يفتلها أو يردها إلى موضعه .

فلاذَ(١) بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبيّ الله ! بأبى أنت وأمّى ، هبْ لى رِفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلّى ، ويأكل لحم الجمل ، فوهبه لها ، فاستحْيته .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسّم أموال بنى قُريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهمانَ الخيل وسُهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من ليس له فرس سهم . وكانت الخيل يومَ بنى قُريظة ستة وثلاثين فرسًا ، وكان أول فَىْء وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سُنّتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنّة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعد بن زيد الأنصاريّ أخا بنى عبد الأشهل ، بسَبايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوفى عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرَض عليها أن يتزوجها ، ويَضْرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ! بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقعْ نعلين خَلْفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى بإسلام رَيْحانة ! فجاءه فقال : يا رسول الله ! قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

وأنزل الله تعالى فى أمر الخَندق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصّة فى سورة

---

(١) لاذ بها : التجأ إليها .

Marfat.com

الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) والجنود قريش وغطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ . يقول الله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا) فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) لقول مُعتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) لقول أوس بن قيظى ومَن كان على رأيه من قومه (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا[1]) أى المدينة (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) أى الرجوع إلى الشرك (لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا) فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يَفشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلمة حِين همّتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) أى أهل النفاق

---

(١) الأقطار : الجوانب .

( وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ) أى إلا دفعاً وتعذيراً[1] ( أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ) أى للضغن الذى فى أنفسهم ( فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) أى إعظاما له وفرقا منه ( فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ) أى فى القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حِسْبَة[2]، فهم يهابون الموتَ هَيْبَةَ من لا يرجو ما بعده ( يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ) قريش وغطفان ( وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً ) .

ثم أقبل على المؤمنين فقال ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) أى لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ) أى صبراً على البلاء، وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ) أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بَدر ويوم أحد ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) أى ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه، يقول الله تعالى ( وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ) أى ما شكّوا وما تردّدوا فى دينهم، وما استبدلوا به غيره ( لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ) أى قريشاً وغطفان ( لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا .

---

(١) التعذير : أن يفعل الرجل الشيء بغير نية ، وإنما يريد أن يقيم به العذر عند من يراه .

(٢) الحسبة: الأجر .

وَأنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ) أى بنى قُريظة ( مِنْ صَيَاصِيهِمْ ) والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها ( وَقَذَفَ فى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ) أى قتل الرجال ، وسبى الذّرارى والنساء ( وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا ) يعنى خَيْبَر ( وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيراً ) .

• • •

فلما انقضى شأن بنى قُرَيظة انفجر بسعد بن معاذ جُرحه ، فمات منه شهيداً .

ويقال إن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد ابن معاذ من جوف الليل معتجراً بِعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ! من هذا الميّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزّ له العرش ؟ فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

وأقبلت عائشة قافلةً من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة، له يَحزَنَ عليها بعضَ الحُزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ! أَتحزَنُ على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش !

كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجَدوا له خِفّة ! فقال رجالٌ من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخفّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

عن جابر بن عبد الله ، قال :

لما دُفن سعد ونحن مع رَسُول الله صَلى اللهُ عليهِ وَسلم سَبّح رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فسبّح الناس معه ، ثم كبّر فكبّر الناس معه ، فقالوا : يارسول الله ! مم سبّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبرُه ، حتى فرّجه الله عنه .

Marfat.com

ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لَضَمّةً ، لو كان أحد منها ناجيا لكان سعدُ بن مُعاذ .

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهى تبكيه :

وَيْلِ أمِّ سعدٍ سعدًا صرامة وحَـدًّا
وَسُوددًا ومجـدًا وفارسًا مُعـدًّا
سُدّ به مَسَـدًّا يَقُدُّ هَامًا قدًّا

يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ نائحة تَـكْذِب إلا نائحة سعد بن معاذ .

ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

وقتل من المشركين ثلاثة نفر . منهم نوْفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورّط[1] فيه فقتل ، فَغلب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاحاجة لنا فى جَسده ولا بِثَمنه ، فخلّى بينهم و بينه .

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق، قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تَغزوكم قريش بعد عامِكم هذا ، ولـكنكم تَغزونهم ، فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

## مقتل سلام بن أبى الحقيق

ولما انقضى شأن الخندق ، وأمْر بنى قُريظة ، وكان سَلّام بن أبى الُحقيق ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزّب الأحزاب على رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتلت كعب بن الأشرف ، فى عَداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم و تَحريضه

(١) تورط فيه : انتشب .

Marfat.com

عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلاّم بن أبى الُحقيق، وهو بخيبر ، فأذِن لهم .

وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيّين من الأنصار ، الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان[(١)] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصاول الفَحْلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَناء[(٢)] إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام ! فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً ؛ فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الُحقَيق ، وهو بخَيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فى قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلمة خمسة نفر ، وأمّر عليهم رسول الله صَلّى اللهُ عليهِ وسلمَ عبد الله بن عَتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قَدموا ، خَيْبر أتَوْا دار ابن أبى الُحقيق ليْلا ، فلم يدَعوا بيتًا فى الدار إلا أغْلقوه على أهْله .

وكان فى عِلّية له إليها عجلة[(٣)] فأسندوا فيها[(٤)] ، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه فخرجتْ إليهم امرأته، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاكم صاحبُكم، فأدخُلوا عليه، فلما دخلوا عليه أغْلقوا عليهم وعليها الُحجرة تخوّفا أن تكون

---

(١) يتصاولان : يتفاخران ، إذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .

(٢) غناء : منفعة .

(٣) العجلة : جذع النخلة ينقر فى موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالى والغرف .

(٤) أسندوا فيها : علوا .

دونه مجاولة[١] تحول بينهمَ و بينه ، فصاحت امرأته ، فنوّهت بهم[٢] وابتدروه ، وهو على فراشه بأسيافهم ، ولما صاحت امرأته جعل الرجل منهم يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نَهْيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغوا منها بليل. فلما ضربوه بأسيافهم تحامل عليه عبدُ الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول : قَطْنِي ! قطني ! أي حَسْبِي حَسْبِي .

وخرجوا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيّئ البصر ، فوقع من الدّرجة فوُثِئَتْ[٣] يده وَثْئًا شديدا وحملوه حتى أتوا به مَنْهَرًا[٤] من عيونهم ، فدخلوا فيه ، فأوقدوا النّيران ، واشتدّوا في كل وجه يطلبونهم حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يَقْضِي بينهم . فقالوا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدوّ الله قد مات ؟ فقال رجل منهم . أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، فوجد امرأته ورجال يهود حوله ، وفي يدها المِصْباح تنظر في وجهه ، وتحدّثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسي وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاظ[٥] وإلهِ يهود ؛ فما سمع الرجل من كلمة كانت ألذّ إلى نفسه منها .

ثم جاء فأخبرهم الخبر ، فاحتملوا صاحبَهم فقدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بقتل عدوّ الله .

---

(١) المجاولة : حركة تكون بينهم وبينه .

(٢) نوهت بهم : رفعت صوتها تشهر بهم .

(٣) وثئت : أصاب عظمها شيء ليس بكسر .

(٤) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله .

(٥) فاظ : مات .

Marfat.com

فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم ابن أبى الحُقيق :

لله درُّ عصابةٍ لاقيتَهم يابنَ الحُقيق وأنت يابن الأشرفِ
يسْرون بالبيض الخفاف إليكم مَرَحًا كأسْدٍ فى عَرينٍ مُغرفِ[1]
حتى أتوْكم فى محلِّ بلادِكم فسقَوْكُم حَتْفًا بِبِيض ذُفَّفِ[2]
مُستَبصرين لنصْر دينِ نبيّهم مُسْتَصغرين لكلّ أمرٍ مُجحِفِ[3]

## إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

حدّث عمرو بن العاص ، قال :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُريش ، كانوا يَرون رأيى ، ويَسْمعون منّى ، فقلت لهم : تعلمون والله أنى أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوًّا مُنْكرا ، وإنى قد رأيت أمراً ، فما تَرَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنّجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنّا عند النّجاشى ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَىْ محمد ، وإن ظهر قومُنا فنحن مَنْ قد عرَفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ؛ قالوا : إن هذا الرأى! قلت : فاجمعوا لنا ما نُهديه له ؛ وكان أحبّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[4] ، فجمعنا له أدَمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قَدمْنا عليه .

---

(١) البيض الخفاف : السيوف . ومرحا : نشاطا . والعرين : غابة الأسد . ومغرف : ملتف الأغصان .

(٢) ذفف : سريعة القتل .

(٣) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

(٤) الأدم : الجلود .

Marfat.com

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أمية الضَّمْرى ، وكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جَعْفر وأصحابه ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أُمية الضَّمْرى ، لو قد دخلتُ على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنى قد أجْزأت عنها[1] حين قتلت رسولَ محمد ، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقى ، أهديتَ إلىّ من بلادك شيئا ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدمًا كثيراً ، ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ! إنى قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدّو لنا ، فأعطِنيه لأقتله ، فإنه قد أصابَ من أشْرافنا وخيارنا ، فغضب ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقّت لى الأرضُ لدخلتُ فيها فَرَقًا منه ، ثم قلت له : أيها الملك ! والله لو ظَننتُ أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألنى أن أُعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قلت : أيها الملك ! أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ! أطِعنى واتبعه ، فإنه والله لعلَى الحقّ ، وليَظْهرَنّ على من خالَفه ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجُنوده ، قلت : أفتُبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ! فبَسط يَده ، فبايعتهُ على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عمّا كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

ثم خرجتُ عامداً إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد وذلك قُبيل الفَتْح ، وهو مُقبل من مكة ؛ فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنْسِم[2] ، وإن الرجل لنبىّ ، أذهبُ والله فأسْلم ، فحتّى متى ! قلت : والله ماجئتُ إلا لأُسلم .

فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوَليد فأسلم و بايع

---

(١) اجزأت عنها : كفيتها .

(٢) المنسم : خف البعير .

ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسولَ الله ! إنى أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . ياعمرو ! بايعْ ، فإنّ الإسلام يَجُبُّ[1] ما كان قبلَه ، وإن الهِجْرة تجبُّ ما كان قبلها ؛ فبايعته ، ثم انصرفتِ .

ويقال إن عثمان بن طلحة بن أبى طلْحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

وكان فتح بنى قُريظة فى ذى القعدة وصَدْر ذى الحجة ، وولى تلك الحجّة المشركون .

## غزوة بنى لحيان

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجّة والمحرم وصفراً وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فَتْح قُريظة ، إلى بنى لِحْيانَ ، يَطلب بأصحاب الرَّجيع ، خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليُصيب من القوم غِرّة[2] .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مَكْتُوم .

فأغذّ[3] السير سريعاً حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحْيان ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال ، فلما نزلها رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وأخْطأه مِنْ غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكةَ أنّا قد جئنا مكةَ ؛ فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم[4] ، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

---

(١) يجب : يقطع .

(٢) الغرة : الغفلة .

(٣) أغذ : أسرع .

(٤) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة .

Marfat.com

فكان جابر بن عبد الله يقول :

سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجّه راجعاً : آيبون تائبون ، إن شاء الله لربّنا حامدون ، أعوذ بالله مِنْ وَعثاء[1] السفر ، وكآبة[2] المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

## غزوة ذى قرد

ثم قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيينة بن حِصْن فى خَيل من غَطفان ، على لقاحٍ[3] لرسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم بالغابة[4] وفيها رجلٌ من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللقاح .

وكان أول من نَذِر[5] بهم سَلمة بن عمرو بن الأكوع، غدا يريد الغابة متوشّحاً قوسه ونَبله،ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله، معه فرس له يقوده،حتى إذا علا ثَنية الوَداع نظرَ إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلع، ثم صرخ: واصباحاه! ثم خرج يَشتدّ فى آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يَردُّهم بالنّبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضّع[6] ، فإذا وُجهت الخيلُ نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرّمى رَمى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضّع، فيقول قائلهم : أوَيْكعنا هو أوّل النهار ! !

---

(١) وعثاء السفر : مشقته وشدته .

(٢) الكآبة : الحزن .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

(٤) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة .

(٥) نذر : علم .

(٦) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم : والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام .

Marfat.com

وبلغ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفَزع الفَزع ! فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما اجتمعوا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أمَّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد ، ثم قال : اخرج فى طَلَب القوم ، حتى أَلحقك فى الناس .

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبى عياش : يا أبا عيّاش ! لو أعْطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ فقال أبو عيّاش : يارسول الله ! أنا أفرس الناس ، ثم ضربَ الفرسَ ، فوالله ماجرَى به خمسين ذراعا حتى طَرحه !!

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبوقتادة الحارث بن رِبْعى ، حبيب بن عُيينة بن حِصْن ، وغشّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس . وأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين ، فإذا حَبيب مُسَجّى[1] ببرد أبى قَتادة ، فاسترْجع[2] الناسُ ، وقالوا : قُتل أبو قَتادة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قَتادة ، ولكنه قَتيل لأبى قَتادة ، وضَع عليه بُرْدَه ، لِتعْرِفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكاشة بن مِحْصن أوْبارًا وابنه عَمْرو بن أوْبار ، وهما على بَعير واحد ، فانتظَمهما بالرُّمْح ، فقتلهما جميعا ، واستَنقذوا بعضَ اللّقاح ، وسار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يارسولَ الله ! لو سرَّحْتنى فى مئة رجل لاستنقذْتُ بقيّة السّرْح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : إنهم الآن ليُغْبَقُون[3] فى غَطَفان .

(١) مسجى : مغطى .
(٢) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٣) يغبقون : يسقون اللبن بالعشى .

Marfat.com

فقَسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مئة رجل جَزُورًا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قَدِم المدينة .

وأقبلت امرأة الغِفارىّ على ناقة من إبل رسولِ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ ، فلما فرغت ، قالت : يارسول الله ! إنى قد نَذرت لله أنْ أنحرها أنْ نجانى الله عليها ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ماجزَيتِها أن حملكِ اللهُ عليها ونجّاكِ بها ثم تنحرِينها ! إنه لا نَذْر فى مَعْصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

## غزوة بنى المصطلق[1]

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بنى المصطلِق من خُزاعة ، فى شَعْبان سنة ستّ ، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفارىّ .

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ بنى المُصطلق يجْمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار ، أبو جُوَيْرِية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خَرج إليهم ، حتى لَقيهم على ماء لهم يقال له المُرَيسيع ، من ناحية قدَيد إلى الساحل ، فتزَاحف الناسُ واقتَتلوا ، فهزَم اللهُ بَنى المصطلق ، وقُتل من قتل منهم ، ونَفّل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم أبناءهم ونِساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْطِ عُبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

---

(١) وتسمى أيضا : المريسيع .

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر ابن الخطاب أجيرٌ له من بنى غِفَار ، يقال له جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجاَه وسِنان بن وَبَر الجهنى ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصَرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ! وصرخَ جَهْجاه : يا مَعشر المُهاجرين !

فغضب عبدُ الله بن أبىّ بن سَلول ، وعِنْده رَهْط من قومه فيهم زيد بن أرْقم ، غلام حَدَث ، فقال : أوَقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب[1] قريش إلا كما قال الأول : سَمِّن كَلْبك يأكلك ! أما والله لَئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزّ منها الأذل ، ثم أقبل على مَنْ حضَره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن الخطاب ، فقال : مُرْ به عَبّاد بن بشر فَلْيقتله ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذِّن بالرَّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

وقد مشى عبد الله بن أبىّ بن سَلول إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلّمت به — وكان فى قومه شريفا عظيما — فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من

---

(١) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون . وأصل الجلابيب : الأزر الغلاظ ، وكانوا يلتحفون بها ، فلقبوهم بذلك .

أصحابه : يا رسول الله ! عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ماقال الرجل ، حَدَبا على ابن أُبىّ بن سَلول ، ودَفْعاً عنه .

فلما استقل رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضير ، فحيّاه بتحية النبوّة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبىّ الله ! والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وَسلم : أوَما بلَغك ما قال صاحبُكم ؟ قال : وأىّ صاحبٍ يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أُبىّ ، قال: وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجن الأعَزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ! ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، و إنّ قومه ليَنظمون له الخَرز ليتوّجوه ، فإنه ليَرى أنك قد استلبته مُلكا .

ثم مشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبح ، وَصَدْر يَومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نيامًا ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أُبىّ .

ثم رَاح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس ، وسَلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع ، يقال له بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفّار . فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعة ابن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قَيْنقاع ، وكان عظيما من عُظماء يهود ، وكَهْفا المنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ونزلت السورةُ التى ذَكر الله فيها المنافقين فى ابن أُبىّ ومَنْ كان على مثل أمره ، فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأذن زَيْد بن أرْقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأذنه .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ الذى كان من أمر أبيه ، أن أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابدّ فاعلا فمُرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشى فى الناس فأقتلَه ، فأقتلَ رجلا مؤمنًا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفّق به ، ونُحسن صُحبته ما بقى معنا .

وجعل بعدذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويعنّفونه ، فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم لعُمر بن الخطّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى اقتُله ، لأُرعِدت له آنُفٌ ، لو أمرتُها اليوم بقَتْلِه لقتلته ، قال عمر : قد والله علمتُ لأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

وقَدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلما ، فيما يُظْهِر ، فقال : يا رسول الله ! جئتك مسلمًا ، وجئتك أطلب دِيَة أخى ، قُتل خطأ ؛ فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هِشام بن صُبابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدَا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًّا .

وكان شعار المُسلمين يوم بنى المُصْطلق : يا منصور ! أمِتْ ! أمِتْ !

وأُصيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْيًا كثيراً ، فتقاسمه فى المسلمين وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن عائشة قالت :

لما قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصْطلِق، وقعتْ جُويرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن الشّماس ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأةً حلوةً مُلاّحة(١) لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم تَستعينه فى كِتابتها ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حُجرتى فكرِهتها ، وعرَفت أنه سيرى منها صلى اللهُ عليه وسلّم مارأيتُ ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ! أنا جُويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، سيّد قومه ، وقد أصابنى من البَلاء مالم يَخْفَ عليك ، فوقعت فى السهم لثابت ابن قيس بن الشّماس ، فكاتبتهُ على نفسى ، فجئتُك أستعينك على كِتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت: وماهو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك؟ قالت : نعم ، يارسول الله ؛ قال : قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم! وأرسلوا ما بأيديهم، فلقد أُعتِق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بنى المُصطلِق، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها .

ويقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث ابن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيّبهما فى شِعب من شِعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ! أصبتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا

(١) الملاحة : الشديدة الملاحة .

الله ، وأنك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ! فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعَتْ إليه ابنتُه جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، فخطبها رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

ثم إن رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ابن أبي معُيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ما قِبَلهم من صَدَقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غَزْوهم ، حتى هَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قَدِم وفدُهُم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يارسولَ الله! سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكْرِمه ، ونُؤدّى إليه ماقِبَلنا من الصدقة فانشمر[1] راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ؛ فأنزل الله تعالى فيه وفيهم ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ[2] ) .

أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

(١) انشمر : جد وأسرع .

(٢) سورة الحجرات : آية ٦ ، ٧ .

Marfat.com

# خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

[ سنة ست ]

حدثت عائشة عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا :

كان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إذا أرادَ سفرًا أقْرع بين نِسائه ، فأيتهنّ خَرج سهمُها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقْرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق[1] لم يَهِجْهنّ[2] اللحم فيثقلن ، وكنتُ إذا رُحِّل لى بعيرى جلستُ فى هَوْدجى ، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحِّلون لى ويَحْملوننى ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج فيرفعونه ، فيَضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

فلما فَرغ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنقى عِقْدٌ لى ، فيه جَزْع[3] ظَفَارِ ، فلما فرغتُ انسلّ من عُنقى ولا أدْرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرَّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدْته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير ، وقد فَرغوا من رحلته ، فأخذوا الهَودج ، وهم يظنون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ

---

(١) العلق : جمع علقة ، وهى مافيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٢) التهييج : كالورم فى الجسد .

(٣) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء .

ولا مُجيب ، قد انطلق الناس ، فتلففت بجلبابي ، ثم اضطجعتُ في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقُدتُ لرُجع إليّ ، فوالله إني لمُضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطّل السُّلَمي، وقد كان تخلّف عن العسكر لبَعْض حاجته(١) ، فلم يبتْ مع الناس ، فرأى سوادي ، فأقبل حتى وقف عليّ ، وقد كان يراني قبل أن يُضربَ علينا الحِجاب ، فلما رآني وأنا مُتلفِّفة في ثيابي، قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! ظَعِينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ما خلّفك يرحمك الله ؟ .

فما كلّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبي ، واستأخر عنّي فركبتُ ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقِدْتُ حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتَعج(٢) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبويّ ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيرًا ، إلا أني قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لُطفه بي ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمني ، ولَطَف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكْوَاي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، وكان إذا دخل عليّ وعندي أمّي تمرضني ـ قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . حتى وَجدتُ في نفسي ، فقلت حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : يا رسول الله ! لو أذنتَ لي فانتقلت إلى أمّي ، فمرضتني ؟ قال : لا عليك ، فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قومًا عربًا ، لا نتخذ في بُيوتنا هذه الكُنُف التي تتخذها الأعاجم ، نَعافها

---

(١) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف .

(٢) ارتعج العسكر : تحرك واضطرب .

Marfat.com

ونكرهها ، إنما كنّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم ، وكانت أمها خالة أبى .

فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها[1] ، فقالت : تَعِس مِسْطح ! قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدْرًا ! قالت : أوما بلغك الخبرُ يا بنت أبى بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قلت : أوَقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت ؛ فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع[2] كبدى ، وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناسُ بما تحدّثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ! خفِّضى[3] عليك الشأنَ ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبّها لها ضرائر ، إلا كثّرن وكثّر الناس عليها .

وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخْطبهم ولا أعلم بذلك ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحق ، والله ما علمتُ منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يَدْخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .

وكان كُبْر[4] ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحَمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زَينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصينى[5] فى المنزلة

(١) المرط : الكساء .
(٢) سيصدع : سيشق .
(٣) خفضى عليك : هونى عليك .
(٤) الكبر بالضم والكسر : الإثم ، ومعظم الشىء .
(٥) تناصينى : تساوينى .

Marfat.com

عنده غيرها ، فأما زينب ، فعصمها الله تعالى بدينهـا ، فلم تقل إلا خيراً ، وأما حَمْنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقِيتْ بذلك .

فلما قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم تلك المقالة، قال أسَيد بن حُضير : يا رسول الله! إن يكونوا من الأوس نَكْفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ، فقام سعد بن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحاً فقال : كذبتَ لعمر الله ، لا نضرب أعناقَهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ! فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، وتَساورَ الناس[1] ، حتى كاد يكون بين هذين الحيّين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فدخل علىّ .

فدعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارَهما ، فأما أسامة فأثنى علىّ خيرا وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ! أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما علىّ فإنه قال : يا رسول الله ! إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية فإنها ستصدقك .

فدعا رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بُريرة ليَسألها ، فقام إليها على بن أبى طالب ، فضرَبها ضربا شديداً ، ويقول : اصدُقى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فكانت تقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا إلا أنى كنت أعجِن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

ثم دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) تساور الناس : قام بعضهم إلى بعض .

Marfat.com

يا عائشة! إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس، فاتقى الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً[1] مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده.

فو الله ماهو إلا أن قال لى ذلك، فقلص[2] دمعى، حتى ما أحس منه شيئا، وانتظرت أبوىّ أن يجيبا عنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فلم يتكلما! وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ويُصَلى به، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى نومه شيئا يكذّب به الله عنى، لما يعلم من براءتى، أو يُخبر خبرا، فأما قرآن يَنزل فىّ، فو الله لنفسى كانت أحقَر عندى من ذلك.

فلما لم أر أبوىّ يتكلمان، قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالا: والله ما ندرى بماذا نجيبه، ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام؛ فلما أن استعجما علىّ، استعبرتُ فبكيتُ؛ ثم قلت: واللهُ لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا، والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس، واللهُ يعلم أنى منه بريئة، لأقولن مالم يكن، ولئن أنا أنكرت مايقولون لا تصدّقوننى، ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).

فو الله ما بَرح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجّى بثوبه ووُضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوَ الله مافزعت ولا باليتُ، قد عرفت أنى بَريئة، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى، وأما أبوَاى، فو الذى نفسُ عائشة بيده ما سُرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسهما، فَرَقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس.

---

(١) قارفت سوءا: دخلت فيه.

(٢) قلص: ارتفع.

ثم سُرّى عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان[1] فى يومٍ شاتٍ ، فجعل يَمسح العَرق عن جبينه ، ويقولُ : أَبْشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك ، قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس ، فخطَبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بِمسطح بن أثاثة ، وحسّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضُربوا حدّهم .

فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك ، فقال تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ[2] ) وذلك حسّان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ويقال إنهم عبد الله ابن أبىّ وأصحابه .

ثم قال تعالى ( لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ[3] ) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته[4] ، ثم قال : ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ[5] ) .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنفق على

(١) الجمان : حب من فضة يصنع فى مثل الدر .

(٢) سورة النور : آية ١١ .

(٣) سورة النور : آية ١٢ .

(٤) هو خالد بن زيد ، قالت له امرأته : ياأبا أيوب ! ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى إن ذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله . قال : فعائشة خير منك .

(٥) سورة النور : آية ١٥ .

مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنَفْع أبدا بعد الذى قال لعائشة وأَدْخَل علينا ، فأنزل الله فى ذلك ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[1] ) .

فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يَغفِر الله لى ، فرَجَع إلى مِسْطح نَفقته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزِعها منه أبداً .

ثم إن صَفوان بن المُعطّل اعترض حسّان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه ، وبمن أسْلَم من العرب من مُضر ، فقال :

أَمْسَى الجَلابيبُ قد عَزّوا وقد كثروا ... وابن الفُرَيْعة أمْسى بَيْضَةَ البَلَد[2]
قد ثَكِلت أمُّه مَن كنتَ صاحبه ... أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثن الأسد[3]
ما لِقَتيلى الذى أغْدو فآخذه ... من دِيَةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَدِ[4]
ما البَحْر حين تَهب الرِّيح شامِيةً ... فيَغْطَئِلُ ويَرْمى العِبْر بالزَّبَد[5]
يوما بأغلَب منّى حين تُبصرنى ... مِلْغَيْظِ أفْرِى كفَرْى العارض البَرِد[6]
أمّا قريشٌ فإنى لن أُسالِمهم ... حتى يُنِيبوا من الغَيّات للرّشَد[7]
ويَترُكوا اللاتَ والعُزّى بمَعْزِلة ... ويَسْجدوا كلهم للواحد الصّمد

---

(١) سورة النور : آية ٢٢ ؛ ولا يأتل : لا يحلف .

(٢) الجلابيب : الغرباء . وبيضة البلد : أى منفردا لا يدانيه أحد .

(٣) ثكلته أمه . فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع ، ومخلب الأسد ، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان .

(٤) القود : قتل النفس .

(٥) يغطئل : يجول ويتحرك . والعبر : جانب النهر أو البحر .

(٦) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد ( بكسر الراء ) : الذى فيه برد .

(٧) ينيبوا : يرجعوا . والغيات : جمع غية ، من الغى ، وهو خلاف الرشد .

Marfat.com

ويشهدوا أن ما قالَ الرسولُ لهم حقٌّ ويُوفُوا بعَهْدِ اللهِ والوُكْد[1]

فاعترضه صفْوان بن المُعَطّل ، فضربه بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُباب السيْف عنّى فإننى ... غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب ثابت بن قيس على صَفْوان بن المُعَطّل حين ضرب حسان، فجمع يدَيه إلى عُنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رَوَاحة ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أُعَجِّبُك ، ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل عِلِم رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله؛ قال: لقدِ اجترأت ، أطلقِ الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطّل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله ! آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن ياحسّان، أنَشوّهتَ[2] على قومى أن هداهم الله للإسلام؟! ثم قال: أحسن ياحسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يارسول الله .

ويقال إن رسولَ الله صَلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حُديلة بالمدينة ، وكانت مالا لأبى طَلْحة بن سَهْل ، تصدّق بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم حَسّان فى ضَرْبته ، وأعطاه سِيرين، أمة قِبطية ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسّان ، وكانت عائشة تقول : لقد سُئِل عن ابن المُعطل ، فوَجدوه رجلاً حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتِل بعد ذلك شهيداً .

قال حسّان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

---

(١) يريد « بالوكد » : توكيد العهد .

(٢) أنشوهت على قومى : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله .

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى من لحُوم الغَوَافِلِ (١)

عَقيلةُ حيٍّ من لُؤَيّ بن غالبٍ ... كِرَام المَسَاعى مَجْدُهم غيرُ زَائِلِ (٢)

مُهذَّبة قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَهـا ... وطَهَّرَهَا من كلِّ سُوءٍ وَباطِلِ (٣)

فإنْ كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ ... فلاَ رفعتْ سَوْطِى إلَىَّ أنامِلى (٤)

وكيفَ ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصْرَتى ... لآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحَافِلِ

له رُتَبٌ عالٍ على الناسِ كُلِّهِمْ ... تقَاصَرُ عنه سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ (٥)

فإنَّ الذى قد قِيلَ لَيْسَ بلائِطٍ ... ولكنّه قولُ امرئٍ بى ماحِلِ (٦)

# أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان

## والصلح بين رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم

### وبين سهيل بن عمرو

ثم أقام رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم بالمدينة شهرَ رمضانَ وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حربا ، واستعمل علَى المدينة نُمَيْلة بن عبد الله اللَّيثى .

---

(١) الحصان : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها ، التى لا تتصرف كثيرا . وما تزن : أى ما تتهم . وغرثى : جائعة . والغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر ، كما قال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلهن غافلات، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف . ويريد بقوله « وتصبح غرثى من لحوم الغوافل » : أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم .

(٢) العقيلة : الكريمة . والمساعى : جمع مسعاة ، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم .

(٣) الخيم : الطبع .

(٤) الأنامل : الأصابع .

(٥) الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة ( بفتح السين ) الوثبة . ( وبضم السين) : المنزلة .

(٦) لائط : لاصق . والماحل : الماشى بالنميمة .

Marfat.com

واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لِحَق به من العرب ، وساق معه الهَدْى ، وأحرم بالعُمرة ، ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظّما له .

خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحُدَيْبية[1] يريد زيارةَ البيت ، لا يريد قتالاً ، وساقَ معه الهَدْىَ سَبْعين بدَنةً ، وكان الناس سبع مئة رجل ، فكانتْ كلّ بدنة عن عَشرة نفر .

حتى إذا كان بعُسْفان[2] لَقِيه بشر بن سُفيان الكَعْبى فقال : يا رسول الله ! هذه قُريش قد سَمِعت بمَسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المَطافِيل[3] ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمُور ، وقد نَزلوا بذى طُوى[4] ، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَمِيم[5] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا وَيْحَ قريش ! لقد أكَلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خَلّوا بينى وبين سائر العرب ! فإن هم أصابُونى كان ذلك الذى أرادُوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يَفعلوا قاتَلوا وبهم قُوة ، فما تظُنّ قريش ؟ فوالله لا أزال أُجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[6] ، ثم قال : مَنْ رجل يَخرج بنا على طَريق

---

(١) الحديبية : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وهى من مكة على مرحلتين .

(٣) العوذ : جمع عائذ ، وهى من الإبل الحديثة النتاج ، والمطافيل : التى معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان ، وهو على الاستعارة .

(٤) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٥) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة .

(٦) السالفة : صفحة العنق وهما سالفتان منجانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت .

غير طريقهم التى هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله .

فسلك بهم طريقًا وعرًا أجرل[1] بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا نستغفر اللهَ ونتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ؛ فقال : والله إنها لَلحطة[2] التى عُرِضَتْ على بنى إسرائيل ، فلم يقولوها .

ثم أمر رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليَمين بين ظهْرى الحَمْض ، فى طريقٍ تخرجه على ثنية المرار مَهْبط الحُديبية من أسفل مكة، فسلك الجيشُ ذلك الطريق . فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَة[3] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت[4] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخُلق ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة ، لاتدعونى قريش اليومَ إلى خُطة يسألوننى فيها صِلَة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : انزلوا ؛ قيل له : يا رسول الله ! ما بالوادى ماء نزل عليه ، فأخرج سهما من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به فى قليب[5] من تلك القُلُب ، فغرزه فى جوفه ، فجاش[6] بالرّواء[7] حتى ضرب الناس عنه بعَطَن[8] .

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه بُدَيل بن ورقاء الخزاعىّ فى رجال

---

(١) الأجرل : الكثير الحجارة .

(٢) الحطة : يريد قول الله تعالى لبنى إسرائيل « وقولوا حطة » ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٣) قترة الجيش : غباره .

(٤) خلأت : بركت .

(٥) القليب : البئر .

(٦) جاش : ارتفع .

(٧) الرواء ( بفتح الراء ) : الكثير .

(٨) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

Marfat.com

من خُزاعة ، فكلّموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظّمًا لحُرْمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبِشر بن سُفيان ، فرجعوا إلى قُرَيش فقالوا : يامعشر قريش ! إنكم تَعْجلون على محمد ، إن محمداً لم يأتِ لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتّهموهم وجَبّهوهم[1] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لايدخلها علينا عَنْوة أبدا ، ولا تحدّثُ بذلك عنّا العرب .

وكانت خُزاعة عَيْبة نُصْح[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْلمها ومُشْركها ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبلا ، قال : هذا رجل غادِر ؛ فلما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبُدَيل وأصحابه ؛ فرجع إلى قُرَيش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة ، وكان يومئذ سَيد الأحابيش ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألّهون[3] ، فابعثوا الهدْى فى وَجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض[4] الوادى فى قلائده[5] ، وقد أكل أوْبارَه من طُول الحَبس عن مَحِلّه[6] ، رجع إلى قريش ، ولم يَصِل إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا عِلْم لك !! .

---

(١) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون .

(٢) عيبة نصح الرسول : أى خاصته وأصحاب سره .

(٣) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله .

(٤) عرض الوادى : جانبه .

(٥) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

(٦) محله : موضعه الذى ينحر فيه من الحرم .

Marfat.com

فغضب الحلَيس غضبا عند ذلك وقال : يامعشر قريش ! والله ما على هذا حالفنا كم ولا على هذا عاقدنا كم ، أيُصَدّ عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذى نفس الحُلَيس بيده لَتُخَلُّنَّ بين محمد و بين ماجاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفْرَةَ رجل واحد ، فقالوا له : مَهْ ! كفّ عنّا ياحُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا مانرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مَسْعود الثقفى ، فقال : يامعشر قريش ! إنى قد رأيت مايلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التّعْنيف وسُوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والدٌ وأنى وَلد — وكان عروة لسُبَيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جِئتكم حتى آسَيْتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ! أجمعت أوْشاب(١) الناس ، ثم جِئْتَ بهم إلى بَيْضَتك(٢) لِتَفُضّها(٣) بهم ، إنها قُريش قد خَرَجت معها العُوذُ المطافِيل . قد لَبِسُوا جُلود النمور ، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم عَنْوة أبدا ، وأيْمُ الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غَداً .

وكان أبو بكر الصديق خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا ، فقال : امصُصْ بظْر اللات ، أنحن نَنْكشِف عنه ؟ قال: منُ هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قُحافة ، قال: أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتُك بها ، ولكن هذه بها، ثم جعلَ يتَناول لِحْيَة رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم وهو يكلّمه ، والمغيرة بنُ شُعْبَة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد ، فجعل يَقْرع يَده إذا تناول لِحْية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدَك عن وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لاتصلَ

---

(١) الأوشاب : الأخلاط .

(٢) بيضة الرجل : أهله وقبيلته .

(٣) تفضها : تكسرها .

إليك ، فقال عروة : ويحك ! ما أفظّك وأغلظك ! فتبسّم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم فقال له عُروة : مَن هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعْبة ، قال : أى غُدر وهل غَسَلْت سَوْءتك إلا بالأمس(١) :

فكلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَحْوِ مما كلّم به أصحابه ، وأخْبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبا .

فقام من عند رسُول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى مايصنع به أصحابُه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه ، ولا يَبْصُق بُصاقا إلا ابتدروه ، ولا يَسقط من شَعره شىء إلا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يامعْشر قريش ! إنى قد جئت كِسْرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنجاشىَّ فى مُلكه ، وإنى والله ما رأيت مَلِكا فى قوم قطّ مثلَ محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوماً لايُسلمونه لشىء أبدا ، فَرَوْا رأْيَكم .

ويقال إن رسولَ الله صلى اللهُ عَليه وسلم دعا خِراش بن أُميةَ الخُزاعى ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعيرله ، ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعَقروا به جمل رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتلَه ، فمنَعَتْه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم .

وبعثت قريش أربعين رجلا منهم ، وأمروهم أن يُطِيفوا بعَسْكر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخِذوا أخذا ، فأُتِى بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رمَوْا فى عسكر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجارة والنَّبل .

ثم دعا عمرَ بن الخطّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال :

---

(١) أراد عروة بقوله هذا ، أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .



Marfat.com

يا رسول الله ! إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغِلْظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجلٍ أعزّ بها منّى ، عثمان بن عفان ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفّان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشرافَ قُريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظِّما لحُرْمته .

فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دَخل مكة ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فبلّغهم عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ، فقال : ما كنتُ لأفعل حتّى يطوف به رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، واحتبَسته قريش عندها ، فبلَغ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان بن عفان قد قُتل .

## بيعة الرضوان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرّضْوان تحت الشجرة ، فكان الناسُ يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْت .

فبايع رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ الناسَ ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرَها .

ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل ، فبايع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بأن ضرب بإحدى يديه على الأخرى .

Marfat.com

# أمر الهـــــدنة

ثم بعثتْ قريش سُهَيل بن عمرو ، إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائتِ محمداً فصالِحه ، ولا يكن فى صُلْحِهِ إلا أن يرجعَ عنا عامه هذا ، فوالله لاتحدّث العربُ عنّا أنه دَخلها علينا عَنْوَةً أبدا .

فأتاه سُهيل بن عمرو ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تـكلّم فأطال الـكلامَ ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلحُ .

فلما التأم الأمر ولم يَبْق إلا الـكتابُ ، وثَب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ! أليس برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ! قال : فعلام نُعطى الدّنيّة[1] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ! الزم غَرْزه[2] ، فإنى أشهد أنه رسولُ الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ! ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : أولَسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : أوَليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ! قال : فَعلام نُعْطى الدّنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيّعنى !

فـكان عُمر يقول : مازلت أتصدّق وأصوم وأُصلّى وأُعْتِق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ مخافةَ كلامِي الذى تـكلمتُ به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

ثم دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : سُهَيل : لا أعرف هذا ولـكن اكتب :

---

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه : أى الزم أمره .

باسمك اللهم ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهيلَ بن عمرو ، فقال سُهيل : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهيل ابن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأمن فيهن الناسُ ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة[1] ، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2] ، وأنه من أحبّ أن يدخل فى عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قريش وَعهدهم دخل فيه .

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قريش وعَهْدهم ، وأنك ترجع عنا عامَك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، معك سلاح الراكب، السيُوف فى القُرُب ، لاتَدْخلها بغيرها .

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هوَ وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايَشُكُّونَ فى الفَتْح لِرُؤيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأَوْا ما رَأَوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه ، دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيمَ حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضربَ وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ،

(١) أى صدور منطوية على مافيها ، لا تبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

Marfat.com

ثم قال : يا محمد ! قد لَجّت[1] القضية بيني و بينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صَدقتَ ، فجعل ينتره[2] بتلبيبه ، و يجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يصْرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ! أأرَدّ إلى المشركين يَفْتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناسَ إلى مابهم ، فقالَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : يا أبا جَنْدل ! اصبر واحتسِبْ ، فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُسْتضعفين فرجاً ومَخرجا ، إنا قد عَقدنا بيننا و بين القوم صُلْحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، و إنا لا نَغْدر بهم .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، و يقول : اصبر يا أبا جندل ! فإنما هم المشركون ، و إنما دَمُ أحدهم دم كلب . وأخذ يُدْنى قائم السيف منه .

يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه ، وَنفذت القضيّة .

فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين .

وكان رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم مضطربا[3] فى الحِلّ ، وكان يُصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلْح قام إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلَق رأسه ، فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد نَحر وَحَلق ، تواثبوا ينْحَرون ويَحْلِقون .

وأهدى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيبية فى هَداياه جملاً لأبى جَهْل ، فى رأسه بُرَة[4] من فضّة ، يغيظ بذلك المشركين .

ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان

(١) لجت القضية : تمت .

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا .

(٣) مضطربا فى الحل : أى أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم .

(٤) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل ويرتاض .

Marfat.com

بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ) .

ثم كانت القصّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه ( إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ) .

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب، ثم قال حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه ( سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ) ثم القصّة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله ( سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ ) ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

ثم قال تعالى ( لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) .

ثم ذكر محبسه وكفّه إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفّهم عنه ، ثم قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ) ثم قال تعالى ( هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا(١) أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ

(١) المعكوف : المحبوس .

لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) والمعرة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا دِيَته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

ثم قال تبارك وتعالى ( إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ) يعنى سهيل بن عمرو حين حَمِيَ أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى ( فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ) أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

ثم قال تعالى ( لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ) . أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف ؛ يقول : محلقين رءوسكم ، ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك مالم تعلموا ( فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ) صلح الحديبية .

فما فُتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظَم منه ، إنما كان القتال حيث التَقى الناس ، فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يُكلَّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنك السنتين مثلَ مَنْ كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحُدَيْبِيَة فى ألف وأربع مئة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

# أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة بن أَسِيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم كتب فيه أَزْهَر بن عبد عوف ، والأخنس بن شَريق إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : ياأبا بصير ! إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ماقد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُستَضْعَفِينَ فرجًا ومخرجًا ، فانطَلِقْ إلى قومك ؛ قال : يارسول الله ! أتردّنى إلى المشركين يَفْتنوننى فى دينى ؟ قال : ياأبا بصير ! انطلِق ، فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستَضْعَفين فرجًا ومَخْرجا .

فانطلَقَ معهما ، حتى إذا كان بذِى الحُلَيفة[1] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفك هذا ياأخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ! قال : أنظر إليه ؟ قال : انظرْ إن شئت ، فاستلّه أبو بَصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعًا ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالكَ ؟ قال : قتل صاحبُكم صاحبى ! فوالله مابَرِح حتى طلع أبو بصير متوشّحا بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ! وَفَتْ ذِمّتك ، وأدّى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقد

---

(١) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، ومنها ميقات اهل المدينة .

Marfat.com

امتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يُعْبَث بى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل أمه ! مِحَشّ[1] حرب لو كان معه رجال !

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير « ويلُ امِّه مِحَشّ حَرب لو كان معه رجال » فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضَيّقوا على قريش ، لايظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

فلما بلغ سُهيل بن عمرو قتلُ أبى بَصير صاحبهم العامرىَّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان ابن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لايُودَى ( ثلاثا ) .

## المهاجرات بعد الهدنة

وهاجرتْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أمّ كُلثُوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ، حتى قَدِمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبين قريش فى الحُدَيبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك . وفى ذلك يقول الله تعالى : ( يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ

---

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ، وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١)) .

فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وردّ الرجال ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم النساء كما ردّ الرجالَ ، ولولا الهُدنة والعهْد الذى كان بينه و بين قريش يوم الُحديبية لأمسك النساء ، ولم يردُدْ لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

وسئل الزُّهْرى عن هـذه الآية والآية التى تليها : ( وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ) فقال : يقول : إن فات أحد منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَيْء إن أصبتموه .

ويقال إنه لما نزلت هـذه الآية ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطاب ، طلق امرأته قُريبة بنتِ أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جَرْول أمّ عبيد الله بن عمر الُخزاعية ، فتزوجها أبو جَهْم بن حُذيفة ابن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شِرْكهما .

وحدّث أنّ بعضَ مَنْ كان مع رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامى هذا ؟ قالوا : لا ! قال : فهو كما قال لى جبريل عليهِ السلام .

---

(١) سورة الممتحنة : آية ١٠ ، والعصم : هى الأسباب .

Marfat.com

## المسير إلى خيبر

### فى المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجَع من الحُدَيبية ، ذا الحِجة وبعضَ المحرم ، ووَلِى تلك الحِجّة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرّم إلى خيبر .

واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللّيْثى ، ودَفع الرايةَ إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

وقال رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع : انزل يابن الأكوع ، فَخُذ لنا من هناتك[1] ، فنزلَ يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

واللهِ لولاَ اللهُ ما اهتدَيْنا ولا تَصدّقْنا ولا صلّينا
إنا إذا قومٌ بَغَوْا علينا وإن أرادُوا فِتْنة أبَينا
فأنزِلَن سَكينة علينا وثَبِّتِ الأقدام إن لاقينا

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، فقال عمر بن الخطّاب : وَجبت والله يا رسول الله ، لَوْ أمتَعْتَنا به ! فقتل يومَ خيبر شهيدا .

وعندما أشرف رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على خَيْبر ، قال لأصحابه : قِفُوا ، ثم قال : اللهم ربَّ السموات وما أظْلَلْن ، وربَّ الأرضين وما أقْلَلْن ، وربَّ الشياطين وما أضْلَلن ، وربَّ الرياح وما أذْرين ، فإنا نسألك خيْرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ

(١) هناتك ، أى أخبارك وأمورك وأشعارك ؛ وهى جمع هنة ، ويكنى بها عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه فتكنى عنه . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

Marfat.com

مافيها ، ونعوذ بك من شرِّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أقدِموا بسم الله . وكان يقولها عليه السلام لكل قريةٍ دخلها .

عن أنس بن مالك :

كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا غزا قومًا لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبح ، فإن سمع أذانًا أمسك ، و إن لم يسمع أذانًا أغار ، فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صَلى اللهُ عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذانًا ، فركب وركِبْنا معه ، فركبتُ خلف أبي طلحة ، وإن قَدَمى لتَمسّ قدمَ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، واستقبلنا عُمّالَ خيبر غادِين ، قد خرجوا بمساحِيهم ومكاتِلهم[1] . فلما رأَوْا رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم والجيشَ قالوا : محمد والخَميس[2] معه ! فأَدْبروا هرّابًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! خَربت خيبر ! ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنْذَرين » .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيبر سلك على عِصْر[3] فبنى له فيها مَسجد . ثم على الصَّهباء[4] ، ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَيْشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غَطفان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدُّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرين على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما سَمِعتْ غَطفان بِمَنْزِل رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم من خَيْبَر جمعوا له ، ثم خرجوا لِيُظَاهِروا[5] يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة[6] ، سمعوا خَلْفَهم فى أموالهم

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والمكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة كبيرة .

(٢) الخميس : الجيش .

(٣) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع .

(٤) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة .

(٥) ليظاهروا : ليعاونوا .

(٦) منقلة : مرحلة .

Marfat.com

وأهليهم حسًا ، ظنّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسول الله صلى اللهُ عليه وَسلم و بين خيبر .

وتدنّى[1] رسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حِصْنا حِصْنا ، فكان أول حُصونهم افتتح حِصْن ناعم ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبَايا، منهنّ صَفية بنتُ حُيىّ ابن أخطب ، وكانت عندَ كنانة بن الرّبيعِ بن أبى الحُقَيق ، و بِنْتَىْ عَمٍّ لها ، فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفِيَّة لنفسه . .

وكان دِحْية بن خَليفة الكَلْبى قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنَتىْ عمّها ، وفَشَت السبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

وأ كل المسلِمون لحُوم الحُمر الأهلية من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَنهى الناسَ عن أمور سمّاها لهم .

وأتى نهىُ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم عن أ كْل لحُوم الحُمر الإنسية ، والقُدور تَفُور بها فكفؤها على وُجوهها .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذٍ عن أربع : عن إتيان الحبالى من السّبايا ، وعن أ كل الحمار الأهلى ، وعن أ كل كل ذى ناب من السباع وعن بيْع المغانم حتى تُقْسم ولكنه أذِن لهم فى أ كل لحوم الخيل .

عن عُبادة بن الصّامت ، قال :

نهانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيبر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبر الذهب بالذّهب العين ، وتِبر الفضة بالوَرِق العين ، وقال : ابتاعوا تِبْر الذهب بالورق العين ، وتِبْر الفضة بالذهب العين .

---

(١) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

Marfat.com

ثم جعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتبدّى الحُصون والأموال .

وحدث أن بنى سَهْم أتَوْا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمَ فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء ، فلم يَجِدوا عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئاً يُعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عَرَفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعْظم حُصونها عنهم غناء ، وأكثرَ طعاما وَوَدَكا ، فغدا الناسُ ، ففتح الله عزّ وجل حِصْنَ الصَّعْبْ بن مُعاذ ، وما بخَيْبر حِصْن كان أكثر طَعاما وَوَدَكا منه .

ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ماحاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالم ، وكان آخر حُصْون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بضعَ عشرة ليلة .

وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ! أَمِت أَمِت .

وأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم بِكنانة بن الربيع[1]، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى رأيت كنانة يُطيف بهذه الخَرِبة كل غداة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِكنانة : أرأيتَ إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ! فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحُفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يُؤدّيه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزبيرَ ابن العوام ، فقال : عذبه حتى تَسْتأصل ما عنده ؛ فكان الزبير يقدح بزَنْد فى صَدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

---

(١) هو زوج صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت رأت فى المنام وهى عروس به ، أن قمرا وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ماهذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ؛ فلطم وجهها ، وأمر رسول الله بصفية فحيزت له .

وحاصر رسول الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم أهلَ خيبر فى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يُسَيِّرهم[1] ، وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها ، إلا ما كان من ذَيْنك الحِصْنين ، فلما سمع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ماصنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسيِّرهم ، وأن يَحقِنَ دماءهم ، ويخلُّوا له الأموال ؛ ففعل .

فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعاملهم فى الأموال على النِّصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ، فصالحَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، فصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فَيْئًا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يَجْلِبوا عليها بخيل ولا ركاب .

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنة الحارث ، امرأة سلاّم ابن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيَّةً[2] ، وقد سألتْ أىُّ عُضْو من الشاة أحبّ إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذّراع ؛ فأكثرت فيها من السمّ ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، تناول الذّراع فلاَكَ منها مُضْغة فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلَفَظها ، ثم قال : إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ! ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ما حملكِ على ذلكِ ؟ قال : بلغتَ من قَوْمِى مالم يَخْفَ عليك ، فقلت إن كان مَلِكاً استرحتُ منه ، وإن

---

(١) يسيرهم : ينفيهم .

(٢) مصلية : مشوية .

كان نبيا فسيُخْبَر ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بِشر من أكْلَته التى أكل[١] .

فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبَر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعًا إلى المدينة .

ولما أعْرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصَفِيّة بخَيْبر ، وكانت التى جَمَّلتها لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ومَشَّطَتها وأصلحت من أمرها أمّ سُلَيم بنت مِلْحان أم أنس بن مالك ، بات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قُبّة له ، وبات أبو أيّوب خالد بن زيد متوشّحا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقُبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ! خِفْت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يَحفظنى .

ولما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلّى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى ، ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفَجْر يرمُقه فَغَلَبَتْه عينه فنام ، فلم يُوقظهم إلا مَسُّ الشمس ، وكان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أولَ أصحابه هَبَّ فقال : ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يارسول الله ! أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ، ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم

---

(١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء ابن معرور تعوده : يا أم بشر ! إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر . ولذلك كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) .

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين، فرَضَخ لهن[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من الفيء ، ولم يضربْ لهن بسَهم .

وفي يوم خَيْبَرَ عرَّبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربيَّ من الخيل ، وهجَّنَ الهجين .

وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما بلغني ، أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحاصر لبعض حصُون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ! اعرض عليَّ الإسلام ، فعرضه عليه فأسلم ـ وكان رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم لا يَحْقِر أحداً أن يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه ـ فلما أسلم قال : يا رسول الله ! إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب في وُجوهها ، فإنها سَترجع إلى ربها ، فقام الأسود ، فأخذ حَفْنَة من الحصى ، فرمى بها في وُجوهها ، وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ، فخرجت مجتمعة كأنَّ سائقاً يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلّى لله صلاةً قطا ، فأتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجّي بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ! لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجَتَيه من الحور العين .

---

(١) رضخ لهن : أعطاهن عطاء يسيرا ، لم يصل إلى نصيب السهم .



Marfat.com

# قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

## وحديث المهاجرين إلى الحبشة

وقدِم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خَيْبر، فقبّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنيه، والتزمه وقال: ما أدرى بأيّهما أنا أُسَرُّ! بفتح خَيْبر أم بقدوم جعفر؟ وكان ممن أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم، حتى بعث فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشيّ عمرَو بن أمية الضَّمْرى، فحملهم فى سَفِينتين، فقدِم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحُدَيبية.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة عبد الله بن جحش، وامرأته رملة بنت أبى سفيان، وابنته حبيبة، خرج مع المسلمين مُهاجراً، فلما قدِم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هُنالك نَصْرانيًّا، فخلَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده، أم حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب. فكان عبدالله بن جحش إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: فقّحنا وصأصأتم[1].

وكان ممن هاجر النعمان بن عدىّ، فقدم مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فاستعمله على مَيْسان، من أرض البَصْرة، فقال أبياتًا من شعر، وهى:

ألا هل أتى الحَسْناء أنّ حَليلَها ... بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَم[2]

(١) هذا مثل، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لنظر صأصأ قبل ذلك.

(٢) الحليل: الزوج. والحنتم: جرار مدهنة بخضرة تضرب إلى الحمرة.

Marfat.com

إذا شئتُ غنّتْنِي دَهاقينُ قَرْيةٍ ... ورَقّاصَةٌ تجذُو على كل مَنْسِمِ(١)
فإنْ كنتَ نَدْمانِي فبالأكبر اسقِني ... ولا تَسْقِني بالأصـغر المُتثلِّم
لعلّ أميرَ المؤمنيـنَ يسوءه ... تنادُمنا فى الجَوْسَقِ المُتهدِّمِ(٢)

فلما بلغت أبياتُه عمر قال : نعم والله ! إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليُخبره أنّى قد عَزلْتُه ، وعَزله ، فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلتُه قط ، ولكنى كنت امرأ شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ؛ لا تعملُ لى على عمل ما بقيتُ وقد قلتَ ما قلتَ(٣) .

## عمرة القضاء

### فى ذى القعدة سنة سبع

فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى اللهُ عليه وَسلم ، ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها ، واستعمل على المدينـة عُويف بن الأضبط الدّيلى .

ويقال لها عمرة القِصاص(٤) ، لأنهم صدوا رسولَ الله صلى اللهُ عَليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

---

(١) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها . وتجذو : تبرك على ركبتيها ، ويريد بالمنسم : طرف قدميها .

(٢) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال هو الحصن . وهذه الأبيات كتبها النعمان إلى امرأته ، وكان قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأبت عليه .

(٣) لم يول عمر من قومه بنى عدى ولاية قط غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحه .

(٤) كما تسمى أيضا : عمرة القضية وعمرة الصلح .

فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع .

فأنزل الله فى ذلك ( الشهرُ الحَرَامُ بِالشَّهرِ الحَرَامِ وَالحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[١] ) .

وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابَه فى عُسرة وجهد وشدّة .

قال ابن عبّاس :

صَفّوا له عند دار النّدوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[٢] بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأً أراهم اليومَ من نفسه قوةً ، ثم استلم الرُّكن ، وخرج يُهَرْوِل ويهرول أصحابُه معه ، حتى إذا واراهُ البيت منهم ، واستلم الركنَ اليمانىّ ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ ، ومشى سائرَها[٣] .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ فى تلك العمرة وعبد الله بنُ رواحة آخذ بخطام[٤] ناقته يقول :

خَلُّوا بنى الكُفّار عن سبيلِهِ ... خلُّوا فكلُّ الخير فى رسولِهِ
يارَبِّ إنى مؤمنٌ بقِيلِه[٥] ... أعرف حقَّ الله فى قَبُوله

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٤ .

(٢) اضطبع بردائه : أدخل بعضه تحت عضده اليمنى ، وجعل طرفه على منكبه الأيسر .

(٣) فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فقضت السنة بها .

(٤) الخطام : الذى تقاد به الناقة .

(٥) قيله : قوله .

Marfat.com

نحن قتلناكم على تأويله  كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله  ويذهل الخليل عن خليله

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام ، وكان الذى زوّجه إياها العباسُ بنُ عبد المطلب .

وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أمِّ الفضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العباس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدَقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

فأقام رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بمكة ثلاثا ، فأتاه حُوَيْطِب بنُ عبد العزّى ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لاحاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وخلّف أبَا رافعٍ مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسَرِف(١) فبنى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة .

فأنزل الله عزّ وجلّ عليه (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا(٢)) يعنى خيبر .

---

(١) سرف ككتف : موضع قرب التنعيم .
(٢) سورة الفتح : آية ٢٧ .

# غزوة مؤتة

## فى جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها بقية ذى الحجة ، وَوَلِىَ تلك الحجّةَ المشركون ، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع ، و بعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمُؤتة[1] .

بعث رسول الله صلى اللهُ عَليه وسلم بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثة وقال : إن أُصِيب زيدٌ فجعفرُ بن أبى طالب على الناس ، فإن أُصِيب جعفر فعبد الله بنُ رواحة على الناس[2] .

فتجهّز الناسُ ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم، ودّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّموا عليهم ، فلما ودع عبدُ الله بنُ رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا : مايُبكيك يابن رواحة ؟ فقال: أمَا والله مابى حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعتُ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ( وَإنْ مِنكُمْ إلاّ وَارِدُهَا كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً[3] ) فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزّبَدَا[4]
أو طعنةً بيدَىْ حَرّانَ مُجهِزةً ... بحَرْبة تُنفِذ الأحشاء وَالكَبِدَا[5]

---

(١) مؤتة : قرية من أرض البلقاء من الشام وتسمى أيضا غزوة جيش الأمراء ، وذلك لكثرة المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار .

(٢) وزاد الزرقانى : « فإن قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم » .

(٣) سورة مريم : آية ٧١ .

(٤) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٥) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تخترقها .

Marfat.com

حتى يُقال إذا مرُّوا على جَدَثى أرشَــدَه الله من غازٍ وقد رَشَدَا

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلَفَ السّلامُ على امرئٍ وَدّعتَه فى النَّخلِ خَيْرَ مُشَيَّعٍ وَخَليلِ

ثم مضوا حتى نَزَلوا مَعَان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نَزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مِئةِ ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجُذَام والقَيْن وبَهْراء وَبَلِيّ مئة ألف منهم .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبرُه بعدَدِ عدوِّنا ، فإما أن يُمِدّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

فشجّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحة ، وقال : يا قوم ! والله إن التى تكرهون للّتِى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدَى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة .

فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم[1] البلقاء لقيتْهم جموعُ هِرقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدوّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم قُطْبة بنُ قَتَادة ، وعلى ميسرتهم عُبَاية بن مالك .

---

(١) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، وهى جمع : تخم .

ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[١] في رماح القوم .

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال ، اقتحم عن فرس له[٢] شقراء ، فعقرها[٣] ، ثم قاتل القومَ وهو يرتجز ـ فكان جعفرُ أولَ رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام ـ :

يا حبَّذا الجنّـةُ واقترابُها طَيِّبَـةً وبارداً شرابُها
والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

وبعد أن قطعت يمينه أخذ اللواء بشماله فقُطِعت ، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتِل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء .

فلما قُتِل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقدّم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمتُ يا نفسُ لتَـنْزِلِنَّهْ لَتنزِلِنَّ أو لَتُـكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ مالي أراكِ تَـكرهين الجنّهْ[٤]
قد طال ما قد كنتِ مطمئنّهْ هل أنتِ إلا نُطْفة في شَنَّهْ ![٥]

---

(١) يقال شاط الرجل : إذا سال دمه فهلك .

(٢) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا . واقتحم عن فرس له : رمى بنفسه عنها .

(٣) عقرها : ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف .

(٤) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع شبه البكاء .

(٥) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : السقاء البالي ، أي فيوشك أن تهراق النطفة أو ينخرق السقاء ؛ ضرب ذلك مثلا لنفسه في جسده .

Marfat.com

وقال أيضا :

يانفس إلا تُقْتَلى تموتى    هذا حِمَام الموت قد صَليتِ
وما تمنّيتِ فقد أعطيتِ    إن تفعلى فِعْلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْق[1] من لحم فقال : شُدّ بهذا صلبَك ، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هـذه مالقيت ؛ فأخذه من يده ثم انتَهَس[2] منه نَهْسَةً ، ثم سمع الحَطْمة[3] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم ، فقال : يامعشر المسلمين ! اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ماأنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخـذ الراية دافع القومَ ، وحاشى[4] بهم ، ثم انحاز وانحِيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

ولما أصيب القوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم صمت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، ثم قال : لقد رفعوا إلىّ فى الجنّة ، فيما يَرى النائمُ ، على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا[5] عن سريرى صاحبَيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

---

(١) العرق : العظم الذى عليه بعض لحم .
(٢) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا .
(٣) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .
(٤) حاشى بهم : انحاز بهم ، وهو من الحشى ، وهى الناحية .
(٥) ازورارا : ميلا ، وعوجا .

Marfat.com

ثم دخل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على أهل جعفر وقد دَبغت أربعين مَنًّا ، وعجنت عجينها ، وغسلت أبناءها وَدهنتهم ونظّفتهم ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتيني ببني جعفر ، فأتته بهم ، فتشمّمهم وذَرفت عيناه ، فقالت : يارسول الله! بأبي أنت وأمي ، مايُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ! أُصيبوا هذا اليوم ، فقامت تصيح ، واجتمعت إليها النساء ، وخرج رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم إلى أهله ، فقال : لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت :

لما أتى نَعْى جعفر ، عرَفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن ، فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ! إن النساء عنَّيننا وَفتنَّنا ؛ قال : فارجع إليهن فأسكِتهُن ؛ فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك ، قال : فاذهب فأسكتهن ، فإن أبَيْنَ فاحثُ في أفواههن التراب .

ولما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابنَ جعفر ، فأُتِي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه .

وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب ، ويقولون : يافُرّار ! فررتم في سبيل الله ! فيقول رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم : ليسوا بالفُرار ، ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله تعالى .

عن أم سلمة زوج النبي صلى اللهُ عليه وسلم :

قلت لامرأةِ سلمةَ بن هشام : مالى أرى سَلَمَة لايحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يافُرّار ، فررتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج .

# فتح مكة وأسبابه

## فى شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بَعْثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوَتِير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخُزاعة أنّ رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبّاد خرج تاجرا ، فلما توسّط أرض خزاعة عَدَوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدَت خزاعةُ قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رَزن الدّيلى — وهم مَنْخَر[1] بنى كنانة وأشرافهم — سَلْمى وكُلثوم وذؤيب — فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم[2] .

وكان بنو الأسود بن رزن يُودَوْن فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونُودَى دِيةً دِية وذلك لفضلهم .

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قريش ، كان فيما شرَطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرَط لهم :

أنه من أحبّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

---

(١) يريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه .

(٢) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

Marfat.com

فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثارًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابَعه ، حتى بيّت خزاعة وهم على الوتير — ماء لهم — فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا[1] خُزَاعةَ إلى الحَرَم، فلما انتهَوا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ! إنّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ ! إلهكَ ! فقال : كلمة عظيمة ! لا إله اليوم ! يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتَسْرِقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ !

فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقضوا ما كان بينهم وَبين رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم من العهد والميثاق ، بما استحلّوا من خُزاعة ، وكان فى عَقْدِه وعهده ، خرج عمرو بن سالم الُخزاعِىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدم على رسول الله صَلى اللهُ عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهْرانى الناس ، فقال :

ياربّ إنّى ناشـــدٌ محمّدًا ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتْلَدَا[2]
قد كنتمُ وُلْدًا وَكنّا وَالدَا ... ثُمّتَ أسْلَمْنا فلم نَنْزِعْ يَدَا[3]
فانصُر هَدَاكَ الله نصراً أعتَدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مدَدا[4]
فيهم رسولُ الله قد تجرّدا ... إن سِيمِ خَسْفا وجهُهُ تَرَبّدَا[5]

---

(١) حازوهم : ساقوهم .

(٢) ناشد : طالب ومذكر . والأتلد : القديم .

(٣) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية .

(٤) أعتد : حاضر ، من الشىء العتيد ، وهو الحاضر . والمدد : العون .

(٥) تجرد : شمر وتهيأ للحرب . وسيم : طلب منه وكلف . والخسف : الذل ، وتربد : تغير إلى السواد .

فى فَيْلَقٍ كالبحرِ يَجْرِى مُزْبِدا إنْ قريشاً أخلفوكَ المَوْعِدا[1]

ونَقَضُوا ميثاقَكَ المُؤَكَّدا وجَعَلوا لى فى كَدَاء رُصَّدا[2]

وزَعموا أنْ لستُ أدعو أحدَا وهُمْ أذلُّ وأقلّ عَـــدَدا

هُمْ بَيَّتونا بالوَتير هُجّدا وقَتَلونا رُكَّعًا وسُجّدا[3]

فانصر هداكَ الله نصرا أيِّدا[4]

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلى اللهُ عليهِ وَسلم عَنان[5] من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتستَهلّ بنصر بنى كعب .

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة[6] قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنــكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشدُ العَقْد ، ويَزيد فى المُدة .

ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بِعُسْفان ، قد بعثته قُريش إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ليشُد العقد ويَزيد فى المُدة ، وقد رَهِبوا الذى صنعوا ، فلما لقى أبو سُفيان بُدَيل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يابُديل ؟ ـ وظن أنه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : تَسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا .

---

(١) الفيلق : العسكر الكثير .

(٢) كداء : موضع بأعلى مكة ، ورصد : الطالب للشىء الذى يرقبه .

(٣) الهجد : النيام ، وقد يكون الهجد أيضا : المستيقظين ، وهو من الأضداد .

(٤) أيدا : قويا ، وهو من الأيد ،وهو القوة .

(٥) عنان : سحاب .

(٦) المظاهرة : المعاونة .

Marfat.com

فلما راح بُديل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُديل المدينة لقد عَلف بها النوى فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بَعرها ففتّه ، فرأى فيه النّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمدا .

ثم خرج أبو سُفيان حتى قدم على رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليَجْلس على فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طَوته عنه ، ؛ فقال : يابُنَيّة ! ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنّى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مُشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يا بُنية بعدى شرّ !

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذّر لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلام يَدِبّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ! إنك أمسّ القوم بى رحمًا ، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعنّ كما جئتُ خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سُفيان ! والله لقد عزَم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نَستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنة محمد ! هل لك أن تأمرى بُنَيّك هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنَىّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا أبا الحسن ! إنى أرى الأمور قد اشتدّت عَلَىّ فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيدٌ بنى كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين

الناس، ثم الحق بأرضك. قال : أو ترى ذلك مُغنيا عنى شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سُفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ! إنى قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق ، فلما قدم على قُريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمدا فكلّمته ، فوالله ما ردّ علىّ شيئا ، ثم جئت ابن أبى قُحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو . ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ما قلت ، قال : لا والله ، ما وجدت غيرَ ذلك .

وأمر رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهلَه أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرّك بعض جَهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بُنَيّة ! أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهّز ، قال : فأين تَرَيْنه يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدرى .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ ، وقال : اللهم خذ العيُون والأخبار عن قُريش حتى نَبغتَها فى بلادها . فتجهّز الناس .

ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة ، كتب حاطبُ بن أبى بَلْتعة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها جُعلا على أن تبلّغه قريشًا ، فجعلته فى رَأْسها ، ثم فَتلتْ عليه قُرونها ، ثم خرجت به .

وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صَنع حاطب ، فبعث علىّ

ابنَ أبى طالب والزبيرَ بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلْتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم .

فخرجا حتى أدركاها بالُخليقة[1] فاستنزَلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئا .

فقال لها علىّ بن أبى طالب: إنى أحلف بالله ما كُذِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا ، ولتُخرِجن لنا هذا الكتابَ أو لنكشفَنَّك ، فلما رأت الجدّ منه ، قالت : أعرِض ؛ فأعرض ، فحلّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطبًا ، فقال : يا حاطب ! ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهُرهم ولد وأهلٌ ، فصانَعْتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ! دَعْنى لأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يُدْريك يا عمر ؟ لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، فقال اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ، فأنزل الله تعالى فى حاطب ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ[2] ) إلى قوله ( قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ) إلى آخر القصة .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة كُلثوم

---

(١) الخليقة : اسم موضع .

(٢) سورة الممتحنة : آية ١ وما بعدها .

Marfat.com

ابن حُصَين ، وخرج لعشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيد بين عُسْفان وأمَج ، أفطر .

ثم مضى حتى نزل مرّ الظهران فى عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبّعت سُليم ، وألّفت مزينة[١] . وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، وقد عُمّيت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يَدْرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم ابن حِزام ، وبُدَيل بن ورقاء يتحسّسون الأخبار ؛ وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وقد كان العبّاس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجُحفة مهاجرًا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيما بمكة على سِقَايته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ .

وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنيقِ العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدّخول عليه ، فكلّمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ! ابن عمك وابن عمتك وصِهرك قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عِرضى ، وأما ابن عمتى وصِهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال ، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سُفيان بُنَىٌّ له ، قال : والله ليأذننّ لى أو لآخذن بيدى بُنَىّ هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجُوعا .

فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذِن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل مرّ الظّهران .

---

(١) سبعت سليم : أى كانت سبع مئة . وألفت : أى كانت ألفا .

حدث العباس بن عبد المطلب ، قال : عندما رأيت مارأيت قلت واصباح قريش ! والله لئن دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .

ثم جلستُ على بغلة رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجتُ عليها ، حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلّى أجد بعضَ الحطّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيُخبرهم بمكان رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ليَخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يَدْخلها عليهم عنوة .

فوالله إنى لأسير عليها ، والتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل ابن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سُفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ! ويجيبه بديل : هذه والله خزاعة حَمشتها(١) الحرب ؛ فقال أبو سُفيان : خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

فعرفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ! قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ، قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصباحَ قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ! قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك .

فركب خلفى ورجع صاحباه ، فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله !

---

(١) حمشتها الحرب : أحرقتها . ومن قال : حمستها بالسين المهملة فمعناه : اشتدت عليها ، وهو مأخوذ من الحماسة ، وهى الشدة والشجاعة .

الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ! ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطىء .

فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يا رسُول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه . فقلت : يا رسول الله ! إنى قد أجرتُه . ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايُناجيه الليلةَ دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد منَاف ؛ فقال : مهلا يا عبّاس ، فوالله لَإسْلامُك يوم أسْلمت كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عبّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به .

فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدَوتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ(١) لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ؛ قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا .

فقلت له : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، فقلت : يا رَسُول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن

---

(١) ألم يأن : ألم يحن .

أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ! احبسه بمَضِيق الوادى عند خَطْم الجبل[١] ، حتى تمرَّ به جنود الله فيراها . فخرجتُ حتى حبسته بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبسه .

ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ! مَن هذه ؟ فأقول : سُليم، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال: مالى ولبنى فلان، حتى مرَّ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فى كتيبته الخضراء[٢] .

فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس ! لمن هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : مالأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما ، قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوّة . قال: فنعم إذن، قلت : النجاء[٣] إلى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَميتَ الدَّسِم الأحْمَس[٤] ، قُبِّح من طليعة[٥] قوم ! قال : ويلكم لا تغرَّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل

---

(١) خطم الجبل : أنفه ، وهو شىء يخرج منه ، يضيق به الطريق .

(٢) سميت الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

(٣) النجاء : السرعة . تقول : نجا ينجو نجاء : إذا أسرع .

(٤) الحميت : زق السمن ، والدسم : الكثير الودك ، والأحمس هنا : الشديد اللحم . والمعنى على تشبيه الرجل بالزق لعبالته وسمنه .

(٥) الطليعة : الذى يحرس القوم .

Marfat.com

دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تُغنى عنـا دارُك ؟! قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

• • •

ولمـا انتهى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشُقَّة بُرْدِ حِبَرَة[١] حمراء ، وأحنى رأسه تواضُعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرّحْل .

ويروون أنه لمـا وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذى طُوَى ، قال أبو قُحافة ، وقد كُفّ بصرُه ، لابنة من أصغر ولده : أى بنية ! اظْهَرِى بى على أبى قبيس[٢] ، فأشرفت به عليه ، فقال : أى بنية ! ماذا ترين ؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بنية ! ذلك الوازع[٣] ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى !!

فانحطت به وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته ، وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق[٤] ، فتلقاها رجل فلقطه من عنقها .

فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى

(١) معتجر . الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة ، والشقة : النصف . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

(٢) اظهرى بى : اصعدى وارتفعى . وأبو قبيس : جبل بمكة .

(٣) الوازع : الذى يرتب الجيش ويسويه ويصفه .

(٤) الطوق هنا : القلادة . والورق : الفضة .

Marfat.com

أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسولَ الله ! هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت ؟ فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ثم قال له : أسلم ، فأسلم .

فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة(١) ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ؛ ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يُجبه أحد ، فقال : أى أُخيّة ! احتسبى طوقَك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - حين فرّق جيشه من ذى طُوًى - الزبيرَ بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المُجَنِّبَة اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء(٢) .

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، فدخل من اللِّيط ، أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ؛ وأقبل أبو عُبيدة بن الجراح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدى رسول الله صلى اللهُ عليه وَسلم ، ودخل رسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسلم من أذاخِر ، حتى نَزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبّته ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يبتسم إلى أبى بكر الصديق وهو يشاهد النساء يلطمن الخيل بخمرهن .

وكان صَفْوان بن أمية وعِكرمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِمَاس بن قيس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ سلاحا قبل دُخول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُصلح منه ؛ فقالت له امرأتُه : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال :

---

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو من نبات الجبال ، وأشد ما يكون بياضا إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

(٢) زعم بعض المؤرخين أن سعدا حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها عمر بن الخطاب ، فقال : يارسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه ، فكن أنت الذى تدخل بها .

لمحمد وأصحابه ؛ قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، ثم قال :

إن يُقْبِلوا اليوم فما لى عِلّه    هذا سِلاحٌ كامل وأَلّه[1]
وذو غِرارَين سريع السَّله[2]

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال . وأصيب بضع من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنكِ لو شهدتِ يوم الخَندَمَهْ    إذ فر صفوان وفرّ عِكرمهْ
وابو يزيدَ قائم كالمُوتِمَهْ    واستقبلَتهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمَهْ[3]
يقطعنَ كل ساعد وجُمْجُمَهْ    ضَرْبًا فلا يُسْمَع إلاّ غمغمه[4]
لهمْ نَهيتٌ خلفَنا وَهَمْهَمَهْ    لم تنطِقى فى اللوم أدنى كلمه[5]

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنين والطائف ، شعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عُبيدِ الله .

---

(١) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(٢) ذو غرارين : سيف ذو حدين .

(٣) وابو يزيد : قلب الهمزة ألفا ساكنة تخفيفا فى ضرورة الشعر . والمراد بأبى يزيد : سهيل بن عمرو خطيب قريش . والموتمة والموتم بلا همز أيضا : وهى المرأة مات زوجها وترك لها أيتاما .

(٤) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٥) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يوصف به الأسد . والهمهمة : صوت فى الصدر أيضا .

Marfat.com

وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لايقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهِدَ في نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إليّ يارسول الله ؟ قال : إن النبي لايقتل بالإشارة .

ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر (١) .

عن صَفِيّة بنت شَيْبة :

أن رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم لما نزل مكّة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيتَ فطاف به سَبْعا على راحلته ، يستلم الركن بِمِحْجَن (٢) في يده ، فلما قضى طوافَه دعا عثمانَ ابن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمامة من

---

(١) وكان ممن أمر بقتله أيضا عبد الله بن خطل وإنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا — أى جامعا للصدقات — وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيسا ، فيصنع له طعاما فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكانت له قينتان ، فرتنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

(٢) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير في يده .

عِيدَانٍ ، فكَسَرَهَا بيده ، ثم طرحها[1] ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس[2] في المسجد ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة[3] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين إلاَّ سَدَانَةَ[4] البيت وسِقَايةَ الحاج ، ألاَ وقتيلُ الخطأ شبه العمْد بالسَّوْط والعصا ففيه الدِّيةُ مغلظة ؛ مِئة من الإبلِ ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ[5] ) الآية كلها ، ثم قال : يا معشر قريش ! ما تَرَوْن أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ؛ قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ! اجمع لنا الحِجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدُعِي له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك يا عثمان ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووفاء .

وقال لعلي : إنما أعطيكم ماتَرْزَءُون لا ماتَرْزَءُونَ[6] .

---

(١) دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ! ما شأن إبراهيم والأزلام ! « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

(٢) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة .

(٣) المأثرة : الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها الناس .

(٤) سدانة البيت : خدمته .

(٥) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٦) ماترزءون لا ماترزءون : إنما معناه : إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التي تحتاج إلى مؤن ، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها ، يعني كسوة البيت .

Marfat.com

ودخل رسُول الله صلى اللهُ عليه وسلم الكعبةَ ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه وجعلَ الباب قِبَل ظهره ، حتى يكون بينه و بين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلّى ، يتوخّى[1] بذلك الموضع الذى قال له بلال .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب ابن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتّاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا ألاّ يكون سمع هذا ، فيسمع منه مايغيظه ، فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقّ لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلّمت لأخبَرت عنى هذه الحصَى ! فخرج عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمتُ الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسولُ الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخْبرك .

ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يَحِل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفِك فيه دما ، ولا يَعضِدَ[2] فيها شجرا ، لم تحْلِل لأحد كان قبلى ، ولا تحِلّ لأحد يكون بعدى، ولم تُحلَلْ لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها، ألا ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فليبلِّغِ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم ، يا معشر خُزاعة ! ارفعوا أيدِيَكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إنْ نفع ، لقد قتلتم قتيلا

(١) يتوخى : يقصد .

(٢) لا يعضد : لا يقطع .

Marfat.com

لا ديَتهُ ، فمن قُتل بعد مَقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَم قاتله ، وإن شاءوا فعقْلهُ .

ثم وَدَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلا قتلته خُزاعة .

ثم أقام عليه الصلاة والسلام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرَغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى اللهُ عليه وسلم : مَعاذَ الله ! المَحْيا محيا كم ، والمَمات مماتكم .

عن ابن عباس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبى صلى اللهُ عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول ( جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ) فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ، فقال أحد الشعراء فى ذلك :

وفى الأصنام مُعتبَر وعِلْم ... لمن يَرْجو الثوابَ أو العقابا

ويروون أن فَضالة بن عُمَير بن المُلوَّح الليثىَّ أراد قتل النبى صلى اللهُ عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عامَ الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : أفَضالة ! قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ، قال : ماذا كنت تحدّث به نفسك ؟ قال : لاشىء ، كنت أذكر الله ، فضحك النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استَغْفِرِ الله ! ثم وضع يده على صدْره ، فسكن قلبه ، فكان فَضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما مِنْ خَلْقِ الله شىء أحبُّ إلىَّ منه ، فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت لا . . .

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأْبَى عليكِ اللهُ والإسلامُ

Marfat.com

لَوْ مَا رأيتِ محمداً وقبيلَه ... بالفتح يومَ تَكسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيِّنًا ... والشركُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرةَ آلاف ، وسائرهم من قُريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى[1] :

عَدِمْنَا خيلَنَا إن لم تروها ... تثير النقعَ موعدُهَا كَدَاء[2]
ينازعن الأعنَّة مُصْغِيات ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّمَاء[3]
تظلُّ جيادُنا مُتمطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاء[4]
فإمَّا تُعْرِضُوا عنَّا اعْتَمَرْنَا ... وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاء[5]
وإلا فاصبِرُوا لِجلادِ يَوْم ... يُعِينُ الله فيه من يشاء[6]
وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... ورُوح القُدْسِ ليس له كِفاء[7]
وقال الله قد أرسَلْتُ عَبْدًا ... يقولُ الحقَّ إن نفعَ البَلاء[8]
وقَالَ اللهُ قد سيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِّقَاء[9]

---

(١) اخترنا من هذه القصيدة بعض أبياتها .

(٢) النقع : الغبار . وكداء : ثنية بأعلى مكة .

(٣) الأعنة : جمع عنان وهو اللجام . والمصغيات : الموائل المنحرفات للطعن . والأسل : الرماح .

(٤) المتمطرات : التى يسبق بعضها بعضا . ويلطمهن : تضرب النساء وجوههن لتردهن . والخمر جمع خمار ، وهو ما تغطى به المرأة رأسها ووجهها .

(٥) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وهى زيارة بيت الله الحرام .

(٦) الجلاد : القتال بالسيوف .

(٧) كفاء : مثل .

(٨) البلاء : الاختبار .

(٩) عرضتها اللقاء : عادتها أن تتعرض للقاء ، فهى قوية عليه .

ألا أبلغْ أبا سُفيانَ عَنِّى مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الْخَفاء[١]
أتهجوه ولستَ له بكفء فشرُّكما لِخيركما الفداء
هجوتَ مباركا بَرًّا حَنيفاً أمينَ اللهِ شِيمتُهُ الوفاء[٢]
فإنَّ أبى ووالده وعِرضى لعرض محمدٍ منكم وقاء

## مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة

### ومسير علىّ لتلافى خطأ خالد

ثم بَعث رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فيما حول مكةَ السَّرايا ، تدعو إلى الله عزّ وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالدُ بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفلِ تِهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطِئَ بنى جَذِيمة[٣] ، فأصاب منهم .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِّفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقَتَل من قتَلَ منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبْرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، هل أنكرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة[٤] فنَهَمَه[٥] خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب[٦] فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالِم ، مولى أبى حُذيفة .

---

(١) أبو سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى ، وكان هجا النبى قبل أن يسلم. مغلغلة : رسالة ترسل من بلد إلى بلد .

(٢) الحنيف : المسلم ، وسمى حنيفا ، لأنه مال من الباطل إلى الحق . وشيمته : طبيعته .

(٣) تعرف هذه السرية بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

(٤) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٥) نهمه : زجره .

(٦) مضطرب : ليس مستوى الخلق .

Marfat.com

ثم دعا رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علىّ ! اخرج إلى هؤلاء القوم ،فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك .

فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فوَدَى لهمُ الدماء ، وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه لَيدى لهمُ مِيلَغَةَ الكلب[1] ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علىّ رضوان الله عليه حين فَرَغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا: لا. قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم مما لا يَعلَم ولا تعلمون ، ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر فقال : أصبت وأحسنت .

ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت مَنكِبيه ، يقول : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

وقد قال بعض من يعذر خالدا أنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله ابن حُذافة السَّهْمِيّ ، وقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

هذا وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عمِلت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه

---

(١) الميلغة : شىء يحفر من خشب ، ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل البادية .

Marfat.com

ابن المغيرة ، حتى كان بينهما شر[١] ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته .

## مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى العُزّى ، وكانت بنخْلَة[٢] وكانت بيتا يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سَدَنَتُها وحُجّابها بنى شَيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمِىّ بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل[٣] الذى هى فيه وهو يقول :

أَيا عُزُّ شُدِّى شدّةً لاشَوَى لها ... على خالدٍ ألقى القناعَ وشمِّرى[٤]
أيا عُزُّ إنْ لم تقتلى المرء خالدا ... فبُوئى بإثمٍ عاجل أو تَنَصَّرى[٥]

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) وكان الفاكه بن المغيرة ، وعوف بن عبد عوف وعفان بن أبى العاص قد خرجوا تجارا إلى اليمن ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، — كان هلك باليمن — إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذه ، وقاتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ماكان مصاب أصحابكم عن ملإ منا ، إنما عدا عليهم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ماكان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

(٢) نخلة : اسم موضع .

(٣) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .

(٤) لاشوى لها : لا تبقى على شىء .

(٥) بوئى : ارجعى ، وفى البيت خرم .

Marfat.com

وأقام رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

## غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

ولما سمعتْ هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، وفيهم دُرَيْد بن الصّمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرِّبا .

فلما أجمع السير إلى رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ، ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطَاس[1] اجتمع إليه الناس ، وكان دريد بن الصّمة فى شجار[2] له يُقاد به ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوْطَاس ، قال : نِعمَ مجَالُ الخيل ! لاحَزْنٌ ضِرْس[3]، ولا سَهلٌ دَهْس[4] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاقَ الحمير ، و بكاء الصغير ، ويُعار الشاء[5] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهُمْ ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، ودُعى له ، فقال : يا مالك ! إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيام ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهْم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل منهم أهلَه

(١) أوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين ، وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق النبى إليها .

(٢) الشجار : شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٣) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٤) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٥) يعار الشاء : صوتها .

ومالَه ، ليقاتل عنهم، فأنقضَ به(١) ، ثم قال : راعِيَ ضأنٍ(٢) والله ! وهل يَرُدّ المنهزمَ شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال : مافعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدْها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ(٣) والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، ولَوَدِدْتُ أنكُمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ، فمن شهِدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو ابن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعان(٤) من عامر ، لاينفعان ولا يضران ، يامالك ! إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ ... بيضة هوازن(٥) إلى نحور الخيل شيئا ، ارْفعْهُم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاء(٦) على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْت وكَبِرَ عَقْلك ، والله لتطيعُنَّنى يا معشر هَوازِن أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يَخْرُج من ظهرى ، وكَرِه أن يكون لدُريد بن الصّمة فيها ذِكر أو رأى ، فقالوا : أطعناك ! فقال دُريد بن الصّمة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفتْنى :

يالَيتنى فيها جَذَعْ أخُبّ فيها وأضَعْ(٧)

---

(١) أنقض به : أى زجره .

(٢) قوله « راعى ضأن » : يجهله بذلك ، كما قال الشاعر :

أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه ماذا يريبك منى راعى الضان ؟

(٣) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .

(٤) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب ، بمنزلة الجذع فى سنه .

(٥) بيضة هوازن : جماعتهم .

(٦) الصباء : جمع صابئ ، وهم المسلمون عندهم ، كانوا يسمونهم بهذا لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام .

(٧) الجذع : الشاب . والخبب والوضع : ضربان من السير .



Marfat.com

أقودُ وطفْاءَ الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَـدَعْ(١)

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فا كسِرُوا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدّوا شدّة رجل واحد .

ثم بعث مالك بن عوف عيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلَـكُمْ ! ما شأنُـكُم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بِيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابنَا ما ترى ؛ فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على ما يريد ! !

ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدَ الله بنَ أبى حَدْرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيه بخبرهم ؛ فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فأخبره الخبر ، فدعا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر ، فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد ، فقال ابن أبى حدرد : إن كذّبتنى فربما كَذَّبْتَ بالحق ياعمر ، فقد كذّبْتَ من هو خير منى ؛ فقال عمر : يا رسول الله ! ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنتَ ضالا فهداك الله ياعمر .

فلما أجمع رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أمية(٢) أدراعاً له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرِك ، فقال : يا أبا أمية !

---

(١) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة : يريد فرسا صفتها هكذا ، وهو محمود فى وصف الخيل . والشاة هنا : الوعل . وصدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقير .

(٢) وهو يومئذ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيار فيها .

أعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً ، فقال صفوان : أغصْبا يامحمد ؟ قال : بل عاريّة ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

ثم خرج رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم عتّابَ بن أسِيد على مكة ، أميرًا على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

وكانت لكفار قريش ومَنْ سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذاتُ أنْواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوما . فرأى مسلمو مكة ــ وكانوا حديثى عهد بالإسلام ــ وهم يسيرون مع رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، فتنادوا من جَنَبات الطريق : يا رسول اللهِ اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رَسُول اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلم : الله أكبر ! قلتم ــ والذى نفس محمد بيده ــ كما قال قوم موسى لموسى ( اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ[1] ) إنها السُّنَن ، لترْكبُنّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ .

عن جابر بن عبد الله ، قال :

لما استقبلْنا وادىَ حُنين انحدرنا فى واد من أوْدية تِهامة أجوف حَطُوط[2] ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، وفى عَمايَة الصُّبْح[3] ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شِعابه وأحنائه[4] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن

(١) سورة الأعراف : آية ١٣٨ .

(٢) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . وأجوف : متسع . وحطوط : منحدر .

(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٤) الشعاب هنا : الطرق الخفية . وأحناؤه : جوانبه .

Marfat.com

منحطون إلا الـكتائبُ قد شدُّوا علينا شَدّةَ رجل واحد ، وانشَمر الناس[١] راجعين ، لا يَلوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هَلُمُّوا إلىّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . فلا شيء[٢] ، حَمَلَت الإبل بعضُها على بعض، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهلِ بيته .

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن[٣] ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ! وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته[٤] . وصرخ جَبَلة بن الحنبل! وهو مع أخيه صفوانَ بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاَ بطل السِّحْرُ اليومَ ! فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ الله فاكَ[٥] ، فوالله لأن يَرُبَّنى[٦] رجلٌ من قُرَيْش أحبُّ إلىّ من أن يَرُبَّنى رجل من هَوازن !!

وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة : اليومَ أدركُ ثأرى من محمد ـ وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ـ اليوم أَقتلُ محمداً ، فأدار برسول الله ليقتله ، فأقبل شيء حتى تَغَشّى فؤادَه ، فلم يطق ذاك ، وعلم أنه ممنوع منه .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، قال حين فَصَل من مكةَ إلى حُنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغلَبَ اليوم من قِلّة .

---

(١) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .

(٢) يريد : فلشيء عظيم .

(٣) الضغن : العداوة .

(٤) الضمير راجع إلى أبى سفيان . والأزلام : السهام التى يستقسمون بها .

(٥) فض الله فاه : أى أسقط أسنانه .

(٦) ربنى : يكون ربا لى ، أى مالكا على .

Marifat.com

عن العباس بن عبد المطلب ، قال :

إنى لمَعَ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَةِ بغلتِهِ البيضاء قد شَجَرْتُها بها[١] ، وكنتُ امرأ جسيما شديد الصوت ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ماراى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شىء ، فقال : ياعباس ! اصْرُخ ، يامعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، فأجابوا : لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ ! فيذهب الرجل لِيثْنِىَ بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلّى سبيله ، فيؤمّ الصوت حتى ينتهىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مِئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أولَ ما كانت : ياَلَلأَنصار ! ثم خَلَصَت أخيراً : ياَلَلْخزرج ! وكانوا صُبُرًا عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجتَلَد القوم[٢] وهم يجتلدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس .

وبينا ذلك الرجل من هَوازن ، صاحبُ الراية ، على جمله يصنع مايصنع ، إذ هوى له[٣] علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَىِ الجمل ، فوقع على عجزه[٤] ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَهُ[٥] بنصف ساقه ، فانجعف[٦] عن رحله ، واجتلد الناس ، فوالله مارجَعَتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شجرتها بها : أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .

(٢) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .

(٣) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال إليه .

(٤) عجزه : مؤخره .

(٥) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضربه طنين ، اى دوى .

(٦) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .

Marfat.com

والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته[1] ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك[2] يارسول الله .

وشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سُلَيم[3] ابنة مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعُزّها[4] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته[5] مع الخِطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُلَيم ؟ قالت : نعم ! بأبى أنت وأمى يارسول الله ، اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سليم[6] ؟ وكان معها خِنْجَر ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت: خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بَعَجْته[7] به ؛ فقال أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ماتقول أم سُليم الرُّمَيْصَاء ؟!

ولما انهزم المشركون أتَوُا الطائف ، وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجه بعضهم نحو

---

(١) الثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

(٢) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمك ، لكنه أراد أن يتقرب إليه ، لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهما فى النسب .

(٣) وتعرف بالغميصاء والرميصاء ، لرمص كان فى عينيها .

(٤) يعزها : يغلبها .

(٥) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

(٦) وفى رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبى على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكبائر ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معدود فى الكبائر إلا فى يوم بدر ، قال تعالى : ( ومن يولهم يومئذ دبره ) فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما الفارون يوم أحد فقد نزل فيهم ( ولقد عفا الله عنهم ) وأما الفارون فى يوم حنين فقد نزل فيهم أيضا ( ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ) إلى قوله ( غفور رحيم ) .

(٧) بعجته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه .

Marfat.com

نخلة . ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَة من ثقيف ، وتبعت خَيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع دُرَيْدَ بن الصِّمَّة ، فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له ، فإذا برجل فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْد بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيد: ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا رَبيعة بن رُفَيْع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغن شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخَّر الرحل — وكان الرحل فى الشِّجار — ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فرُبَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءك ، فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف ، فإذا عِجَانه[1] وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء[2] ، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً .

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجَّه قِبَلَ أوْطاسٍ أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال[3] فرُمِىَ أبو عامر بسهم فقُتِل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرىّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم ، فيزعمون أن سَلَمَة بن دُرَيْد هو الذى رَمَى أبا عامر الأشعرىّ بسهم ، فأصاب رُكبته ، فقتله .

واستحر القتل من بنى نَصْر فى بنى رِئَاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس — وهو حد

---

(١) عجانه : مابين فرجيه .

(٢) أعراء : جمع عرى ( بوزن قفل ) وهو الفرس الذى لا سرج له .

(٣) يقال تناوش القوم فى القتال : إذا تناول بعضهم بعضاً بالرماح ، ولم يتدانوا كل التدانى .

بنى وَهْب بن رِئاب ـ قال : يارسول الله ! هلكتْ بنو رئاب . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْبُرْ مصيبتَهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنيّة[1] من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تَمْضِيَ ضُعفاؤُكم ، وتَلْحق أُخراكم ، فوقف هناك حتى مَضى مَنْ كان لحِقَ بهم من مُنْهزمة الناس .

فطلعت عليهم خيلٌ ، فقال لأصحابه : ماذا تَرون ؟ فقالوا : نرى قوما واضعى رماحِهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُهم[2] ، فقال : هؤلاء بنو سُلَيم ، ولا بأسَ عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قوما عارضى[3] رِماحهم ، أغفالاً[4] على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوْس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوْا إلى أصل الثّنيّة سلكوا طريق بنو سُليم ، ثم طلع فارس ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا طويل البادّ ، واضعا رمحه على عاتقه[5] ، عاصبًا رأسه بمُلاءة[6] حمراء ، فقال : هذا الزبير بن العوّام، وأحلف باللات ليخالِطَنّكُمْ ، فاثبُتوا له ، فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثّنيّة أبصر القوم ، فصَمَد لهم[7] فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم[8] عنها .

ومر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد والناس

---

(١) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

(٢) البواد : جمع الباد ، وهو باطن الفخذ .

(٣) عارضى رماحهم : أى واضعيها بالعرض .

(٤) أغفالا : جمع غفل ، وهو الذى لا علامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشىء يعرفون به .

(٥) العاتق : مابين المنكب والعنق .

(٦) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة .

(٧) صمد : قصد .

(٨) أزاحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .

Marfat.com

مُتَقَصِّفُونَ(١) عليها ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرِكْ خالدا ، فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وَليدا أو امرأة أو عَسيفا(٢) .

وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يومئذ : إن قدَرتم على بجادٍ – رجل من بنى سعد بن بكر – فلا يُفلِتَنَّكم . وكان قد أحدث حدَثا ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيماء ، بنت الحارث بن عبد العُزّى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنُفوا عليها فى السِّيَاق ، فقالت المسلمين : تعلَّمُوا والله أنى لأخت صاحبكم من الرَّضاعة ، فلم يصدِّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتُهِىَ بها إلى رسول الله صلى اللهُ عَليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ! إنى أُختك من الرضاعة ، قال : وماعلامة ذلكِ ؟ قالت عَضَّة عَضِضْتَنيها فى ظهرى وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ(٣) ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه وخيّرها ، وقال : إن أحببتِ فعِندِى مُحَبَّةً مُكرَمَةً ، وإن أحْبَبْتِ أنْ أُمتِّعَكِ(٤) وترجعى إلى قومك فعلتُ ، فقالت : بل تمتِّعُنى وتردُّنى إلى قومى ، فمتَّعها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوَّجتْ أحدَهما الأُخرى ، فلم يزل فيهم من نسلها بقية .

وأنزل الله عز وجل فى يوم حُنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) متقصفون : مزدحمون . .

(٢) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(١) متوركتك : حاملتك على وركى .

(٢) أمتعك : أى أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أى الانتفاع .

Marfat.com

وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[1] ).

ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَايا حُنَيْن وأموالُها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفارىّ ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرَانة ، فحُبِسَتْ بها .

## غزوة الطائف

### سنة ثمان

ولما قَدِم فَلّ[2] ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصَنعوا الصنائع للقتال . ولم يشهد حُنَيْنا ولا حِصارَ الطائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمة ، كانا بجُرَش[3] يتعلمان صنعة الدَّبَّابات[4] والمَجَانيق[5] والضُّبُور[6] .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليَمانِيَة ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاء مِنْ لِيَّة[7] ، فابتنى بها مسجدًا ، فصَلّى فيه . وأقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرُّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقِيد به فى الإسلام ، رَجُلٌ من بنى لَيْث قَتَلَ رجلا من

---

(١) سورة التوبة آية ٢٥ وما بعدها . وقد حدث جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ، مثل البجاد الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

(٢) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

(٣) جرش : مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٤) الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها وهى صنع من خشب ، وتغشى بجلود .

(٥) المجانيق : جمع منجنيق ، وهى من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٦) الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف .

(٧) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

Marfat.com

هُذَيل ، فقتله به ، وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بِلِيَةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك في طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له الضَّيْقَة ، فقال : بل هي اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخِب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهُمْ ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أُصِيب أولئك النفر من أصحابِهِ بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، فضرب لهما قُبَّتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية مسجدا ، وكان في ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيض(١) ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديدا ، وتَرامَوْا بالنَّبل .

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجَنيق ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رَمَى في الإسلام بالمَنْجنيق ، رمى أهلَ الطائف .

حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابَةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأرسلتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

---

(١) النقيض : الصوت .

وتقدم أبو سفيانَ بن حَرْب والمغيرة بن شُعْبَة إلى الطائف ، فناديَا ثقيفا : أنْ أمِّنونا حتى نكلِّمكم ، فأمنوهما ، فدعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كِنانة لِيخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهن السِّبَاء ، فأبين ، فلما أبين عليهما قالا لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويا مغيرة ! ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ؟ إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف، نازلا بوادٍ يقال له العقيق — إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاء ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يُعْمَرَ أبدا ، فكَلِّماه فليأخذْه لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحِم ، فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

ويروى أن رسول الله صلى اللهُ عليهِ وَسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ! إنى رأيت أنِّى أهدِيَت لى قَعْبَة[1] مملوءة زُبْدًا ، فنقرها ديك ، فهَراق مافيها، فقال أبو بكر : ما أظن أنْ تُدرِكَ منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خُويلة بنت حكيم وهى امرأة عثمان ؛ قالت : يارسول الله ! أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِيَّ بادية بنتِ غَيْلانَ بن مظعون ، أو حُلِيَّ الفارعةِ بنت عقيل ؛ وكانتا من أحلى نساء ثقيف ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ؛ فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ؛ فدخل على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله ! ما حديث حَدَّثَتْنيهِ خُويلة ، زعمتْ أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال أوَمَا أذِنَ لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أُوذِن بالرحيل ؟ قال : بلى ، فأذَّن عُمَرُ بالرحيل .

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيدِ بن عُبَيد : ألَا إنَّ الحيَّ مقيم ، فقال عيينة بن حِصْن :

---

(١) القعبة : القدح .

أجل ، والله مَجَدَةٌ كِرَاما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رســول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقال : إنى والله ما جئت لأُقاتل ثقيفا معكم ، ولـكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطِئُها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مَنَاكِير[1] .

ونزل على رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى إقامته ممن كان محاصَرًا بالطائف عَبِيدٌ فأسْلَمُوا ، فأعتقهم رسول الله صلى اللهُ عليه وَسلم .

ولما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العَبيدِ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عُتقَاءَ الله .

واستُشهد بالطائف من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

## السبايا وعطايا المؤلفة قلوبهم

## وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا[2] حتى نزل الجِعْرَانة فِيمَنْ معه من الناس ، ومعه من هوازنَ سَبْى كثير ، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف : يا رسول الله ! ادع عَلَيْهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اهدِ ثقيفا وأْتِ بهم .

ثم أتاه وَفْد هوازنَ بالجِعْرَانه وقد أسلموا ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مناكير : ذوى دهاء وفطنة .

(٢) دحنا ( بالفتح ) ويروى مقصورا وممدودا : من مخاليف الطائف .

من سبي هوازن ستة آلاف من الذراريّ والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يُدْرَى ما عِدَّته فقالوا : يا رسول الله ! إنا أَصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخْف عليك ، فامْنُنْ علينا ، مَنَّ الله عليك .

وقام رجل من هوازنَ ، فقال : يا رسول الله ! إنما فى الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك[2] اللاتى كن يكفُلنك ، ولو أنَّا مَلَحْنا للحارث بن أبى شِمْر ، أو للنعمان ابن المنذرِ[3] ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته[4] علينا ، وأنت خير المكفولين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ! خيَّرْتَنا بين أموالِنا وأحْسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا ، فهو أحب إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صَلَّيت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائِنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، فلما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلِب فهو لكم ؛ فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها ، وكان السبى فى حظائر مثلها .

(٢) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت حاضنته من بنى سعد ابن بكر من هوازن ، وكانت ظئرا له .

(٣) ملحنا : أرضعنا . والملح : الرضاع . والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام من العرب ، والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب .

(٤) عائدته : فضله .

عُيَيْنة بن حِصْن : أما أنا و بنو فَزَارة فلا ، وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا و بنو سُلَيم فلا ، فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم : أمّا من تمسّك منكم بحقه من هذا السَّبْي ، فله بكل إنسان ستُّ فرائض ، من أول سَبْي أصيبُه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه جارية ، وأعطَى عثمان بن عَفّان جارية ، وأعطَى عمرَ بن الخطاب جارِية ، فوهبها لعبد الله ابن عُمَرَ ابنه .

عن عبد الله بن عُمَرَ ، قال :

بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَحَ ، ليُصْلِحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، فخرجت من المسجد حين فَرَغتُ ، فإذا الناسُ يَشْتَدُّون ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رَدّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تِلكم صاحبتُكم فى بنى جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

وأما عُيَيْنة بن حِصْن فأخذ عجوزا من عجائز هوازنَ ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسِب لها فى الحى نسَبا ، وعسى أن يعظُم فِداؤها ، فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بست فرائض ، أبى أن يَرُدَّها ، فقال له زهير أبو صُرَد : خذها عنك ! فو الله ما فُوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد[1] . ولا دَرُّها بماكد[2] ، فردها بست فرائض حينَ قال له زُهير ما قال ، فزعموا أن عُيَيْنةَ لقِىَ

---

(١) بواجد : أى بحزين ، يريد أن زوجها لا يحزن عليها ، لأنها عجوز .

(٢) الدر : اللبن . والماكد : الغزير .

الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غَرِيرة[1] ، ولا نَصَفا وَثيرَة[2] .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد هوازن ، عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مُسلما رددت عليه أهلَه وماله ، وأعطيته مئة من الإبل ، فأُتِيَ مالكٌ بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يَعلَمُوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِيَ به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه ، حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجعرانة ، فرد عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مِئة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه .

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لايخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيّق عليهم .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ! اُقسم علينا فيئَنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدُّوا علىّ ردائى أيُّها الناس ، فوالله أنْ لو كان لكم بعدد شجر تِهامَةَ نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانًا ولا كذّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَة من سَنامه ، فجعلها بين أُصْبُعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ! والله مالى من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم ، فأدُّوا الخِياط والمِخْيط[3] . فإن الغُلُول[4] يكون على أهله عارا ونارا وشنارا[5] يوم القيامة

(١) الغريرة : المتوسطة من النساء فى السن .
(٢) الوثيرة من النساء : السمينة اللينة .
(٣) الخياط : الخيط ؛ والمخيط : الإبرة .
(٤) الغلول : الخيانة .
(٥) الشنار : أقبح العار .

قال : فجاء رجل من الأنصار بِكُبَّةٍ من خُيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ! أخذت هذه الكُبَّة أعمَلُ بها بَرْذَعَةَ بعيرٍ لى دَبِر ؛ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أمَّا إذ بلَغَتْ هذا فلا حاجة لى بها ؛ ثم طرَحها من يده .

ودخل عَقِيلُ بن أبى طالب يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه متلطِّخ دما ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبتَ من غنائم المشركين ؟ فقال : دُونكِ هذهِ الإبرةَ تَخيطِينَ بها ثيابَك ؛ فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِيَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئا فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخيَط ، فرجع عَقيل ، فقال : ما أرى إبرتَكِ إلا قد ذهبت ؛ فأخذها فألقاها فى الغنائم .

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلَّفةَ قلوبُهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألَّفُ بهم قومهم ، فأعطى أبا سُفيان بن حرْب مِئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مِئة بعير ، وأعطى حَكيمَ بن حِزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث ابن كَلَدة أخا بني عبد الدار مئة بعير . وأعطى الحارثَ بن هشام مئة بعير ، وأعطى سُهَيْلَ بن عمرو مئة بعير ، وأعطى حُوَيطِبَ بن عبد العُزّى مئة بعير ، وأعطى العَلاء ابن جارية الثقفى مئة بعير ، وأعطى عُيينة بن حِصْن مئة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمىّ مئة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النَّصْرىّ مئة بعير ، وأعطى صفوان ابن أمية مئة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المئة رجالا من قريش .

وأعطى عبّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فسَخِطها ، فعاتب فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :



Marfat.com

كانت نِهاباً تَلافَيتُها بِكَرّى عَلَى المُهرِ فى الأجرَعِ[1]
وإيقاظِىَ القومَ أنْ يرقُدُوا إذا هَجَعَ النَّاسُ لم أَهْجَعِ[2]
فَأَصْبحَ نَهْبِى وَنَهْبُ العُبَيْـدِ بَيْنَ عُـيَيْنة وَالأَقْرَعِ[3]
وقدْ كنت فى الحرب ذَا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شيئاً وَلم أُمْنَعِ[4]
إلاّ أفائلَ أُعطِيتُها عَديدَ قوائمِها الأَرْبَعِ[5]
وَمَا كَانَ حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان شَيْخِىَ فى المَجْمَعِ[6]
وما كنتُ دون امرئٍ منهما وَمَنْ تَضَعِ اليومَ لايُرْفَعِ

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فاقطعوا عنى لسانَه ؛ فأعطوه حتى رَضِىَ ، فـكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم .

ويروى أن عباس بن مرداس أتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت القائل :

« فأصبح نَهْبِى ونهبُ العُبَيْد بين الأقرع وعُيَيْنَة » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما واحـد ، فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله ( وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ[7] ) .

---

(١) نهابا : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .

(٢) هجع : نام .

(٣) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

(٤) ذا تدرأ : ذا دفع عن قوى .

(٥) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيل .

(٦) شيخى : يعنى أباه مرداسا .

(٧) سورة يس : آية ٦٩ .

Marfat.com

وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد من أصحابه : يا رسول الله ! أعطيت عُيينة بن حِصْن. والأقرعَ بن حابس مِئَةً مِئَة ، وتركت جُعَيْل بن سُراقة الضَّمْرى ! فقال رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُراقة خير من طِلاع الأرض (١) ، كلهم مثل عُيَيْنة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ليُسْلما ، وَوَكَلْتُ جُعَيْل بن سُراقة إلى إسلامه .

وجاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يامحمد! قد رأيتُ ماصنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ، فغضب النبى صلّى اللهُ عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دَعْه ، فإنه سيكون له شِيعة يتعمَّقون فى الدين (٢) حتى يخرجوا منه كما يخرج السّهْمُ من الرَّمِيَّة (٣) ، يُنْظر فى النَّصْل (٤) فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح (٥) فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوق (٦) فلا يوجد شىء ، سَبَقَ الفَرْثَ (٧) والدَّمَ .

ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئا ، قال حسّان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

وَأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتَمَنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّدَ البَشَر
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْىَ نازحةٌ ... قُدّامَ قوم هُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا

(١) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع منها ويسيل .
(٢) يتعمقون فى الدين : يتتبعون أقصاه .
(٣) الرمية : الشىء الذى يرمى .
(٤) النصل : حديد السهم .
(٥) القدح : السهم .
(٦) الفوق : طرف السهم الذى يباشر الوتر .
(٧) الفرث : ما يوجد فى الكرش .

Marfat.com

سَمَّاهُمُ اللهُ أنصاراً بنَصْرِهِم ... دِينَ الهُدَى وعَوَانُ الحرب تَسْتَعِر[1]
وسارعوا فى سبيل الله واعترفُوا ... للنائبات وما خَامُوا وما ضجِروا[2]
والناس أَلْبٌ[3] علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوفَ وأطراف القَنا وَزَرُ[4]
نُجالِدُ الناسَ لانُبْقِى على أحَدٍ ... ولا نُضَيِّعُ ماتُوحِى به السُّوَرُ
ولا تَهِرّ جُنَاةُ الحرْب نادِينَا ... ونحنُ حين تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[5]
كما رددنا ببدر دون ماطَلَبُوا ... أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَر
ونحن جُنْدُكَ يوم النَّعْف[6] من أُحُد ... إذ حزَّبَتْ بَطَرًا أحْزَابَهَا مُضَر
فمـا وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا ... مِنَّا عِثارا وكل الناس قد عَثَرُوا[7]

عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال :

لمـا أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعْطَى من تلك العطايا ، فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجَد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[8] حتى قال قائلهم : لَقِىَ واللهِ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم قومَه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يارسول الله ! إن هـذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ ، قَسَمْتَ فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىّ من الأنصار منها شىء ؟ قال : فأين

(١) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . وتستعر : تشتعل وتشتد .
(٢) اعترفوا : صبروا. وخاموا : جبنوا . وما ضجروا : ما أصابهم حرج ولا ضيق .
(٣) ألب : مجتمعون .
(٤) الوزر : الملجأ .
(٥) لا تهر : لا تكره . وجناة الحرب : الذين يخوضون غمارها . ونادينا : مجلسنا . وسعر : نوقد الحرب ونشعلها .
(٦) النعف : أسفل الجبل .
(٧) ونينا : ضعفنا وفترنا .
(٨) القالة : الكلام الردىء .

Marfat.com

أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا مِنْ قومى ؛ قال : فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة .

فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ،فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: يامعشر الأنصار ! ما قالَةٌ بلغتنى عنكم ، وَجِدَةٌ[1] وَجَدْتموها عَلَىَّ فى أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلَّالاً فهداكم الله ، وعالةً[2] فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ! الله ورسوله أَمَنُّ[3] وَأفضَلُ ؛ ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضْلُ ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شِئتم لقلتم ، فَلَصَدَقْتمْ وَلَصُدِّقْتمْ : أتيتَنَا مُكَذَّبًا فصدَّقْنَاك ، وَمَخْذُولا فنصَرْناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك[4] ، أوجَدْتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم فى لُعَاعَةٍ[5] من الدنيا تألّفتُ بها قوْماً لِيُسْلِمُوا ، ووكلتكم إلى إسلامِكمْ ، ألاَ ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[6] ، وسَلَكت الأنصارُ شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار ، اللهمّ ارحَم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

---

(١) الموجدة : العتاب ؛ ويروى جدة .

(٢) عالة : جمع عائل ، وهو الفقير .

(٣) أمن : من المنة ، وهى النعمة .

(٤) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٥) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٦) الشعب : الطريق بين جبلين .

Marfat.com

فبكى القوم حتى أخْضَلُوا لِحاهُم(١) ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظا ؛ ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

## عمرة الرسول من الجعرانة

ثم خرج رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم من الجِعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحُبس بمَجَنّة ، بناحية مَرِّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتّاب بن أَسِيد على مكة(٢) ، وخلّف معه مُعاذَ ابن جَبَل ، يفقّه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتُّبع رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ببقايا الفىء .

ولما استعمل النبى صلى اللهُ عليه وسلم عَتّابَ بن أسيد على مكّة رزقه كلّ يوم درهما ، فقام فخطب الناسَ ، فقال : أيها الناس ! أجاعَ الله كَبِد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

وكانت عُمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القَعْدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى ذى الحِجّة .

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُج عليه ، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتّابُ بن أسيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شِرْكِهم وامتناعهم فى طائفهم ، مابين ذى القَعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

---

(١) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع .

(٢) وكان عمر عتاب إذ ذاك نحو عشرين سنة .

Marfat.com

# كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهير بن أبى سُلمَى إلى أخيه كعب بن زُهير يُخبره أن رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وَهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كان لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك[1] من الأرض ، وكان كعب بن زهير قد قال :

مَنْ مُبْلِغٌ عنى بُجَيْرا رسالة ... فهل لك فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لَكا[2]
شَرِبتَ مع المأمون كأسًا رَوِيَّةً ... فأنهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا[3]
وخالفتَ أسباب الهُدَى وَاتبعتَهُ ... على أى شىء وَيْبَ غيرِك دَلَّكا[4]
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبا ... عليه ولم تُدْرِك عليه أخًا لَكا
فإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكا[5]

وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيرا كَرِه أن يكتُمها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم لما سمع « سقاكَ بها المأمون » : صدق

---

(١) إلى نجائك : أى إلى محل ينجيك منه .

(٢) الخيف : أسفل الجبل ، ويريد به خيف منى .

(٣) روية : أى مروية . والنهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت قريش تسميه به وبالأمين قبل النبوة .

(٤) ويب غيرك : أى هلكت هلاك غيرك . وهو بالنصب على إضمار الفعل .

(٥) لعا لك : كلمة تقال للعاثر ، وهى دعاء له بالإقالة من عثرته .

Marfat.com

وإنه لـكذوب ، أنا المأمون . ولمـا سمع : « على خلق لم تُلفِ أمّا ولا أبا ؛ عليه » قال : أجل ! لم يُلْف عليه أباه ولا أمه[1] .

فلما بلغ كعبا الـكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف[2] به مَنْ كان فى حاضره[3] من عَدُوِّه ، فقالوا هو مقتول ؛ فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه وإرجافَ الوُشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينة ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلّى الصبح ، فصلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله فقم إليه فاستأْمِنْه .

فقام إلى رسُول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، حتى جلس إليه فوضع يده فى يده ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ! إن كعب بن زهير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

فوثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ! دعنى وعدوّ الله أضربْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبـا نازعا عما كان عليه .

فغضب كعبٌ على هذا الحى من الأنصار ، لِمَا صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتـكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) زاد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من لقى منكم كعب ابن زهير فليقتله .

(٢) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه ويفزعه .

(٣) حاضره : حيه .

Marfat.com

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكبُولُ(١)

وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رحلوا إلا أغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكحُولُ(٢)

هيفاء مُقبلةً عَجْزاء مُدْبِرةً لا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنها ولا طولُ(٣)

تَجْلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ كأنه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلُولُ(٤)

شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنيةٍ صافٍ بأبطحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ(٥)

تَنْفِي الرياحُ القَذَى عنه وأفرَطَهُ من صَوْبِ غاديةٍ بِيضٌ يَعاليلُ(٦)

---

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأته خصها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبى صلى الله عليه وسلم . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر ، ومكبول : مقيد .

(٢) الأغن : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول : من الكحل وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبى الموصوف بغنة الصوت ، وغض الطرف ، والكحل ، وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : صفة من الهيف وهو ضمور البطن ، ودقة الخاصرة ، وعجزاء : أى كبيرة العجز ، وهو الردف . ولا يشتكى قصر : أى لايشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . يريد أن هذه المحبوبة يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : جمع عارض أوعارضة ، وهى الأسنان كلها ، أوالضواحك خاصة ، أو هى من الأنياب . والظلم : ماء الأسنان وبريقها أو هو رقتها وبياضها . والمنهل : المسقى ، من أنهله ، إذا سقاه النهل ( بفتحتين ) وهو الشرب الأول . والراح : الخمر . ومعلول : من العلل ( بالفتح ) ، وهو الشرب الثانى . يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق ، أو ذات بياض ورقة ، وكأن ثغرها لطيب رائحته قد سقى الراح مرة بعد مرة .

(٥) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها ، وذو شبم : ماء شديد البرد ، والمحنية : منعطف الوادى ، وخصه لأنماءه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى ، وماء الأباطح عندهم ..... بصفائه . وأضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد ، وهى أشد تبريدا للماء من غيرها .

(٦) القذى : ما يقع فى الماء مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة ، ويروى « سارية » وهى السحابة تأتى ليلا . واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه الماء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطح . يريد أن الرياح تزيل القذى من ذلك الماء الذى مزج به الراح ، حتى لم يبق فيه ما يكدره ، وأن ذلك الأبطح ملأته الفقاقيع البيض ؛ التى نشأت من مطر السحابة الغادية .

Marfat.com

فيالَها خُلّةً لو أنها صَـدَقَتْ  بوعدها أو لوَ أن النُّصحَ مَقبول[1]
لـكنها خُلّةٌ قد سِيط من دمها  فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وتبديل[2]
فما تدوم على حال تـكون بها  كما تَـلَوَّنُ فى أثوابها الغُول[3]
وما تُمَسِّكُ بالعهد الذى زعمت  إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغرابيل
فلا يغرَّنْكَ ما مَنَّت وما وَعَدَت  إنّ الأمانىَّ والأحلامَ تضليلُ
كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلا  وما مواعيدُها إلا الأباطيـــل
أرجو وآمُل أن تدنو مودَّتُها  وما إخالُ لدينا منـكِ تَنْوِيل
أمْسَتْ سُعاد بأرض لا يُبلِّغها  إلا العتاقُ النَّجيبات المَراسيـل[4]
ولن يُبلِّغها إلاَّ عُـــذَافِرةٌ  لهـا على الأَيْن إرقال- وتَبغيل[5]
من كل نَضَّاخة الذفرى إذا عَرِقت  عُرْضَتُهَا طامس الأعلام مجهول[6]
ترمى النِّجادَ بعَيْنَىْ مُفردٍ لَهَقٍ  إذا توقَّدَتِ الحِزّانُ والمِيـل[7]

(١) الخلة : الصديقة ، يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد وغيره . يريد أنها صديقة كريمة ، ولو أنها صدقت فى الوعد ، وقبلت النصح ، لكانت على أتم الجلال ، وأكمل الأحوال .

(٢) سيط : أى خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة فى البيت . والفجع : الإصابة بالمكروه كالهجر ونحوه . والولع والولعان : الـكذب . والإخلاف : خلف الوعد . يريد أن محبوبته متصفة بهذه الأخلاق ، حتى صارت كأنها مختلطة بدمها .

(٣) الغول : ساحرة الجن ، فى زعمهم . يزعمون أن الغول ترى فى الفلاة بألوان شتى ، وترى فى صور مختلفة ، كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

(٤) العتاق : الكرام ، والنجيبات : القوية الخفيفة . والمراسيل : السريعة . يريد أن محبوبته صارت بأرض بعيدة ، لا يوصله إليها إلا الإبل الكرام الأصول ، القوية السريعة .

(٥) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع .

(٦) النضاخة : الكثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة التى خلف أذن الناقة ، وهى أول ما يعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها .

(٧) النجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض فى صلابة مثل الجبل . والمفرد : الثور الوحشى الذى تفرد فى مكان ، وشبه عينيها بعينيه لأنه ألف البرارى وخبرها ، ولـكونه من أحد الوحوش نظرا . واللهق ( بفتح الهاء وكسرها ) : الأبيض . توقد : تلألأ ، والحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء ، وهى جمع حزن . والميل ( بالـكسر ) : جمع ( ميلاء ) بالفتح ، وهى العقدة الضخمة من الرمل .

ضخمٌ مُقَـلَّدها فَعْمٌ مقيَّدُها ... في خَلْقها عن بنات الفحل تفضيل(١)

غَلْباءُ وَجْناءُ عُلْـكُومٌ مُذَكَّرة ... في دَفِّها سَـعَةٌ قُدَّامُها مِيل(٢)

وجِلْدها من أُطُومٍ ما يؤيِّسه ... طِلْح بضاحيـة المَتْنَيْن مَهْزُول(٣)

حَرْفٌ أخوها أبُوها من مُهَجَّنة ... وعمُّها خالُها قَوْداء شِمْليل(٤)

يَمْشى القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ... مِنْها لَبَان وأقْراب زَهالِيـل(٥)

عَيْرانَةٌ قُذِفتْ بالنَّحْض عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عَنْ بنَاتِ الزَّوْرِ مَفتُول(٦)

---

(١) المقلد : موضع القلادة فى العنق . وفعم : ممتلىء . والمقيد : موضع القيد ، يريد قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل .

(٢) غلباء : غليظة العنق . ووجناء : عظيمة الوجنتين ، وعلكوم : شديدة . ومذكرة : عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر . وفى دفها سعة : أى هى واسعة الجنبين ، وهو كناية عن عظم الخلقة . وقدامها ميل : كناية عن طول عنقها ، أو سعة خطوها .

(٣) الأطوم ( بفتح الهمزة ) : سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، ويؤيسه : يذلله ولا يؤثر فيه . والطلح القراد ، دويبة معروفة تلزق بالدابة . والضاحية من كل شىء : ناحيته البارزة للشمس : والمتنان : مايكتنف صلبها عن يمين وشمال ، من عصب ولحم . وإنما خص ضاحية المتنين ، لأن القراد فى الشمس تقوى همته ، وتكثر حركته ، ويشتد امتصاصه للدم . ومهزول : صفة لطلح ، أى قراد مهزول من الجوع . يريد أن جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة ، فلا يؤثر فيه القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال .

(٤) الحرف ( فى الأصل ) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها فى القوة والصلابة . والحرف ( أيضا ) : الناقة الضامرة . وأخوها أبوها . . . الخ ، يريد أنها مداخلة النسب فى الكرم ، لم يدخل فى نسبها غير أقاربها . والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق . وهى من صفات الإبل التى تمدح بها . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(٥) يزلقه : من الازلاق أى يسقطه . ومنها : أى عنها . واللبان ( بالفتح ) : الصدر ، [illegible] : وسطه : والأقراب : الخواصر ، والمراد بالجمع هنا المثنى . والزهاليل : الملس ، جمع زهلول . يريد أن هذه الناقة لملاستها لايثبت القراد عليها .

(٦) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش فى سرعته ونشاطه وصلابته ، وهذا مما يستحسن فى أوصاف الإبل . والنحض : اللحم . وعن : بمعنى من . وعرض جانب . والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرفق : يريد المرفقين . والزور : الصدر ، وقيل وسطه . وبنات الزور : مايتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها . يريد أن مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الأضلاع وغيرها ، فتكون مصونة من الضغط ، لبعد مرفقها من أضلاعها ، فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها .

Marfat.com

كأنَّما فاتَ عَينيها ومَذبَحِها ... من خَطمِها ومن اللَّحيَينِ بِرطيلُ (١)

تُمِرُّ مثلَ عَسيبِ النخلِ ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تَخَوَّنهُ الأحاليلُ (٢)

قَنواءُ في حُرَّتيها لِلبَصيرِ بها ... عِتقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّينِ تَسهيلُ (٣)

تَخذي على يَسَراتٍ وهيَ لاحِقَةٌ ... ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحليلُ (٤)

سُمرِ العُجاياتِ يَترُكنَ الحَصى زِيَمًا ... لم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكمِ تَنعيلُ (٥)

كأَنَّ أوبَ ذراعيها وقد عَرِقَتْ ... وقد تلفَّعَ بالقُورِ العَساقيلُ (٦)

---

(١) الخطم : الأنف وما حونه . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل : حجر مستطيل . يريد أن وجهها من خطمها ومن اللحيين يشبه الحجر المستطيل . والمراد : المسافة من وجهها إلى عينيها ، كأنما قدر وجهها المنتهى إلى عينيها من خطمها قدر برطيل فى الاستطالة .

(٢) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص ، فإن نبت عليه سمى سعفا . وذا خصل : يريد ذيلا له لفائف من الشعر . وفى غارز : أى على ضلع . ولم تخونه : لم تنقصه . والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل ( بالكسر ) . يريد أن هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريدة النخل فى الغلظ والطول ، كثير الشعر : على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن ، لكونها لاتحلب ، فيكون ذلك أقوى لها على السير .

(٣) القنواء : المحدودبة الأنف . وقد عد الشاعر هذا من صفات المدح مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيب فى الإبل والخيل . والحرتان : الأذنان . والعتق : الكرم . والمبين : الظاهر . يريد أن هذه الناقة محدودبة الأنف ، يظهر للعارف بالإبل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها ، لحسنهما وطولهما ؛ ونجابة فى خديها : سهولة وليونة .

(٤) تخذى : تسترخى ؛ وهى مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق ، فكيف لو أسرعت . واليسرات : القوائم الخفاف . وهى لاحقة : أى والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار البعيدة عنها . واللاحقة : الضامرة ، والذوابل : جمع ذابل ، وهو الرمح الصلب اليابس ، شبه قوائمها بها فى الصلابة والشدة . ومسهن : أى مس تلك اليسرات للأرض أو وقعهن عليها . وتحليل : أى قليل لم يبالغ فيه .

(٥) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر ؛ يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته . زيما : متفرقا . الأكم : هى الأراضى المرتفعة . التنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة . يريد أن أعصاب قوائم هذه الناقة شديدة كالرماح السمر ، ولشدة وطئها الأرض تجعل الحصى متفرقا ، ولصلابة خفافها لاتحتاج إلى تنعيل يقيها الحجارة التى تكون فى رءوس الأكم ، فلا تحفى ولا ترق قدمها .

(٦) الأوب : سرعة التقلب والرجوع . عرقت : أى وقت عرقها لا اتعب ولا لإعياء ، ولما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . تلفع : اشتمل والتحف . القور . جمع قارة ، وهى الجبل الصغير . العساقيل : السراب . يصف سرعة ذراعى ناقته فى وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال . وسيأتى ذكر المشبه به فى البيت الثالث بعد هذا ، وهو خبر كأن .

Marfat.com

يومًا يظل به الحِرْباء مُصْطَخِدًا كأنَّ ضاحِيَــه بالشَّمْسِ مَمْلُول(١)
وقال للقَوْم حادِيهم وقد جَعلت وُرْقُ الجنادِبِ يَرْكُضْن الحصا قِيلوا(٢)
شَــدَّ النَّهارِ ذِراعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامت فجاوَبها نُــكْدٌ مَثاكِيل(٣)
نوَّاحة رِخْوَة الضَّبْعين ليس لها لَمَّـا نَعَى بِكْرها الناعون مَعْقُول(٤)
تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْها ومِدْرَعُها مُشَقَّق عن تَرَاقيها رَعابيل(٥)

---

(١) الحرباء ( بالكسر ) : ضرب من العظاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التى يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس ، وضاحيه : مابرز للشمس منه . ومملول : موضوع فى الملة ، وهى الرماد الحار . يريد أن الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس ، كأن البارز للشمس فى أوب ذلك اليوم من ذلك الحيوان خبز مموق بالملة .

(٢) الحادى : السائق للإبل . الورق : جمع أورق أو ورقاء ، وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . والجنادب : جمع جندب : ضرب من الجراد صغير ؛ وإنما يكون هــذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة ، البعيدة من الماء . يركضن الحصى : يحركنه بأرجلهن لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر . قيلوا : أمر من قال يقيل قيلولة ، وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر . والمراد أن هــذا اليوم أشد حرا حتى إن الحادى الذى من شأنه أن ينشط الإبل قال للقوم : قيلوا واستريحوا .

(٣) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة فى شدة الحر . العيطل : الطويلة . النصف : المتوسطة السن ، وذلك حين استكمال قوتها ، وبلوغ أشدها ، فتكون أسرع فى الحركة ، وأمكن فى القوة . النكد : جمع نكداء ، وهى التى لايعيش لها ولد . المثاكيل : جمع مثكال بالكسر ، وهى الكثيرة الثكل . فى هذا البيت والبيت السابق الذى أوله « كأن » يشبه سرعة حركة يدى هــذه الناقة بسرعة حركة يدى المرأة الطويلة المتوسطة فى السن : فى اللطم على وجهها لشــدة حزنها على ولدها ، يجاوبها نسوة لايعيش أولادهن ، فيشتد فعلها ، ويقوى ترجيع يديها عند النياحة ، لرؤية حزن غيرها ، وشدة لطمهن .

(٤) النواحة : الكثيرة النوح على ميتها . رخوة الضبعين : مسترخية العضدين . البكر ، بالكسر : أول الأولاد . الناعون : المخبرون بالموت ، النادبون له ، والمعقول ( هنا ) : العقل ، وهو من المصادر التى جاءت على « مفعول » كمسور وميسور ومفتون . يريد أن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها ، مسترخية العضدين ، فيداها سريعتان فى الحركة ، ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل ، فهى لاتحس بالإعياء والتعب ، شأن هذه الناقة لاتحس بإعياء ولا تعب فى سيرها .

(٥) تفرى : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . ورعابيل : قطع متفرقة ، وهو جمع رعبول . يريد أن هذه المرأة تقطع مدرعها بأناملها لذهاب عقلها ، فقميصها مشقوق عن عظام صدرها قطعا كثيرة . يشبه الناقة بهذه المرأة فى أن كلا منهما مسلوب الإدراك ، فلا يحس بما يلاقى من مشقة وشدة .

Marfat.com

تسعى الغُواة جَنَابَيْهَا وقولُهم ... إنك يا بنَ أبى سُلمى لَمقتول(١)
وقال كلُّ صَدِيق كُنتُ آملُه ... لا أُلهِيَنَّكَ إنى عنك مَشغُول
فقُلت خلُّوا سبيلى لا أبا لكم ... فكُلّ ما قَدَّر الرحمنُ مَفعُول
كل ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُه ... يومًا على آلة حَدْباء محمول
نبِّئتُ أن رسولَ الله أوعدَنى ... والعَفو عند رسولِ الله مأمُول
مَهلا هداك الذى أعطاك نافِلَةَ الـ ... قرآن فيها مواعيظٌ وتَفصِيلُ(٢)
لا تأخذنِّى بأقوال الوُشاة ولَمْ ... أُذنِب ولو كثُرت فىّ الأقاويلُ
لقد أقُوم مقاماً لو يقوم به ... أرَى وأسمعُ مالو يَسمعُ الفِيل
لظلّ يَرْعَدُ إلا أنْ يكون له ... من الرّسول بإذن الله تنويل(٣)
مازِلتُ أقتَطِعُ البَيْدَاءَ مُدَّرِعاً ... جُنحَ الظّلامِ وثوبُ الليل مَسبُول
حتى وضعتُ يَمينى ما أُنازِعُه ... فى كَفِّ ذى نَقِمات قِيلُه القِيلُ
فَلَهُوَ أخوَفُ عندى إذ أُكلِّمه ... وقيل إنك منسوب ومسئُول
من ضَيغَمٍ بضَرَاء الأرض مُخدَرُهُ ... فى بطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونهُ غِيلُ(٤)

---

(١) الغواة : المفسدون : جمع غاو . جنابيها : حواليها ، تثنية جناب ( بفتح الجيم ) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أهدر دمه .

(٢) هداك : زادك هدى ، أو هداك الله للصفح والعفو عنى ، فيكون على هذا داعيا لنفسه . والنافلة : الزيادة ، وسمى القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

(٣) يرعد : تأخذه الرعدة . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه .

(٤) ضيغم : أسد . وضراء الأرض : الأرض التى فيها شجر . والمخدر : غابة الأسد . وعثر : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والغيل : الشجر الكثير الملتف . وغيل دونه غيل : أى أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب من أسود عثر فى آجامها .

يَغدُو فيُلحِم ضِرغامين عيشهُما  لحمٌ من الناس مَعفور خَراديل(١)
إذا يُساوِر قِرنًا لايحِلُّ له  أن يترك القِرن إلا وهو مَفلُول(٢)
منه تظَلُّ سِباع الجو نافرةً  ولا تَمشّى بواديه الأراجيل(٣)
ولا يزال بواديه أخو ثِقَةٍ  مُضرَّجُ البزِّ والدُّرسانِ مَأكول(٤)
إن الرسولَ لنُور يُستَضاء به  مُهنَّد من سيوفِ الله مَسْلول
في عُصْبة من قُريش قال قائلُهم  ببطن مكةَ لما أسلَموا زُولُوا
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُف  عند اللقاء ولا مِيلٌ مَعازيل(٥)
شُمُّ العَرانين أبطالٌ لبُوسُهُم  مِن نَسج داوُد في الهَيجا سَرابيل(٦)

---

(١) يغدو : يخرج في أول النهار يتطلب صيدا لشبليه . ويلحم: يطعمهما اللحم . والضرغام : الأسد ويريد بالضرغامين شبليه . ومعفور : ملق في العفر ، وهو التراب . ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به اشبعه . وخراديل : قطع صغار .

(٢) يساور : يواثب . والقرن : المقاوم في الشجاعة . وفي ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لايساور ضعيفا ولا جبانا ، وإنما يساور مقاومه في الشجاعة ، ومساويه في القوة . والمفلول : المكسور المهزوم .

(٣) الجو : هو مااتسع من الأودية . ونافرة : بعيدة . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

(٤) أخو ثقة : الشجاع الواثق بشجاعته . ومضرج : مخضب بالدماء . والبز : السلاح . والدرسان : الثياب البالية . الواحد دريس . ومأكول : أي طعام لذلك الأسد . يريد أنه لايمر بوادي هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التي مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولا يلتفت لغيرهم .

(٥) الأنكاس : جمع نكس ( بالكسر ) وهو الرجل الضعيف . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذي لاترس معه . والميل : جمع أميل ، الذي لايحسن الركوب ، فيميل عن السرج . والمعازيل : الذ لاسلاح معهم ، واحدهم معزال ( بكسر الميم ) .

(٦) شم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبة أنفه علو ، مع استواء أعلاه . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة، لأن ارتفاع الأنف من الصفات المحمودة في خلق الإنسان، وإما على المجاز ، يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم . واللبوس : مايلبس من السلاح . ونسج داود : أي منسوجه ، وهو الدروع . والهيجا : الحرب . والسرابيل : جمع سربال ، وهوالقميص أو الدرع ووصفها بأنها من نسج داود دليل على متانتها .

Marfat.com

بيضٌ سوابغُ قد شُكّت لها حَلَقٌ　　كأنها حَلَقُ القفعاء مجدُولُ(١)

ليسُوا مَفاريحَ إن نالت رماحُهُمُ　　قوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

يَمشُونَ مشىَ الجمال الزُّهْرِ يَعصِمهم　　ضربٌ إذا عرَّدَ السودُ التَّنابيلُ(٢)

لا يقعُ الطّعنُ إلا فى نُحُورهمُ　　وما لهم عن حِياض الموت تهليلُ(٣)

قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم المدينة ، وإنما أراد بقوله « إذا عرَّد السودُ التنابيلُ » لما كان صنع به الأنصاريّ ما صنع ، وخصّ المهاجرينَ من قريش من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بمدحته ، فغضِبَت عليه الأنصار ؛ فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل؟ فقال كعب من قصيدة يمدحهم ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهُمْ من اليمن :

مَنْ سَرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ　　فى مِقْنَبٍ من صالحى الأنصارِ(٤)

ورِثُوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ　　إن الخيارَ هُمُ بنو الأخيار

---

(١) بيض : مجلوة صافية مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ . والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسيها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة . وشكت : أدخل بعضها فى بعض . والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض ، تشبه به حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٢) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق فى المشى ، وبياض البشرة ، ويعصمهم : يمنعهم . عرد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٣) وقوع الطعن فى نحورهم : دليل على أنهم لاينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم . وحياض الموت : موارد الحتف ، يريد بها ساحات القتال . وتهليل : تأخر .

(٤) المقنب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

Marfat.com

# غزوة تبوك

## فى رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين ذى الحِجّة إلى رجب ، ثم أمر الناسَ بالتهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان من عُسْرة الناس ، وشِدة من الحرّ ، وجدْب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج فى غزوة إلّا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمِدُ له[1] ، إلا ما كان من غزوة تبُوك ، فإنه بيّنها للناس ، لبعد الشُّقة[2] ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى يَصْمِد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَتَه ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وهو فى جهازه ذلك، للجدّ بن قيس أحد بنى سَلِمة: ياجدّ ! هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر[3] ؟ فقال : يارسولَ الله! أوَتأذنُ لى ولا تَفْتِنِّى ؟ فوالله لقد عرَف قومى أنه ما من رجل بأشد عُجْبًا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ؛ فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنتُ لك ؛ ففى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية ( وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ[4] ) أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ،

---

(١) يصمد : يقصد .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .

(٤) سورة التوبة : آية ٤٩ .



Marfat.com

بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وإن جهنم لمن ورائه .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لاَ تَنْفِرُوا فى الحرّ زهادة فى الجهاد، وشكاً فى الحق ، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الحرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[١] ) .

وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ ناسًا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودى، وكان بيته عند جاسومَ[٢] ، يُثَبطون الناسَ عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فى غزوة تبُوكَ ، فبعث إليهم النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم طلحةَ بن عُبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمَرَهُ أن يُحرِّق عليهم بيت سُويلم ، ففعل طلحة . فاقتحم الضحاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره ، وأمَر الناس بالجهاز والانكماش، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلاَن[٣] فى سبيل الله ، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا[٤] ، وأنفقَ عثمان بن عفّان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ مثلَها .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارضَ عن عثمان فإنِّى عنه راض .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاءون ، وهم سبعةُ نفَر فاستحملوا[٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهلَ حاجة ، فقال : لا أجد

---

(١) سورة التوبة : آية ٨١ وما بعدها .

(٢) جاسوم : اسم موضع .

(٣) الحملان : مايحمل عليه من الدواب .

(٤) احتسبوا : أخرجوا ذلك حسبة ، أى جعلوا أجر مابذلوا عند الله .

(٥) استحملوه : طلبوا منه مايحملهم عليه .

Marfat.com

ما أحمِلُكم عليه ، فتولوا وأعينهم تَفيض من الدّمع حَزَنا ألا يجدوا ما يُنفقون .

ولقى ابنُ يامِينَ بن عُمَيْر بن كعب النضرىّ أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله ابن مُغَفّل وهما يبكيان ، فقال : ما يُبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضِحًا(١) له فارتحلاه ، وزوّدهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وجاء رسولَ الله صلى اللهُ عليه وَسلم المعذّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذِرهم الله تعالى .

ثم استتَبّ(٢) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمعَ السيرَ . وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب ، وكانوا نفرَ صِدق ، لايتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ضرب عسكرَه على ثَنِيّة الوداع(٣) . واستَعْمَل على المدينة محمدَ بن مَسْلَمَةَ الأنصارىّ .

وضرب عبدُ الله بن أبىّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه ، نحو ذِ ُباب(٤) ، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيْب .

وخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهلِه ، وأمَرَه بالإقامة فيهم ، فأرجَف به المنافقون ، وقالوا : ما خلّفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علىّ بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ،

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستى عليه الماء .

(٢) استتب : تتابع واستمر .

(٣) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

(٤) ذباب : ( بالكسر والضم ) : جبل المدينة .

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف[1] ، فقال : يا نبى الله ! زعَمَ المنافقون أنكَ إنّما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكننى خلفتُك لما تركتُ ورائى ، فارجع فاخلُفنى فى أهلى وأهلِك ، أفلا ترضى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنه لا نبى بعدى ؟ فرجع علىٌّ إلى المدينة ، ومَضَى رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم على سفره .

ويروون أن أبا خَيْثمةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيّامًا إلى أهله فى يوم حار ، فوجَد امرأتين له فى عريشين[2] لهُما فى حائطه[3] ، قد رشت كلٌّ واحدة منهما عريشها ، وبرّدت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاما . فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحِّ[4] والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظلٍّ بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأةٍ حسناء ، فى ماله مقيم ! ماهذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فَهَيِّئا لى زادًا ؛ ففعلتا ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

وأدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجُمَحىّ فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنَوا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا : يا رسول الله ، هو

(١) الجرف : ( بالضم ثم السكون ) : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٢) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٣) الحائط : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

Marfat.com

والله أبو خيثمة ؛ فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوْلَى لكَ[١] يا أبا خيثمة ، ثم أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحِجْر نزلها ، واستقَى الناسُ من بئرها ، فلما راحوا قال رسولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلم : لا تشربوا من مائها شيئا ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرُجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنّ رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنِق على مَذْهَبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيئ . فأُخْبِر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنْهَكُمْ أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبه؟ ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيئ ، فإن طيِّئًا أهدته لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم حين قدم المدينة .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بالحِجْر سجّى ثوبَه على وجهه[٢] ، واستحثّ راحلته[٣] ، ثم قال : لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوْا ذلك إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فأرسل الله سبحانه سحابةً ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

---

(١) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد . وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : دنوت من الهلكة .

(٢) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به .

(٣) استحث راحلته : استعجلها .

Marfat.com

سئل محمود بن لبيد : عن رجال من بنى عبد الأشهل : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ! إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلبَسُ بعضُهم بعضا على ذلك ، لقد كان مع القوم رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول اللهِ صلى اللهُ عليــــه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبل عليه المسلمون يقولون له : ويحك ! هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابةٌ مارَّة ! !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلتْ ناقته فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبِيا بَدْرِيًّا ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصَيت القَيْنُقاعى ، وكان منافقا .

فقال زيد بن اللصيت ، وهو فى رحل عُمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبيّ ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صَلى اللهُ عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال هذا محمدٌ يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هــذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبستْها شجرةٌ بزمامها ، فانطلِقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله فقال : والله لعَجَبٌ من شيء حدَّثناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، لِلّذِى قال زيدُ بن لُصَيْت ؛ فقال رجل ممن كان فى رَحل عُمارة ولم يحضُر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى ،

فأقبل عمارةُ عَلَى زيد يَجأُ فى عُنقه(١) ويقول : إلىّ عباد الله ! إنّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر ، أُخرُجْ أى عدوّ الله من رحلى ، فلا تَصْحَبْنى .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلّفُ عنه الرجُل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلف فلان ؛ فيقول : دعوه ؛ فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله ! قد تخلّف أبو ذَرّ ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقهُ الله بكم ، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوّم(٢) أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا . ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يارسول الله ! إن هـذا الرجل يمشى على الطريق وحده ؛ فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذرّ(٣) ، فلما تأمّله القومُ قالوا : يارسول الله ! هو والله أبو ذر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده(٤) .

وقد كان رَهْطٌ من المنافقين يُشيرون إلى رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم وهو منطلق

---

(١) يجأ فى عنقه : يطعنه فى عنقه .

(٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) كن أبا ذر : لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء ، أى أرجو الله أن تكون أبا ذر .

(٤) لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة : وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلانى وكفنانى ، ثم ضعانى على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك .

Marfat.com

إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسِبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ! والله لكأنّا بكم غداً مُقرَّنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمّار بن ياسر : أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمّار ، فقال ذلك لهم ؛ فأتوا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها[١] : يارسول الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : يارسول الله ! قعد بى اسمى واسم أبى ؛ وكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مخشّن بن حُمَيِّر ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لايُعلم بمكانه ، فقُتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

ولما انتهى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم إلى تَبُوكَ ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزْية ، وأتاه أهل جَرباء وأَذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم .

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذه أَمَنَةٌ منَ اللهِ ومحمدٍ النبى رسول الله ليُحَنَّةَ بن رؤبة وأهل أيلة ، سُفُنِهم وسيَّاراتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدَثا ، فانه لايحول مالُه دون نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لايحل أن يُمنَعوا ماء يَردونه ، ولا طريقا يُريدونه ، من برّ أو بحر .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك ، كان ملكا على كِندة ، وكان نصرانيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الحقب ( بوزن سبب ) : حبل يشد على بطن البعير ، سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل .

لخالد : إنك ستجده يَصيد البَقَر ؛ فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مُقمِرة صائفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرته ، فباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد ، فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسّان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَباء من دِيباج مُخوَّصٌ بالذَّهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

عن أنس بن مالك ، قال :

رأيت قَباء أُكَيدِر حين قُدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلمِسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمَناديل سَعْد بن مُعاذ فى الجنة أحسن من هذا .

ثم إن خالداً قدم بأُكَيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجِزْية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيئ يقال له بُجَيرُ بن بُجْرَةَ ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد إنك ستجده يَصيد البقَر ، وما صنعتِ البُقَر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تباركَ سائقُ البَقراتِ إنّى ... رأيتُ الله يَهْدِى كل هادى
فمن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ ... فإنّا قَدْ أُمِرْنَا بالجهـــاد

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَبوكَ بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل[1] ، ما يُرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بواد يقال له وادى المُشَقَّق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سَبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقينّ منه شيئا حتى نأتيه ؛ فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئاً ، فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحتَ الوَشَل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يَصُبَّ ، ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء اللهُ أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إنّ له حِسًّا كحِسّ الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعُنّ بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

عن عبد الله بن مسعود قال :

قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، فاتَّبعْتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجَادين المزنى[2] قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أَدْنيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ؛ فلما هيأه لشِقّه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنتَ صاحب الحُفْرة .

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من الماء .

(٢) وإنما سمى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره . والبجاد الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ، ذو البجادين لذلك .

Marfat.com

# مسجد الضرار

ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم حتى نزل بذى أوان ، بلد بينه و بين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا: يا رسول الله ! إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، و إنا نُحب أن تأتينا ، فتصلّى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جَناح سَفر ، وحال شُغل ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مالكَ ابن الدُّخشم ومَعْن بن عدىّ ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه ، فاهدماه وحرّقاه ، فخرجا سريعَيْن حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعفا من النخل، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(١))

وقدم رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق ، كعب بن مالك ، ومُرارة ابن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلّمُنّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلّف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له و يعتذرون ،

(١) سورة التوبة : من آية ١٠٧ إلى آخر آية ١١٠ .

Marfat.com

فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

قال كعب بن مالك حين تخلف عن رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم فى غزوة تبوك :

ماتخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطُّ ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحدا تخلّف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عِير قُريش ، حتى جمع الله بينه و بين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم العقبة ، وحين تواثَقْنا على الإسلام ، وما أحب أنّ لى بها مشهدَ بدر، وإن كانت غزوةُ بدر هى أَذْكر فى الناس منها .

كان من خبرى حين تخلّفت عن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى غَزوة تَبوك أنى لم أكن قطُّ أقْوَى ولا أيسرَ منّى حين تخلّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قلما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم ليتأهبوا لذلك أهبته ، وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ(١) .

فقلّ رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبّت الظلال ، فالناس إليها صُعْر(٢) ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت

---

(١) كتاب حافظ : ديوان مكتوب .

(٢) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى ( ولا تصعر خدك للناس ) أى لا تعرض عنهم ، ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى .

أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئاً ، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئا ؛ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفرّطَ الغزو(١) ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفتُ فيهم ، يَحزُنُنى أنى لا أرى إلا رجلاً مغموصًا عليه(٢) فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله ! حبسه بُرْداهُ ، والنظر فى عِطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ! والله يارسول الله ماعَلِمنا منه إلا خيرًا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك ، حضرنى بَثِّى(٣) ، فجعلت أتذكَّر الكَذِب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ؟ وأستعين على ذلك كلَّ ذى رأى من أهلى ؛ فلما قِيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلَّ(٤) قادما زاح عنى(٥) الباطلُ ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون . [illegible]

---

(١) تفرط الغزو : أى فات وسبق .

(٢) مغموصا عليه : مطعونا عليه .

(٣) بثى : حزنى .

(٤) أظل : أشرف وقرب .

(٥) زاح عنى : ذهب وزال .

Marfat.com

يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علانيَتَهم وأيمانهم ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلّمت عليه ، فتبسم تبسم المُغضَب ، ثم قال لى : تعاله ! فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ماخلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قلت : إنى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جَدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى ، وليُوشكن الله أن يُسْخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صِدقا تجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْبَاى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ، ولا أيسر منّى حين تخلّفت عنك .

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقضى الله فيك ، فقُمت ، وثار معى رجالُ من بنى سَلِمة ، فاتبعونى ، فقالوا لى : والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلّفون ، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك .

فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فأُكذّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرّبيع العَمْرى ، وهلال ابن أبى أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أُسوة ، فصمتّ حين ذكروهما لى ، ونهى رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيّها الثلاثة ، من بين من تخلّف عنه ، فاجتنَبَنا الناسُ ، وتغيّروا لنا ، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرضُ فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وَقعدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشبّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين

Marfat.com

وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين ، مشيتُ حتى تسورت[1] جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى ، وأحبُّ الناس إلىّ ، فسلمت عليه ، فوالله مارد علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ! أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدتُ فناشدته ، فسكت عنى ، فعُدت فناشدته ، فسكت عنى فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ؛ ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط ، ثم غدوت إلى السوق فبينا أنا أمشى بالسوق إذا نبطىّ يسأل عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلّ على كعب بن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون له إلىّ حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرَقة[2] من حرير ، فإذا فيه « أما بعد فإنه قد بلغنا أنّ صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحقْ بنا نُواسِك » فقلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك ! فعمدت بها إلى تنور فسجرته[3] بها ، فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسولُ رسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض .

وجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله !

---

(١) تسورت : علوت .

(٢) السرقة : الشقة من الحرير .

(٣) سجرته : ألهبته .

Marfat.com

إن هلال بن أمية شيخٌ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يَقْرَبنك ، قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره .

فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله لِامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابٌّ .

فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلّم المسلمين عن كلامنا ، ثم صلّيت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منّا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها ، إذ سمعت صوت صارخ أوْفَى على ظهر سَلْع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرَج .

وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوْبة الله علينا حين صلّى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىّ مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرَع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشرنى نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرها واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقّانى الناس يبشّروننى بالتوْبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيّانى وهنّانى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه .

فلما سلمت على رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم قال لى ووجهه يَبرُقُ من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أمّك ، قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟

Marfat.com

الله ؟ قال : بل من عند الله ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر .

فلما جلستُ بين يديه قلت : يارسول الله ! إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك ، قلت : إنى مُمسك سَهمى الذى بخيبر يارسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدّث إلا صدقا ماحييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أفضلَ مما أبلانى اللهُ ، والله ماتعمّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى (لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا[1]) إلى قوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) .

فوالله ما أنعم الله علىّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلِك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ما قال لأحد ، قال (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ[2]) .

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٧ .

(٢) سورة التوبة : آية ٩٥ وما بعدها .



Marfat.com

وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِلَ منهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين حلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : ( وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ) .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلُّفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

# وفد ثقيف وإسلامها

## فى شهر رمضان سنة تسع

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تبوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوةَ الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله ! أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

وكان فيهم كذلك محبّبا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم . فلما أشرف لهم على عِلِّية[1] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يقال له أوس بن عَوْف ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، يقال له وهب بن جابر ،

---

(١) العلية ( بكسر العين وضمها ) : الغرفة .

Marfat.com

فقيل لعُروة : ماترى فى دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس فىّ إلا مافى الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يَرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ؛ فدفنوه معهم .

فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثَلَه فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمَرُوا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا .

فكلّموا عبد ياليلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سِنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا أن يرسلوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنع بعرُوة ، فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معى رجالا ؛ فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا فخرج بهم عبدُ ياليل وهو ناب[1] القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنع بعُروة ابن مسعود ، لكى يَشغَل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه .

فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألفَوْا بها المُغيرة بن شُعْبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيتها نُوَبا على أصحابه صلى اللهُ عليه وسلّم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقَفِيين ، وضبر[2] يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يشرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطا ، ويكتتبوا من رَسُول اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلم كتابا فى قومهم و بلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى

(١) ناب القوم : سيدهم والمدافع عنهم .
(٢) ضبر : وثب .

إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدِّثه ؛ ففعل المغيرة ؛ فدخل أبو بكر على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروّح الظَّهر معهم ، وعلّمهم كيف يحيّون رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

ولما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبّة فى ناحية مسجده ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاما يأتيهم من عند رَسُول الله صلى اللهُ عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم .

وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهرا واحدا بعد مَقْدمهم ، فأبى عليها أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهِرون أن يَسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حَرب والمُغيرة ابن شعبة فيهدماها .

وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ! فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة !!

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم ، أمَّر عليهم عثمان ابن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصَهم عَلَى التفقّه فى الإسلام

وتعلم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن .

وكان من آخر ماعهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن أبى العاص حين بعثه عَلَى ثقيف أن قال : يا عثمان ! تجاوز فى الصلاة واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة .

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة فى هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم حتى إذ قدموا الطائف ، أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدِّم أباسفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال : ادخل أنت عَلَى قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدْم ، فلما دخل المغيرة ابن شعبة علاها يَضْربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو مُعَتِّب ، خشية أن يُرمى أو يصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرا[1] يَبْكين عليها ويقلن :

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاع أَسْلمها الرُّضَّاع[2]

لم يُحسِنوا المِصَاع[3]

ويقول أبو سفيان والمغيرة يَضْربها بالفأس : واها لك ! آها لك[4] ! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالَها وحُلِيَّها ، أرسل إلى أبى سفيان وحُلِيُّها مجموع ، وما لها من الذهب والجَزْع .

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قدِما على رسولِ الله صلى الله عليه

---

(١) حسرا : مكشوفات الرءوس .

(٢) سميت دفاع لأنها كانت تدفع عنهم ، وتنفع وتضر على زعمهم . والرضاع : اللئام .

(٣) المصاع : المضاربة بالسيوف .

(٤) واها لك : كلمة تقال فى معنى التأسف والتحزن .

وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تولّيا مَنْ شئتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ؛ فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : وخالَكما أبا سفيان بن حرب ؟ فقالا : وخالَنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ وَسلم : نعم ؛ فقال له قارِب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فاقضِه ؟ — وعروة والأسود أخوان لأب وأم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأسود مات مشركا؛ فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ! لكن تَصِل مسلما ذا قرابة — يعنى نفسه — إنما الدَّين علىّ ، و إنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضىَ دينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ، فلما جمع المُغيرة مالَها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دينهما ؛ فقضى عنهما .

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين ، إن عِضاهِ[1] وَجّ وصيدَه لا يُعضد[2] ، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتُنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يُؤخذ فيبلغ به النبى محمد ، وأن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلِم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) العضاه : شجر له شوك ، وهو أنواع ؛ واحدته عضة . ووج : موضع بالطائف .
(٢) لا يعضد : لا يقطع .

Marfat.com

# حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه

بتأدية أول براءة عنه، وذكر براءة والقصص في تفسيرها

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوالا وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع، ليُقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم، أن لا يُصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدا عامّا بينه و بين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قبائل من العرب خصائص، إلى آجالٍ مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَستخفون بغير ما يُظهرون، منهم مَنْ سُمّي لنا، ومنهم مَن لم يُسمّ لنا، فقال عز وجل (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أي لأهل العهد العام من أهل الشرك (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ، وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أي بعد هذه الحجّة (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ

Marfat.com

الْحُرُمُ ) يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ( اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ) .

ثم قال ( كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ) الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ، أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرم ، ولا فى الشهر الحرام ( عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الديل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته ( فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ) .

ثم قال تعالى ( كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ) أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ( لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً[1] )

( يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ) أى قد اعتدوا عليكم ( فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ ، وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) .

لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليُقيم للناس الحج ، قيل له : يارسول الله ! لو بعثت بها إلى أبى بكر ؟ فقال : لا يؤدّى عنى

---

(١) الإل : الحلف . الذمة : العهد .

إلا رجل من أهل بيتى ؛ ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ؛ ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ! إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ؛ ثم لا عهد لمشرك ولا ذِمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومَنْ كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عادٍ منهم، فيقتل بعدائه ، فقال ( أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ

مُؤْمِنِينَ ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ ) أى من بعد ذلك ( عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً[1] وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

ثم ذكر قول قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا !! فقال ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ) أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَعمُر مساجد الله ، أى من عمرها بحقها ( مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ ) أى فأولئك عُمّارها ( فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ) وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى ( أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ) .

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ، وتوليهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نَصْره بعد تخاذلهم ؛ ثم قال تعالى ( إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ؛ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ) وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعنّ عنا الأسواق ، فلنهلكنّ التجارة ، وليذهبن ما كنّا نصيب فيها من المرافق !! فقال الله عز وجل ( وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) أى من وجه غير ذلك ( إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

---

(١) الوليجة : الدخيل .

Marfat.com

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى ( إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) .

ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسيء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها ، فقال ( إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ) أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، أي كما فعل أهلُ الشرك ( إِنَّمَا النَّسِيءُ ) الذين كانوا يصنعون ( زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) .

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاقَ من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم من إحداثهم في الإسلام ، فقال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ) ثم القصةَ إلى قوله تعالى ( يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ) إلى قوله تعالى ( إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ) .

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق ( لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) أي إنهم يستطيعون ( عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ) ؟

إلى قوله (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَازَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ[1] يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ).

وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف منهم : عبد اللهِ بن أُبَىّ بن سَلول ، والجدّ ابن قيس ؛ وكانوا أشرافًا فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم ، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ٱبْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل أن يستأذنوك (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ، ويردوا عليك أمرك (حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي ، أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) وكان الذى قال ذلك الجدّ بن قيس ، حين دعاه رسول اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ إلى جهاد الروم ، ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها فقال (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

وكان الذى يقول تلك المقالة نَبْتَل بن الحارث ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه

---

(١) الإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى .

Marfat.com

كان يقول : إنما محمد أُذن ، مَن حدّثه شيئاً صدّقه ، يقول الله تعالى (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى ( يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ) ثم قال ( وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ) إلى قوله تعالى ( إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ) وكان الذى قال هذه المقالة وَديعة بن ثابت ، وكان الذى عُفِىَ عنه مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعىّ ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ، يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ) إلى قوله ( مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ) وكان الذى قال تلك المقالة الُجلاس بن سُويد بن صامت ، فرفعها عليه رجلٌ كان فى حَجْره ، يقال له عمير ابن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته .

ثم قال تعالى ( وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ) وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعَتّب بن قُشَير .

ثم قال ( الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) وكان المطوّعون من المؤمنين فى الصدقات عبدَ الرحمن بن عوف ، وعاصمَ بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن ابن عوف ، فتصدّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدّق بمئة وَسْق من تمر ، فلمزوهما ، وقالوا : ماهذا إلا رياء !! وكان الذى تصدق بجهده أبوعقيل أخو بنى أنيف

أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنىّ عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسّير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى (وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ) إلى قوله ( وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ) .

قال عمر بن الخطاب :

لما توفى عبد الله بن أُبَىّ دُعِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام إليه ، فلما وقف عليه يُريد الصلاة ، تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يا رسول الله أتصلى على عدوّ الله عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدِّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت ، قال : ياعمر ! أخِّر عنى ، إنى قد خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى ( اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ) فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له لزدت ، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى حتى قام على قبره ، حتى فُرِغ منه .

فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ( وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ثم قال تعالى ( وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ) وكان ابن أُبَىّ من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى ( لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

Marfat.com

وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) إلى آخر القصة .

ثم كانت القصة لأهل العُذر ، حتى انتهى إلى قوله ( وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ) وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : ( إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) ، والخوالف: النساء ، ثم ذكر حَلِفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال ( فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ) ، إلى قوله تعالى ( فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربُّصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال ( وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ ) أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله ( مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) .

ثم ذكر الأعراب ، أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال ( وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ) .

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ) ثم قال تعالى ( وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ) أى لجّوا فيه ، وأبَوْا غيره ( سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ) والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين : غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى

Marfat.com

يُرَدّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه ، ثم قال تعالى (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

ثم قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خُلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا) إلى آخر القصة ثم قال تعالى (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبى صلى اللهُ عليه وسلم وبعدَه المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ؛ وكانت تَبُوكُ آخرَ غزوة غزاها رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم .

## سنة تسع — سنة الوفود

### ونزول سورة الفتح

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، وضربت إليه وفُود العَرب من كل وجه ، كان ذلك فى سنة تسع ، وكانت تسمى سنة الوفود .

وإنما كانت العرب تَرَبّص بالإسلام أمرَ هذا الحىّ من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ،

ودانت له قريش ، ودوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل (أفواجا) يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ( إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ) أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

# وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُود العرب ، فقدم عليه عُطارد بن حاجب ابن زُرارة بن عُدُس التميمىّ ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى ، وعُيينة ابن حِصنٍ بن حذيفة بن بدرٍ الفَزارىُّ ، وقد كان الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنينا والطائف .

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : أن اخرج إلينا يا محمد !! فآذى ذلك رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ! جئناك نُفاخرك ، فأْذن لشاعرنا وخَطيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ؛ فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالاً عِظَامًا ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برُءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدّد مِثل ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وأنا نُعرف بذلك ، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرنا ؛ ثم جلس .



Marfat.com

فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيْس : قم ، فأجب الرجل فى خطبته ؛ فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات ُ والأرض خلقه ، قضى فيهن أمرَه ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قطُّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابَه وائتمنه على خلقه ، فكان خِيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فِعالا ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعَ منّا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

ثم قام الزّبرقان بن بدر شاعر الوفد ، فقال :

نحن الكرام فلا حَىٌّ يُعادلنا ... منّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

الخ . . . .

فلما فرغ الزّبرقان ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : قم ياحسان فأجب الرجلَ فيما قال ، فقام حسان فقال :

إن الذوائب من فِهر وإخوتهم ... قد بَيّنوا سُنّة للناس تُتبع

الخ . . . .

ثم إن الزبرقان قام فقال :

أتيناك كيما يعلمَ الناسُ فضلنا ... إذا احتفلوا عند احتضار المواسم

الخ . . . .

فقام حسانُ بن ثابت فأجابه فقال :

هَل المَجْدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ وَالنّدى ... وجاهُ المُلوكِ واحتمال العَظائم

الخ . . . .

Marfat.com

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأَبى ! إن هذا الرجل لمُؤَتَّى له[1] ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ؛ فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوَّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

وكان عمرو بن الأهتم قد خلَّفه القوم فى ظهرهم[2] ، وكان أصغرهم سِنًّا ، فقال قيس ابن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ! إنه قد كان رجل منا فى رحالنا وهو غلام حَدَثٌ ، وأزرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم .

وفيهم نزل من القرآن ( إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ) .

## عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

### فى الوفادة عن بنى عامر

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل ، وأربد بن قيس ، وجَبَّار بن سَلْمَى ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

قدم عامرُ بن الطفيل عدوُّ الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ! إن الناس قد أسلموا فأسلم ؛ قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهيَ حتى تتبع العربُ عَقِبي ، أفأنا أتبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعْلُه بالسيف[3] ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عامر بن الطفيل : يا محمد !

(١) لمؤتى له : لموفق له .

(٢) فى ظهرهم : فى إبلهم .

(٣) اعله بالسيف : اقتله به .

Marfat.com

خَالِنِي[1] قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ؛ قال : يامحمدا خالِنِي ؛ وجعل يكلّمه و ينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أَرْبدُ لايُحِيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يامحمد ! خالنى ؛ قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ؛ فلما أبى عليه رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، قال : أمّا والله لَأَمْلَأَنّها عليك خَيْلا ورجالا ؛ فلما وَلّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ! كفنى عامرَ بن الطُّفَيْل ؛ فلما خرجوا من عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد ! أينَ ما كنتُ أمرتُك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرضَ رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ؛ قال : لا أبا لك ! لاتَعْجَلْ عَلَيّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخَلْتَ بَيْنى وبين الرجلِ ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عَلَى عامر ابن الطفيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يابنى عامر ! أغُدّة[2] كغُدّة البَكر[3] فى بيت امرأة من بنى سَلُول !

ثم خرج أصحابه حين وَارَوْه ، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتِين ، فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لاشىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لودِدْتُ أنه عندى الآن ، فأرميه بالنَّبل حتى أقتُلَه ؛ فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعَلَى جمله صاعقة فأحْرَقتهما .

---

(١) خالنى ( بتخفيف اللام ) : تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك ، و ( بتشديد اللام ) : اتخذنى خليلا وصاحبا ؛ من المخالة ، وهى الصداقة .

(٢) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . وإنما تاسف عامر أن لم يمت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان ، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك اللؤم أصولهم ، لأن مكانهم من قومهم مشهور ، وإنما هو شىء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

Marfat.com

وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد ( اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ) إلى قوله ( لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ[1] ) إلى قوله ( وَمَا لَهُ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ) .

ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ) .

## قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

بعثت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيرَه على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ، وكان ضِمام رجلاً جَلْدًا أشعرَ ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال: أيكم ابنُ عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب ؛ قال : أمحمد ؟ قال : نعم ! قال: يابن عبد المطلب، إنى سائلك ومُغلِّظ عليك فى المسئلة ، فلا تَجِدَنّ فى نفسك ؛ قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عما بدا لك ؛ قال : أنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يَعْبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلّى هذه الصلوات الخمس؟ قال : اللهم نعم .

ثم جعل ضِمام يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع

---

(١) سورة الرعد : آية ٨ وما بعدها . المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمدا .

الإسلام كلها ، يَنشُدُه عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العَقيصتين[1] دخل الجنة .

فأتى ضمام بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللاتُ والعزّى ! قالوا : مه يا ضِمام ! اتق البَرَص ، اتق الجذام ! اتق الجُنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه ؛ فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره[2] رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما .

عن ابن عبّاس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة .

## قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسَلم الجارود بن عمرو فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانيا .

لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّمه ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ! إنى قد كنت على دين ، وإنى تارك دِينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه .

---

(١) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .

(٢) الحاضر : الحى .

Marfat.com

فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الحُملانَ(١) ، فقال : والله ما عندى ما أحملكم عليه ؛ قال : يا رسول الله ! فإن بيننا و بين بلادنا ضَوالّ من ضوال الناس : أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا إياك و إياها ، فإنما تلك حَرَق النار :

## وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وفد بنى حنيفة ، فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ، فخلّفوا مَسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ! إنّا قد خلّفنا صاحبًا لنا فى رحالنا ، وفى ركابنا يحفظها لنا ؛ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أمّا إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ أى لحفظه ضَيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إنى قد أُشرِكْتُ فى الأمر معه !! وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له أما إنه ليس بشرّكم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشركت فى الأمر معه ؛ ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق(٢) وحَشَى » وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفَقَتْ(٣) معه حنيفة على ذلك .

---

(١) الحملان : ما يركبون عليه من دواب .

(٢) الصفاق : مارق من البطن .

(٣) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .

Marfat.com

## زيد الخيل فى وفد طيء

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلَّموه وعرض عليهم رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ما ذُكر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ؛ ثم سمّاه رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا وأَرَضِينَ معه ، وكتب له بذلك .

فخرج من عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم راجعًا إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينجُ زيد من حُمَّى المدينة ! فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرِدة ، أصابته الحمى بها فمات .

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتُبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

## عدى بن حاتم

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع(١) ، فكنتُ فى نفسى على دين ، وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يُصنع بى ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ! أعدِدْ لى من إبلى أجمالا

(١) أسير بالمرباع : أى آخذ الربع من الغنائم ، لأنى سيدهم .

ذُلُلا[1] سِمانا ، فاحتبسْها قريبا منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فـآذِنّى ؛ ففعل . ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدىّ ! ما كنتَ صانعا إذا غشيتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد ؛ فقلت : فقرِّب إلىّ أجمالى ؛ فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهل دينى من النّصارى بالشام ، وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر[2] ، فلما قدمت الشام أقمت بها .

وتُخالفنى خيل لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فتُصيب ابنةَ حاتم فيمن أصابت ، فقُدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيّئ ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام .

فجُعِلتْ بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحْبَسْنَ فيها ، فمرّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله! هلك الوالد ، وغاب الوافد[3] ، فامْنُنْ علىّ مَنّ الله عليك ؛ قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم ؛ قال : الفارّ من الله ورسوله ؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بها ، فقالت له مثل ذلك ، وقال لها مثل ما قال بالأمس ، حتى إذا كان بعد الغد مرّ بها وقد يئست منه ، فأشار إليها رجل من خلفه أنْ قومى فـكلّميه ؛ فقامت إليه ، فقالت : يا رسول الله ! هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علىّ منّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجدى مِنْ قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنينى .

---

(١) ذلل : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

(٢) الحاضر : الحى .

(٣) الوافد : الزائر .

Marfat.com

وأقامت حتى قدم ركبٌ من قُضاعة ، وإنما أريد أن آتِيَ أخى بالشام ، فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ! قد قَدِم رَهْط من قومى ، لى فيهم ثِقة وبَلاغ ؛ فكساها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلها ، وأعطاها نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[١] تَصُوب[٢] إلىَّ تَؤُمُّنا ، فقلت : ابنة حاتم ؟ ! فلما وقفتْ عَلَىَّ انسَحَلَتْ[٣] تقول: القاطع الظالم ! ! احتملتَ بأهلك وولدك وتركت بقية والدك ، عورَتك ! قلت : أىْ أُخَيَّة ، لاتقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت .

ثم نزلتْ فأقامتْ عندى ، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحَق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تَذِلّ فى عز اليمن ، وأنت أنت ، قلت : والله إن هذا الرأى .

فخرجت حتى أَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلَّمت عليه ، فقال : مَنِ الرجلُ ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه ، إذْ لَقِيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلّمه فى حاجتها ، قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك ! ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وِسادة من أَدَم مَحشوَّة لِيفا فقذفها إلىّ ، فقال : اجلسْ على هذه ؛ قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ؛ فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قلت فى نفسى : والله ماهذا بأمر ملك ! ثم قال : إيهِ ياعدىُّ بنَ حاتم ، ألم تك رَكُوسِيًّا[٤] ؟

---

(١) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد تسمى ظعينة وإن لم تكن فيه .

(٢) تصوب إلى : تقصد وتؤم .

(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة .

(٤) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

Marfat.com

قلت : بلى ! قال : أولم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِل لك فى دينك ؛ قلت : أجَل والله ؛ وعرفت أنه نبى مُرْسَل ، يعلم ما يُجْهَل ، ثم قال : لعلك ياعدى إنما يَمنعك من دُخولٍ فى هذا الدين ما ترَى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لايوجَد من يأخذه ، ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله لَيُوشِكَنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايْمُ الله ليُوشكنّ أن تسمع بالقُصورِ البيض من أرض بابل قد فُتِحت عليهم ؛ فأسلمتُ .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتِحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وايْم الله لتكونن الثالثة ، لَيَفِيضَنّ المالُ حتى لا يُوجَد من يأخذه .

## فروة بن مسيك المرادى

وقَدِم فَروة بن مُسَيك المُرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مفارقاً لملوك كِندة ومباعدًا لهم ، إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها هَمْدان من مُراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم[1] فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم :

---

(١) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

Marfat.com

يا فروة ! هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله ! مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أَمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيرا .

واستعمله النبى صلى اللهُ عليه وسلم على مراد وزُبيد ومَذْحِج كلها ، و بعث معه خالدَ ابن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## عمرو بن معديكرب فى بنى زبيد

وقدم على رسول الله صلى اللهُ عليه وَسلم عمرو بن مَعد يكربَ فى أناس من بنى زُبيد ، فأسلم ، وكان عمرو قد قال لقيس بن مَكشوح المُرادىّ ، حين انتهى إليهم أمرُ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم : يا قيس ! إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيًا كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، و إذا لقيناه اتبعناه ، و إن كان غير ذلك علمنا عِلمه ؛ فأبى عليه قيس ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن مَعْد يكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدّقه ، وآمن به .

فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبيد ، وَعليهم فروة بن مُسيك ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو بن معد يكربَ ، وقال حين ارتد :

وجدْنا مُلْكَ فَروة شرَّ مُلْك ... حِمارًا سافَ مُنْخـرهُ بثَفْرِ (١)

وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمـير ... ترى الحُولاء من خَبَثٍ وغَدْرِ (٢)

---

(١) ساف : شم . والثفر فى البهائم : بمنزلة الرحم من الإنسان .

(٢) الحولاء ، بضم الحاء وكسرها وفتح الواو ، : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . يشبه المهجو بما فيهمن خبث وغدر بهذه الحولاء دناءة وقذارة .

Marfat.com

# الأشعث بن قيس فى وفد كندة

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ بن قيس، فى ثمانين راكبًا من كندة، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده، وقد رَجَّلوا[1] جُمَمَهُم[2] وتكحّلوا، عليهم جُبَب الحِبَرة، وقد كففوها[3] بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألم تُسْلِمُوا؟ قالوا: بَلَى، قال: فما بال هذا الحرير فى أعناقكم! فشقّوه منها، فألقوْه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله! نحن بنو آكل المُرار، وأنت ابن آكل المُرار، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ناسبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث — وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين، وكانا إذا شاعا فى بعض العرب، فسئلا ممن هما؟ قالا: نحن بنو آكل المُرار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكا — ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النضْر بن كنانة، لا نَقْفُو[4] أمّنا، ولا ننتفى من أبينا؛ فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يامعشر كندة؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين.

(١) رجلوا: سرحوا ومشطوا.

(٢) الجمم: جمع جمة، وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين.

(٣) جعلوا لها سجفا من الحرير.

(٤) لا نقفو أمنا: لا نتبع نسب أمنا. وقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل، منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور، وهى أم كلاب بن مرة.

Marfat.com

# صرد بن عبد الله الأزدى

وقدم على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم صُردُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمّره رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش(١) ، وهى يومئذ مدينةٌ مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت(٢) إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكَر ، ظن أهل جُرَشَ أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم فقتلهم قتلا شديدا .

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شَكَر ؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا : يا رسول الله ! ببلادنا جبل يقال له كَشَر — وكذلك يسميه أهلُ جَرَش — فقال : إنه ليس بكَشَر ، ولكنه شَكَر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنْحَر عنده الآن .

فجلس الرجلان إلى أبى بكر ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينعَى لكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم .

---

(١) جرش بوزن عمر : مخلاف من مخاليف اليمن ( كورة ) .

(٢) ضوت إليهم : لجأت إليهم .

Marfat.com

فخرجا من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعَيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ماذكر .

وخرج وفدُ جُرَشَ حتى قَدِموا على رَسُول اللهِ صَلّى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحرث ، فمن رعاه من الناس فما له سُحْت

## قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْير ، مَقْدَمَهُ من تبوك .

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كُلال وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النعمان ، قَيِلِ ذى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان ، أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلَبَنَا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم به ، وخبّر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسَهمَ الرسول وصَفيه[1] ، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة من العَقار[2] ، عشر ما سَقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْب[3] نصف العشر . وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ،

---

(١) الصفى : مايصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم المغانم .

(٢) العقار : الأرض .

(٣) الغرب : الدلو .

وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جَذَع أو جَذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، ومن أدّى ذلك ، وأشهد على إسلامه ، وظاهر[١] المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لايُرَدّ عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر[٢] أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن ، أنْ إذا أتاكم رُسُلِى فأوصِيكم بهم خيرا : معاذُ بن جَبل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر ، ومالك بن مُرّة ، وأصحابهم ، وأنِ اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبلغوها رُسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا يَنقلِبَنّ إلاّ راضيا ؛ أما بعد فإن محمدا يشهد أن لا إلهَ إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرّة الرّهاوي قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أول حمير ، وقتلتَ المشركين ، فأَبْشر بخير ، وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإنّ رسولَ الله هو ولىٌّ غنيّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لاتحل لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاةٌ يُزَكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلّغ الخبر وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيرا ، وأنّى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى ، وأُلى دينهم ، وأُلى علمهم ، وآمرك بهم خيرا ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ظاهر : عاون وقوى .

(٢) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

Marfat.com

## وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن

وأوصى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم معاذا حين بَعَثه ، وعَهِدَ إليه ، ثم قال له : يَسِّر ولا تعسر ، وبَشِّرْ ولا تنفِّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب ، يَسْألونك مامِفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له .

فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ماحقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال ويْحَك ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ؛ قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة ؛ قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدتِه تَنْثعب[1] مَنْخِراه قَيْحا ودما ، فمَصِصْتِ ذلكِ حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقه .

## إسلام فروة بن عمرو الجذامى

وبعث فروةُ بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على مَن يَلِيهم من العرب ، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام . فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم .

ولما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْراء بفِلِسْطين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حَلِيلَها ... على ماء عَفْرا فوق إحدى الرّواحل[2]

(١) تنثعب منخراه : تسيل .

(٢) الحليل : الزوج . والرواحل فى الأصل : الإبل . ويريد بإحدى الرواحل : الخشبة التى صلبوه عليها . وسيعود إلى ذكر هذا فى البيت الآتى .

على ناقة لم يَضرِب الفحلُ أمَّها    مُشَــذَّبة أطرافها بالمَناجل[1]

وقال لما قدَّموه ليقتلوه :

بَلِّغ سَراةَ المُسلمين بأنني    مُسْــلِمٌ لربِّى أعظمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

## إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران[2] ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم .

فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضربون فى كل وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ! أسلموا تَسلموا . فأسلم الناسُ ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : لمحمد النبىِّ رسولِ الله صلىَ اللهُ عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم

---

(١) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

(٢) نجران : بلد بين اليمن وهجر .

Marfat.com

وقبلت منهم ، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكبانا قالوا : يا بنى الحارث ! أسلِموا تسلموا ؛ فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرِهم ، آمُرُهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم عنه ، وأعلّمهم مَعالم الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك اللهْ الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تُخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتَهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهمْ ، وأقبِلْ وليُقبلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث ابن كعب .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجالُ الهند ؟ قيل : يا رسول الله ! هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ! نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

لو أن خالداً لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أمَا والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالداً ؛ قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم .

ثم قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ! قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نَفترِق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم ؛ وأمّر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم على بنى الحارث قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيّة من شوال ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوُفِّىَ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم ، عمرَو بن حزم ، ليفقّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عَهِد إليه فيه عهدَه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا بيان من الله ورسوله ، يٰأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ رسول الله لعمرو بن حزم ؛ حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوَى الله فى أمره كلّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعلِّم الناس القرآن ، ويفقّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للناسِ فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونَهى عنه ، فقال ( أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ) ، ويبشّر الناس بالجنة و بعَملها ، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها ، ويستألِف الناس حتى يُفقَهُوا فى الدين ، ويعلِّم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمرالله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر والحج الأصغر هو العُمرة ، ويَنْهى الناس أن يصلى أحدٌ فى ثوب واحد صغير ، إلا أن

Marfat.com

يكون ثوبًا يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يحتبىَ أحد فى ثوب واحد يُفضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقِص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحدَه لا شريك له ، فمن لم يَدْع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَفُوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويهجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدُوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نُودِىَ لها ، والغَسْلِ عند الرَّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله ، وما كُتب على المؤمنين فى الصدقة ، من العَقار عُشرُ ما سَقَت العين وسقت السماء ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ، وفى كل عَشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلامًا خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كل حالم ، ذكر أو أنثى ، حُر أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثيابا ؛ فمن أدّى ذلك فإن له ذمةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

## رفاعة بن زيد الجذامى

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى هُدنة الحُدَيْبية ، قَبل خيبر ، رفاعة بن زيد الُجذامىّ ، فأهدى لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ، إنى بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حِزْب الله وَحِزْب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة : حَرّة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

## وفد همدان

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقوا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك ، وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرَات[1] ، والعمائم العدنية ، برحال المَيْس[2] على المَهْرِيّة[3] والأرْحَبيّة[4] ، ومالك بن نَمَط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدان خيرُ سُوقةٍ وَأقيالْ ليسَ لها فى العالَمِين أمثالْ[5]

---

(١) مقطعات : ثياب مخيطة . والحبرات : برود يمنية .

(٢) الميس : خشب تصنع منه الرحال التى تكون على ظهور الإبل .

(٣) المهرية : الإبل النجيبة ، تنسب إلى مهرة ، قبيلة باليمن .

(٤) الأرحبية : إبل تنسب إلى أرحب ، وهم قبيلة من همدان ، أو فحل ، أو مكان تنسب إليه النجائب .

(٥) السوقة : من دون الملوك من الناس . والأقيال : الملوك دون الملك الأكبر ، واحدهم قيل .

Marfat.com

محلها الهَضْب ومنها الأبطال لهـا إطابات بها وآكال[1]

ويقول الآخر :

إليك جاوزن سوادَ الرِّيفِ في هَبوات الصَّيف والخريفِ[2]

مُخَطَّماتٍ بحبال اللِّيفِ[3]

فقام مالك بن نمط بين يديه ، فقال : يارسول الله ! نَصِيَّة[4] من هَمْدَانَ ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُص نَوَاج[5] ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مِخْلاف[6] خارف ويام وشاكر[7] أهـل السود والقود[8] أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهاتِ[9] الأنصاب[10] ، عهدهم لا يُنقَض ما أقامت لَعْلَع[11] ، وما جرى اليعفور[12] بصَلَع[13] .

فكتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جَناب الهَضْب وحِقاف[14] الرمل

---

(١) الهضب : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة : هضبة ، يصف علو منزلتها . والإطابات : الأموال الطيبة . والآكال : مايأخذه الملك من رعيته وظيفة له عليهم .

(٢) السواد ( هنا ) : القرى الكثيرة الشجر والنخل . والريف : الأرض التي تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة . والهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة .

(٣) مخطمات : جعل لها خطم ، وهي الحبال التي تشد في رءوس الإبل على آنافها .

(٤) النصية : خيار القوم .

(٥) القلص : الإبل الفتية ؛ الواحد : قلوص . ونواج : مسرعة .

(٦) المخلاف : المدينة ، بلغة اليمن .

(٧) خارف ، ويام ، وشاكر : قبائل من اليمن .

(٨) السود : الإبل . والقود : الخيل .

(٩) الآلهات : جمع إلهة .

(١٠) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها .

(١١) لعلع : جبل .

(١٢) اليعفور : ولد الظبية .

(١٣) صلع : اسم موضع .

(١٤) الحقاف : جمع حقف ، وهو الرمل المستدير .

Marfat.com

مع وافدها ذى المِشْعار مالك بن نَمَط ، ومن أسلم من قومه ، على أنّ لهم فِراعها[١] ووِهاطَها[٢] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون عِلَافها[٣] ويَرْعون عافِيَها[٤] ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار .

## مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان ، مُسَيلِمة بن حَبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

عن أبى سعيد الُخدرىّ ، قال :

سمعت رسولَ الله صلى اللهُ عليه وَسلم وهو يخطب الناس على مِنْبَرِه ، وهو يقول : أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

عن أبى هُريرة ، قال :

سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدّعى النبوّة .

وقد كان مسيلمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك ؛ أما بعد فإنى قد أشركت

---

(١) الفراع : أعالى الأرض .

(٢) الوهاط : المنخفض المطمئن من الأرض .

(٣) العلاف : ثمر الطلح .

(٤) عافيها : نباتها الكثير .

Marfat.com

فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُرَيش نصفُ الأرض ، ولكن قريشاً قوم يَعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسل لاتُقتل لضربت أعناقَكما . ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشر .

## حجة الوداع

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القَعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له . واستعمل على المدينة أبا دُجانة الساعدى .

عن عائشة ، قالت :

خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة . لا يَذكر ولا يَذكر الناس إلا الحجَّ ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلوا بعمرة ، إلا من ساق الهدى ؛ وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىَّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة لعلك نُفِسْت ؟ قلت : نعم ! والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ؛ فقال : لاتقولن ذلكِ ، فإنك تَقضِين كل مايقضى الحاج إلا أنك لاتطوفين بالبيت .

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كلُّ من كان لاهدى معه ، وحل نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرح فى بيتى ،

Marfat.com

فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحصْبة ، بعث بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فأعمرنى من التَّنعيم ، مكان عُمرتى التى فاتتنى .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يُحلِلن بعُمرة ، قُلْن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبَّدْت[1] ، فلا أحِلّ حتى أنحر هَدْيى .

## موافاة على رسول الله فى الحج

ويروون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليًا رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكّة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها قد حلّت وتهيّأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخَبر عن سَفره ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انطلق فطُف بالبيت ، وحِلّ كما حَل أصحابك ؟ قال : يا رسول الله ! إنى أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابُك .

قال : يا رسول الله ! إنى قلت حين أحرمتُ : اللهم إنى أهِلّ بما أهَلّ به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى اللهُ عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هَدْى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

---

(١) لبدت : أى وضعت فى شعرى شيئا من صمغ عند الاحرام لئلا يشعث ويقمل ، وإنما يلبده من يطول مكثه فى الإحرام .

ولما أقبل علىّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف على جُنده الذين معه رجلاً من أصحابه ؛ فعمَد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حُلّة من البَزّ الذى كان مع علىّ رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانتزع الحُلل من الناس ، فردّها فى البزّ .

فاشتكى الناس عليًا رضوانُ الله عليه لما صنع بهم ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيهم خطيبًا ، فقال : أيها الناس ! لا تشكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، من أن يشكى .

ثم مضى رسُول اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجّهم ، وخطب الناس خطبته التى بيّن فيها ما بيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرِى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ؛

أيها الناس ! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها .

وإن كلّ ربا موضوع ، ولكنّ لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربَا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بنَ الحارث بن عبد المطلب ، — وكان مُسترضَعاً فى بنى ليث ، فقتلته هُذيل — فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد : أيها الناس ! فإن الشيطان قد يئس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تَحْقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

Marfat.com

أيها الناس ! إن النسيء زيادة في الكفر ، يُضَلُّ به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عِدَّةَ ما حرَّم الله ، فيحلوا ما حرّم الله ، ويحرّموا ما أحلّ الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر(١) ، الذى بين جُمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس ! فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيّنة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهنّ ضربا غيرُ مُبَرِّح(٢) ، فإن انتهين فلهن رزقُهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عَوَانٍ(٣) لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتابَ الله وسنة نبيه .

أيها الناس ! اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمُن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طِيب نفس منه ، فلا تظلِمُن أنفسكم ؛ اللهم هلْ بلغت ؟

فقال الناس : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

ثم قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم مافرض الله عليهم من حجّهم : من الموقف ، ورَمْيِ الجمار ، وطواف البيت ، وما أحلّ لهم من

(١) ورجب مضر : إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رجبا ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة .

حجّهم ، وما حُرّم عليهم ، فكانت حِجةَ البلاغ ، وحجة الوَداع ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يحجّ بعدها .

## بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يُوطئ الخيل تُخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[1] مع أسامة بن زُيد المهاجرون الأولون .

## خروج رسل رسول الله إلى الملوك

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام . فبعث دِحْية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبدالله بن حُذافة السّهمى إلى كِسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمرو بن أمية الضّمرى إلى النجاشى، ملك الحبشة ؛ وبعث حاطَب بن أبى بَلتعة إلى المُقوقِس، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السّهمى إلى جيفرٍ وعِياذ ابنى الجُلُندى الأزْديين ، ملكى عُمان ، وبعث سَليط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، إلى ثُمامة بن أُثال وهَوْذة بن على الحنفيين ، ملكى اليمامة ، وبعث العَلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوَى العَبْدى ملك البحرين ، وبعثَ شجاعَ بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شِمْر الغسانى ، ملك تُخوم الشام .

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، قاتل

---

(١) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من جمع .

منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بَعْثٍ وسَرِيَّة .

## ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتُدِئ به من ذلك ، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد ، من جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئ بوجعه من يومه ذلك لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت :

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ! فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلى ، فقمتُ عليكِ وكفنتك ، وصلّيت عليك ودفنتكِ ؟ قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ! ! فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعزّ به[1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه — وكنّ تسعا — فاستأذنهن فى أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذِنَّ له .

---

(١) استعز به : اشتد عليه وجعه وغلبه على نفسه .

Marfat.com

# أمهات المؤمنين

وكان جميع من تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عَشرَة : خديجة بنت خوَيْلِد ، وهي أول من تزوج ، زوّجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، وأصدَقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، وكانت قبل أبي هالة عند عُتَيِّق بنَ عابد .

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بِكراً غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَودة بنت زمعة، زوّجه إياها سَليط بن عمرو ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند السكران ابن عمرو .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، زوجه إياها أخوها أبو أحمد ابن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى (وَإذْ تقُولُ لِلّذِى أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ ، وَتُخْفِى فى نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زيدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً[1]) .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٣٧ .

Marfat.com

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوّجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فِراشا حشوه لِيف ، وقدحا ، وصَحفة ، ومِجَشّة[1] ، وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطاب ، زوّجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذافة السّهمى .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حَبيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان بن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السّهم لثابت بن قيس بن الشّماس الأنصارىّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَستعينه فى كتابتها ، فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ؛ فتزوجها . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها ، يقال له عبد الله .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة بنت حُيى بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سَويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق .

---

(١) المجشة : الرحى .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث ، زوّجه إياها العباسُ بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبدالعُزّى ؛ ويقال إنها التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم، وذلك أن خِطْبة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ[1]) .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة، وكانت تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوّجه إياها قَبِيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمّها .

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثِنْتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة ، وتوفى عن تسع ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكِنْدية ، تزوجها فوجد بها بياضا[2] فمتعها[3] وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ؛ فردها إلى أهلها ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتى ا فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٠ .

(٢) البياض : البرص . تكنى منه العرب بالبياض ، لكراهيتها إياه .

(٣) متعها : وصلها بشىء تنتفع به .

# تمريض رسول الله فى بيت عائشة

عن عائشة زوج النبى صلى اللهُ عليه وسلم ، قالت :

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل ابن العباس والثانى على بن أبى طالب ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتى .

ثم غُمِر(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال : هَرِيقوا علىّ سبع قِرَب من آبار شتّى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . فأقعدناه فى مِخْضب(٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صَبَبْنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حسبكم حسبكم .

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ماتكلم به أنه صلّى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيّره الله بين الدنيا و بين ماعنده ، فاختار ماعند الله .

ففهمها أبو بكر ، وعرَف أن نفسَه يريد ، فَبكَى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ؛ فقال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد(٣) ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصُّحبة عندى يداً منه، فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

يامعشر المهاجرين ! استوصُوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى(٤) التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسِنهم ، وتجاوزا عن مُسيئهم .

---

(١) غمر : أصابته غمرة المرض ، وهى شدته .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٣) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .

(٤) عيبتى : موضع سرى .

Marfat.com

وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة: أمَّرَ غلاما حَدَثا على جِلَّة المهاجرين والأنصار!

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ! أنفِذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته، لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقا لها .

ثم نزل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وانكمش[1] الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامَّ به وجعهُ ، حتى غُمِر .

فاجتمع إليه نساء من نسائه ، ونساء من نساء المسلمين وعنده العباس عمّه ، فأجمعوا أن يَلُدُّوه[2] ، وقال العباس : لألُدَّنَّه؛ فلَدّوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَن صنع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله ! عمّك؛ قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة . ثم قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمّه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفنى به ، لا يَبْقَ فى البيت أحد إلاّ لُدَّ إلا عَمّى .

فلقد لُدّت ميمونة وإنها لصائمة ، لِقَسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

---

(١) انكش الناس : أسرعوا .

(٢) أن يلدوه : أى يجعلوا الدواء فى شق فمه .

Marfat.com

عن أسامة بن زيد ، قال :

لما ثَقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أُصمِتَ فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى

عن عائشة ، قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيِّرَهُ فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتُها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى(١) من الجنة . فقلت : إذا والله لايختارُنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخيَّر .

عن عائشة ، قالت :

لما اسْتُعِزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس ؛ قلت : يانبى الله ! إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ؛ قال : مروه فليصل بالناس ؛ فعُدت بمثل قولى ، فقال « إنكن صواحبُ يوسف ، فمرُوه فليصلِّ بالناس .

فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لايحبون رجلا قام مقامه أبدًا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

عن عبد الله بن زمعة :

لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، دعاه بلال إلى

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ( فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ) .

Marfat.com

الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلي بالناس ، فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم ياعمر فصلِّ بالناس . فقام ، فلما كبّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مِجْهَرًا[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون ! فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس .

قال لى عمر : ويحك ! ماذا صنعت بى يابن زمعة ؟ والله ماظننت حين أمرتَنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس ، قلتُ : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولـكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة بالناس .

ولما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلّم خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فرحا به ، وتفرّجوا . فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم ، وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورًا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قد أفرق[2] من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح[3] .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى

---

(١) مجهر : عالى الصوت .

(٢) أفرق : برئ .

(٣) السنح ( بوزن قفل ) : موضع كان فيه مال لأبى بكر ، وكان ينزله بأهله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مُصلّاه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره ، وقال : صلِّ بالناس ؛ وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلَّى قاعدا عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلَّمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ! سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقِطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تَمسَّكون عَلَيّ بشىء ، إنى لم أُحِلّ إلا ما أحل القرآن ، ولم أُحَرّم إلا ماحرم القرآن .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبى الله ! إنى أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما نُحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم . ثم دَخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس: يا أبا حسن ! كيف أصبح رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً ؛ فأخذ العبّاس بيده ، ثم قال : يا علىّ ! أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا أمَرناه فأوصى بنا الناس ، فقال له علىّ : إنى والله لا أفعل ، والله لئن مُنعناه لايؤتيناه أحد بعده .

فتُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

عن عائشة ، قالت :

رجع إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىّ رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سِواك أخضر ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يُريده ، فقلت : يا رسول الله !

Marfat.com

أتحب أن أعطيَك هذا السِّواك ؟ قال : نعم . فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه فاستنّ به كأشد ما رأيته يستنّ بسِواك قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ فقلت : خُيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحق ، وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمات رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى[1] وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحدا ، فمِنْ سَفهى وحَدَاثة سِنِّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألْتَدم[2] مع النساء ، وأضرب وجهى .

ولما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوفّى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ، ووالله ليرجِعَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليَقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم مات[3] .

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) ألتدم : أضرب صدرى .

(٣) عن ابن عباس ، قال :

والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة وما معه [illegible] ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشى قدمه بدرته : إذا التفت إلى ، فقال : يا ابن عباس ! هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلت ما قلت .

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلّم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى[١] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرَة[٢] ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذُقتها ، ثم لَن تُصيبك بعدها موتة أبدا ؛ ثم ردّ البُرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك ياعمر ! أنصِت ؛ فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لايُنصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ! إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حىٌّ لايموت . ثم تلا هذه الآية (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ[٣]) .

فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم .

قال عمر :

والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقِرت[٤] حتى وقعت إلى الأرض ماتحمِلُنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

---

(١) مسجى : مغطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

(٤) عقرت : دهشت .

## سقيفة بنى ساعدة

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير بن العوام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل .

فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم . ورسولُ الله صلىَ اللهُ عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره ، قد أغلَق دُونه الباب أهلُه ، فقال عمر لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

عن عبد الله بن عباس ، قال :

رجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، فوجدنى فى منزله بِمنًى أنتظره ، وكنت أُقرئه القرآن ، فقال لى :

لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بَيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت ، فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيّة فى الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغصبوهم أمرهم . فقلت : ياأمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رِعاع الناس وغَوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطير بها أولئك عنك كل مَطير ، ولا يَعوها ولا يَضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدَم المدينة ، فإنها دار السنة ، وتخلَّص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول

Marfat.com

ما قلت بالمدينة متمكّنا ، فيعى أهلُ الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس :

فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحِجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد جالسا إلى رُكن المنبر، فجلست حذوه تمس رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : ليقولنّ العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ فأنكر علىّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقله قبل ؟! فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام، فأثنى على الله بما هو له أهل ثم قال :

أما بعد : فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعِيَها فلا يحلُّ لأحد أن يكذب علىّ .

إن الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلِّمناها ووعيناها ، ورَجم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وَرَجَمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ! فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله . وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحْصَن من الرجال والنساء وإذا قامت البينة أو كان الحبَل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله ( لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ) .

ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تُطرونى كما أُطرِىَ عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » .

ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ! ! فلا يغرّن امرأ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا

أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثــل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غــير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً(١) أن يقتلا .

إنه كان من خبرنا حين توفَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنـ الأنصار خالَفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصــار ؛ فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليــه القوم ، وقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم ؛ قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمَّل(٢) فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ؛ فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجــع .

فلما جلسنا تشهّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفَّت(٣) دافة من قومكم . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوّرت فى نفسى مقالة(٤) قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحدّ(٥) . فقال أبو بكر : على رِسْلك ياعمر .

فـكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعــلم منى وأوقر . فوالله ماترك من كلمة

(١) التغرة : من التغرير ، والكلام على حــذف مضاف ، تقديره : خوف تغرة أن يقتلا .

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٥) الحد : أى أنه كان فى خلق عمر حدة ، كان يسترها من أبى بكر .

Marfat.com

أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت . قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش ، هم أوسط العرب نسبا[١] ودارا[٢] وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم . وأخذ بيدى و بيد أبى عُبيدة ابن الجراح ، وهو جالس بيننا .

ولم أكره شيئا مما قال غيرها ، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقى ، لا يقرّبنى ذلك إلى إثم ، أحبّ إلىّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحكّك[٣] وعُذَيقها المُرجّب[٤] . منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . فكثر اللغط[٥] ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوّفت الاختلاف . فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد[٦] بن عُبادة . فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة. فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

و بعد ما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس : إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن

---

(١) أوسط العرب نسبا : أشرفهم .

(٢) ودارا : أى بلدا ، وهى مكة .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل ، تحتك به ، وتستريح إليه ، فتضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، وتوجد الراحة عنده .

(٤) العذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة بنفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ، ولعزه على أهله ، فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه . واسم الدعامة التى تدعم بها النخلة الرجبية ، ومنه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعظم فى الجاهلية والإسلام .

(٥) اللغط : اختلاف الأصوات ، ودخول بعضها على بعض .

(٦) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

Marfat.com

رسول الله صَلى اللهُ عليهِ وسلم سيُدَبِّر أمرنا[1] ؛ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم . فإن اعتصمتم به هدا كم الله لما كان هداه له . وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين إذهما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

فتكلم أبو بكر ، فَحمِد الله ، وأثنى عليهِ بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس، فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوّمونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذّل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم . فقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

## جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء .

فتولى غسله علىّ بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقْرانُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان علىّ بن أبى طالب يسنده إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقران مولاه هما اللذان يصبّان الماء عليه ، وعلىّ يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لا يُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيا وميتا !

---

(١) سيدبر أمرنا : سيكون آخرنا .

فلما فُرِغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحاريين[١] وبُرْد حِبَرة ، أُدْرج فيه إدراجا .

ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَح[٢] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبَّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهم خِرْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلَحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع على سريره فى بيته ، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده ، وقال قائلٌ : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : «ما قبِض نبىّ إلا دفن حيث يُقبضُ» فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفى عليه ، فحُفِر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلّون عليه أرْسالا[٣] ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يؤُم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل، ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا فى قبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشُقران مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خَوْلِىّ لعلى بن أبى طالب : يا على ! أنشدك الله ، وحظّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، قد كان

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهى مدينة من اليمن .

(٢) يضرح : يشق الأرض للقبر .

(١) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا . فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن عائشة قالت :

كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصة[1] سوداء حين اشتد به وجعه ، فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! يُحَذِّرُ من ذلك على أمته .

وكان آخر ما عهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

ولما تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت[2] اليهودية والنصرانية ، ونَجَم[3] النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، إلى أن جمعهم الله على أبى بكر .

حتى أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم همّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتّاب بن أَسِيد[4] ، فتوارى ، فقام سُهيل بن عمرو فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ ، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفُّوا عما همّوا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلم فى قوله لعمر بنِ الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمّه .

---

(١) خميصة سوداء : هى ثوب خز أو صوف معلم .

(٢) اشرأبت : تطلعت .

(٣) نجم : ظهر .

(٤) كان عتاب بن أسيد والى مكة حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت أمره عليها .

Marfat.com

قال المصنف :

هذا آخر ما يسر الله تقريبه من السيرة النبوية لابن هشام المعافرى ، إلا أنه قد فاتنا فوت نثبته فيما يلى ، راجين القراء أن يتداركوه .

يلحق بصفحة ٥ بعد سرد النسب الزكى العبارة الآتية :

وأم إسماعيل هاجَر ، من أم العرب ، قرية كانت أمام الفَرمَا من مصر ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام « إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا » .

وكذلك يلحق بصفحة ١٧ بعد موت أبرهة العبارة الآتية :

قالت عائشة :

لقد رأيتُ قائد الفيل وسائِسَهُ بمكة مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ .

Marfat.com

# فهرس تقريب السيرة


| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٥ | سرد النسب الشريف |
| ٦ | النصرانية واليهودية فى أرض العرب |
| ١٠ | غزو الحبشة لبلاد العرب |
| ١٢ | أمر الفيل وقصة النسأة |
| ١٨ | خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز |
| ٢٣ | أولاد عبد المطلب بن هاشم |
| ٢٤ | احتفار زمزم |
| ٢٦ | استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفى جرهم |
| ٢٧ | استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت |
| ٣١ | اختلاف قريش بعد قصى وحلف المطيبين |
| ٣٣ | حلف الفضول |
| ٣٦ | حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها |
| ٤٠ | نذر عبد المطلب ذبح ولده |
| ٤٣ | المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب |
| ٤٤ | ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ |
| ٤٥ | ولادة الرسول ﷺ |
| ٥١ | وفاة آمنة |
| | وفاة عبد المطلب |
| ٥٢ | كفالة أبى طالب للرسول ﷺ |
| | قصة بحيرى |
| ٥٦ | حرب الفجار |
| ٥٧ | السيدة خديجة |
| ٦٠ | بنيان الكعبة |
| ٦٦ | إخبار الكهان والأحبار والرهبان |
| ٧٠ | إنذار يهود بالرسول |
| ٧١ | إسلام سلمان |
| ٧٧ | البحث فى الأديان قبل الإسلام |
| ٧٩ | مبعث النبى صلى الله عليه وسلم |
| ٨٣ | ابتداء تنزيل القرآن |
| ٨٤ | إسلام خديجة |
| ٨٥ | ابتداء فرض الصلاة |
| ٨٦ | إسلام على بن أبى طالب |
| ٨٨ | إسلام زيد بن حارثة |
| | إسلام أبى بكر الصديق |
| ٩٠ | مباداة الرسول لقومه وما كان منهم |
| ٩٤ | تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن |
| ٩٦ | مالقى رسول الله من قومه |
| ٩٨ | إسلام حمزة |
| ٩٩ | قول عتبة بن ربيعة فى أمر الرسول |
| ١٠١ | ما دار بين الرسول وبين رؤساء قريش وتفسير سورة الكهف |




Marfat.com

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ١١٨ | الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة |
| ١١٩ | قريش تطلب من الحبشة رد المهاجرين |
| ١٢٤ | إسلام عمر بن الخطاب |
| ١٣٠ | خبر الصحيفة |
| ١٣١ | ما لقي الرسول من قومه من الأذى |
| ١٣٨ | عودة مهاجرى الحبشة إلى مكة |
| ١٤١ | أبو بكر فى جوار ابن الدغنة |
| ١٤٢ | نقض الصحيفة |
| ١٤٥ | إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى |
| ١٥٠ | وفد النصارى الذين أسلموا |
| ١٥٢ | الإسراء |
| ١٥٦ | المعراج |
| ١٥٧ | كفاية الله أمر المستهزئين |
| ١٥٨ | وفاة أبى طالب وخديجة |
| ١٦٠ | سعى الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة |
| ١٦٣ | رسول الله يعرض نفسه على القبائل |
| ١٦٦ | بدء إسلام الأنصار |
| ١٦٧ | العقبة الأولى ومصعب بن عمير |
| ١٧١ | العقبة الثانية |
| ١٧٨ | شروط البيعة فى العقبة الثانية |
| ١٧٩ | نزول الأمر للرسول فى القتال |
| ١٨٠ | المهاجرون |
| ١٨٤ | هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٢٠٤ | المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار |
| ٢٠٦ | خبر الأذان |
| ٢٠٨ | أبو قيس بن أبى أنس |
| ٢١٠ | الأعداء من يهود |
| | إسلام عبد الله بن سلام |
| ٢١٢ | حديث مخيريق |
| ٢١٣ | من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار |
| ٢١٧ | من أسلم من أحبار يهود نفاقا |
| ٢١٨ | ما نزل من البقرة فى المنافقين ويهود |
| ٢٥٠ | السيد والعاقب وذكر المباهلة |
| ٢٥٨ | نبذ من ذكر المنافقين |
| ٢٦١ | تاريخ الهجرة |
| | من اعتل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٢٦٣ | غزوة ودان |
| ٢٦٤ | سرية عبيدة بن الحارث |
| | سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر |
| ٢٦٥ | غزوة بواط |
| | غزوة العشيرة |
| ٢٦٦ | سرية سعد بن أبى وقاص |
| | غزوة سفوان ( بدر الأولى ) |
| ٢٦٧ | سرية عبد الله بن جحش ، ونزول ( يسألونك عن الشهر الحرام ) |
| ٢٧٠ | صرف القبلة إلى الكعبة |
| | غزوة بدر الكبرى |
| ٣٠٠ | إسلام أبى العاص بن الربيع |
| ٣٠٢ | إسلام عمير بن وهب |
| ٣٠٥ | نزول سورة الأنفال |
| ٣١٤ | غزوة بنى سليم |
| | غزوة السويق |
| ٣١٥ | غزوة ذى أمر |
| ٣١٦ | غزوة الفرع من بحران |
| | أمر بنى قينقاع |
| ٣١٩ | سرية زيد بن حارثة إلى القردة |
| | مقتل كعب بن الأشرف |


Marfat.com

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٣٢٣ | غزوة أحد |
| ٣٥١ | ما أنزل الله فى أحد من القرآن |
| ٣٦٤ | يوم الرجيع |
| ٣٦٨ | بئر معونة |
| ٣٧١ | إجلاء بنى النضير |
| ٣٧٤ | غزوة ذات الرقاع |
| ٣٧٨ | غزوة بدر الآخرة |
| ٣٧٩ | غزوة دومة الجندل |
| ٣٨٠ | غزوة الخندق |
| ٣٩٤ | غزوة بنى قريظ |
| ٤٠٦ | مقتل سلام بن أبى حقيق |
| ٤٠٩ | إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد |
| ٤١١ | غزوة بنى لحيان |
| ٤١٢ | غزوة ذى قرد |
| ٤١٤ | غزوة بنى المصطلق |
| ٤٢٠ | خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق |
| ٤٢٨ | أمر الحديبية |
| ٤٣٤ | بيعة الرضوان |
| ٤٣٥ | أمر الهدنة |
| ٤٤٠ | المستضعفين بعد الصلح |
| ٤٤١ | المهاجرات بعد الهدنة |
| ٤٤٣ | المسير إلى خيبر |
| ٤٥٠ | عودة جعفر بن أبى طالب من الحبشة |
| ٤٥١ | عمرة القضاء |
| ٤٥٤ | غزوة مؤتة |
| ٤٥٩ | فتح مكة |
| ٤٧٧ | مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة |
| ٤٧٩ | مسير خالد بن الوليد لهدم العزى |
| ٤٨٠ | غزوة حنين |

| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٤٩٠ | غزوة الطائف |
| ٤٩٣ | السبايا وعطايا المؤلفة قلوبهم |
| ٥٠٢ | عمرة الرسول من الجعرانة |
| ٥٠٣ | كعب بن زهير |
| ٥١٣ | غزوة تبوك |
| ٥٢٣ | مسجد الضرار |
| ٥٣٠ | وفد ثقيف وإسلامها |
| ٥٣٥ | حج أبى بكر سنة تسع |
| ٥٤٤ | سنة تسع — سنة الوفود |
| ٥٤٥ | وفد بنى تميم — نزول سورة الحجرات |
| ٥٤٧ | عامر بن الطفيل وأربد بن قيس |
| ٥٤٩ | ضمام بن ثعلبة |
| ٥٥٠ | قدوم الجارود |
| ٥٥١ | وفد بنى حنيفة |
| ٥٥٢ | زيد الخيل |
| | عدى بن حاتم |
| ٥٥٥ | فروة بن مسيك |
| ٥٥٦ | عمرو بن معد يكرب |
| ٥٥٧ | الأشعث بن قيس |
| ٥٥٨ | صرد بن عبد الله |
| ٥٥٩ | رسول ملوك حمير |
| ٥٦١ | وصية الرسول لمعاذ |
| | إسلام فروة بن عمرو |
| ٥٦٢ | إسلام بنى الحارث |
| ٥٦٦ | رفاعة بن زيد |
| | وفد همدان |
| ٥٦٨ | مسيلمة والأسود العنسى |
| ٥٦٩ | حجة الوداع |
| ٥٧٠ | موافاة على للرسول فى الحج |


Marfat.com

| الصفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٥٧٣ | بعث أسامة إلى فلسطين |
| | رسل الرسول إلى الملوك |
| ٥٧٤ | ابتداء شكوى رسول الله |
| ٥٧٥ | أمهات المؤمنين |
| ٥٧٨ | تمريض رسول الله |
| ٥٨٥ | سقيفة بنى ساعدة |
| ٥٨٩ | جهاز الرسول ودفنه |
| ٥٩٢ | استدراك المصنف |


---


بحمد الله تعالى وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب

## تقريب السيرة النبوية لابن هشام

مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

القاهرة فى { ٢٧ جماد أول سنة ١٣٨١ هـ
٦ نوفبر سنة ١٩٦١ م }

# تهذيب

# السيرة النبوية لابن هشام

تصنيف وشرح

محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشبراوي

الطبعة الأولى

١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
محمود نصار الحلبي وشركاه - خلفاء

Marfat.com